

أثر الطريقتين

دراسة لاحتياجات بشرية وتلبيةها في أكثر
الديانات شهرة وأثرا وانتشارا (١١ ديانة)

تأليف الدكتور

سامي بن فهد المايكي

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

ح سامي بن فهد بن عايض المالكي ، ١٤٤٦ هـ

المالكي ، سامي بن فهد بن عايض
أبن الطريق. / سامي بن فهد بن عايض المالكي - ط ١. - المدينة
المنورة ، ١٤٤٦ هـ

٤٢٢ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١٥٩٣٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٦٦٩٥-٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

بدأت قصة هذا الكتاب بالإرتكاز على بعض الأسئلة الأولية والتي تصب حول فكرة الأديان وماذا قدمت للبشرية..

فكل صاحب دين يرى أن دينه قدم له الكثير من الخيارات والتوجيهات ليعيش الحياة السعيدة ويشرح له سر وجوده في هذا الكون وكيف يعيش وماذا بعد الموت.. وغيرها من الأسئلة الوجودية الكبرى..

لقد ركز البحث على عدة موضوعات أساسية في حياة البشر تكاد تنفق البشرية على أهميتها وحاجة الناس لها وما ينتظرونه من الديانات من توجيهات أو رسائل أو تعليمات تدلهم على سلوك الخيار الأمثل لإسعادهم.. وكان من تلك الأسئلة بعض المفاهيم للاعتقاد والغيبيات وبعضها حول التشريعات وبعضها حول العلاقات الإنسانية والمعاملات الاجتماعية وبعضها حول القيم والمبادئ والآداب والسلوك، كما ستقرؤه في الصفحات المقبلة.

ولكي تكون الاجابة محايدة.. تم الاعتماد على المصادر الأصلية المعتمدة لكل ديانة تحقيقاً للنقل العلمي الموثوق ووقوفاً على الحقيقة كما هي..

لحق ذلك أنه تم تحديد أهم الأديان في العالم من حيث التأثير والتشكيل السكاني والانتشار الجغرافي والحضور الفكري والقوة الاقتصادية.. فكانت النتيجة حصرها في إحدى عشرة ديانة.. وهي على النحو التالي:

أ. الأديان الأكثر انتشارًا في العالم مثل: (النصرانية - الإسلام - الهندوسية - البوذية).

ب. الأديان الأقل انتشار ولكن كان أو لا يزال لها تأثير على أديان أخرى، أو تأثير سياسي مثل: (اليهودية)، أو تأثير على السلوك الإنساني مثل الأديان التي تفرط في الزهد والتقشف مثل: (اليانية والتاوية والبوذية)، أو أديان أثارت الشبهات التي تدعي بأن الإسلام اقتبس منها مثل: (الزرادشتية)، أو أديان تأثر بها كثير من العلمانيين باعتبار أنها اهتمت بالأخلاق ولم تذكر غيبيات أو ترتبط بطقوس مثل: (الكونفوشيوسية)، أو أديان ارتبطت بأمة متقدمة مثل اليابان ولكنها خلت من أي غيبيات معقولة أو تعاليم أو طقوس مثل: (الشتوية)، أو ديانة حديثة وظاهر فيها التلفيق والاقتراس من الديانات القريبة منها مثل (السيخية).

ومما حفزني على الكتابة في هذا المجال كثرة ما يصدر في الإعلام من مواد غير منصفة وربما أخطأت كثيراً في وصفها الديانات وبعضها أبقّت المشاهد والمتابع في مقام الحيرة لا يعرف أين الطريق التي ينبغي عليه أن يسلكها لينجو وليُسعد وليُسعد غيره..

في مقدمتي هذه أرجو أن أكون موفقاً في الإفادة في تقديم المعلومات الأولية التي من خلالها يتوصل إلى اجابات موفقة وسديدة لعدد من الأسئلة المركزية في العقل البشري ومنها:

١. هل الأديان كلها متففة أو مختلفة؟
٢. ما الديانة المنطقية، التي تخاطب العقل والروح معاً؟
٣. ما الديانة التي: (أ) كتابها المقدس مصدره إلهي، (ب) تم حفظ الكتاب ونقله بعناية؟

٤. ما الديانة التي أجابت إجابات منطقية على الأسئلة الوجودية مثل: لماذا خلقنا؟ ما المصير بعد الموت؟ لماذا هناك ظلم ومعاناة في الدنيا؟.... إلخ.
٥. ما الديانة التي عظمت الخالق بما يستحقه من تعظيم؟
٦. ما الديانة التي اعتمدت على مصادرها المقدسة في تشريعاتها وأحكامها، لا على أقوال رجال الدين بلا أدلة كتابية؟
٧. ما الديانة التي غطت الجوانب الغيبية، واهتمت بالجوانب الاجتماعية فوضعت تشريعات وأحكاماً عادلة للمرأة، وتشريعات للزواج وللطلاق وللميراث في حين عجزت القوانين البشرية وباقي التشريعات الدينية على منافستها أو المقارنة معها في الأحكام؟
٨. ما الديانة التي اهتمت بالجوانب الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، مثل الأمانة والصدق والوفاء بالوعد، وبر الوالدين، وصلة الرحم، ورعاية الأيتام؟
- لا أطيل على القارئ الكريم وأتركه يتنقل في صفحات الكتاب راجياً من الله أن يجعله هداية لطالب الهداية والرشاد، وتثبيتاً للمسلم على دينه عندما يطلع على عظمة الإسلام وكماله وجماله وأن الإسلام (يعلو ولا يعلو عليه).
- وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

كتبه الدكتور

سامي بن فهد المالكي

الباب الأول



التعريف العام بالأديان

الفصل الأول خريطة وتوزيع الأديان



الفصل الثاني التعريف بالديانات ومصادرها

تمهيد الفصل الأول

كانت النظرة الأولى لهذا الفصل هي تساؤلٌ لطيف وغريب ومثير في نفس الوقت، يدور هذا التساؤل حول: "هل لو تعرفنا على خريطة الأديان والامتداد الجغرافي والتاريخي لرقعة ديناً من الأديان... هل سيكون ذلك مؤشراً يدل على أن هناك ديناً يتفوق ويمتلك المؤهلات التي يطلبها البشر لإسعادهم ويجيب على تساؤلاتهم، وتقبلته جموع من البشرية على مدى قرون من الزمن وفي رقعة ممتدة شرقاً وغرباً، فيكون بذلك هو الدين الحق؟"

نتحول الآن إلى البحث للنظر إلى الإجابة مع عرض واقع الأديان في جغرافية العالم المعاصر.



• الفصل الأول: خريطة وتوزيع الأديان

تشير تقديرات دراسة ديموغرافية^(١) شاملة لأكثر من ٢٣٠ دولة ومنطقة أجراها مركز «بيو»^(٢) للأبحاث إلى أن هناك ٨,٥ مليار من البالغين والأطفال المتتمين دينياً في جميع أنحاء العالم، وهو ما يمثل ٨٤٪ من سكان العالم في عام ٢٠١٠^(٣) والذي بلغ ٧ مليار نسمة تقريباً.

وفي الوقت نفسه، توصلت الدراسة الجديدة التي أجراها مركز «بيو» أيضاً إلى أن ما يقرب من (١,١ مليار، أو ١٦٪) ليس لديهم أي انتماء ديني.

وهذا يجعل غير المنتسبين لأي ديانة يشكلون ثالث أكبر جماعة دينية في العالم، بعد المسيحيين والمسلمين، فيما تشير الدراسات الاستقصائية إلى أن العديد من غير المنتسبين يحملون بعض المعتقدات الدينية أو الروحية (مثل الإيمان بالله أو الروح العالمية) على الرغم من أنهم لا ينتمون إلى عقيدة معينة.

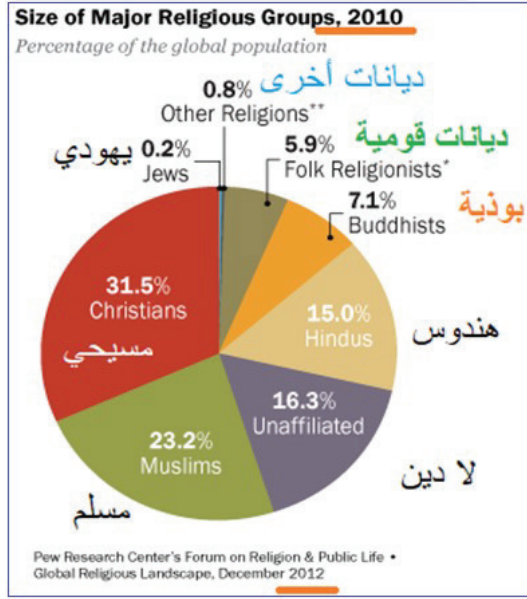
(١) البيانات الديموغرافية هي معلومات تقوم بها مراكز أبحاث متخصصة حول مجموعات من الأشخاص وفقاً لسمات معينة مثل العمر والجنس والدين ومكان الإقامة ومعدل المواليد ومعدل الوفيات، كما يمكن أن تشمل تلك الدراسات العوامل الاجتماعية والاقتصادية مثل المهنة أو الحالة الأسرية أو الدخل.

(٢) مركز بيو للدراسات (بالإنجليزية: **Pew Research Center**) هو مركز أبحاث أمريكي غير حزبي (يشير إلى نفسه على أنه «مركز حقائق») ومقره واشنطن العاصمة. يوفر المركز معلومات حول القضايا الاجتماعية، والرأي العام، والاتجاهات الديموغرافية التي تشكل الولايات المتحدة والعالم. كما يجري المركز استطلاعات الرأي العام، والبحوث الديموغرافية، وتحليل محتوى وسائل الإعلام وغيرها من بحوث العلوم الاجتماعية التجريبية. لا يتخذ مركز بيو للأبحاث مناصب سياسية، وهو شركة تابعة لصناديق بيو الخيرية، وهو مؤسسة غير ربحية.

(٣) تجري الدراسات والإحصاءات الخاصة بعدد السكان والتنوع الديني على فترات متباعدة تصل إلى فاصل يقرب من ٢٠ عامًا، (فلا تقام سنوياً)، والنتائج التي تخرج سنوياً أو في فترات متقاربة تكون بناءً على التوقعات ومعدل النمو الذي تم حسابه من آخر إحصاء فعلي.

١. نسبة المعتنقين لكل ديانة

تقرير مركز بيو الصادر في ٢٠١٢، عن إحصاء ٢٠١٠، يشير الشكل التالي وتفاصيل تقرير المركز إلى أن هناك:



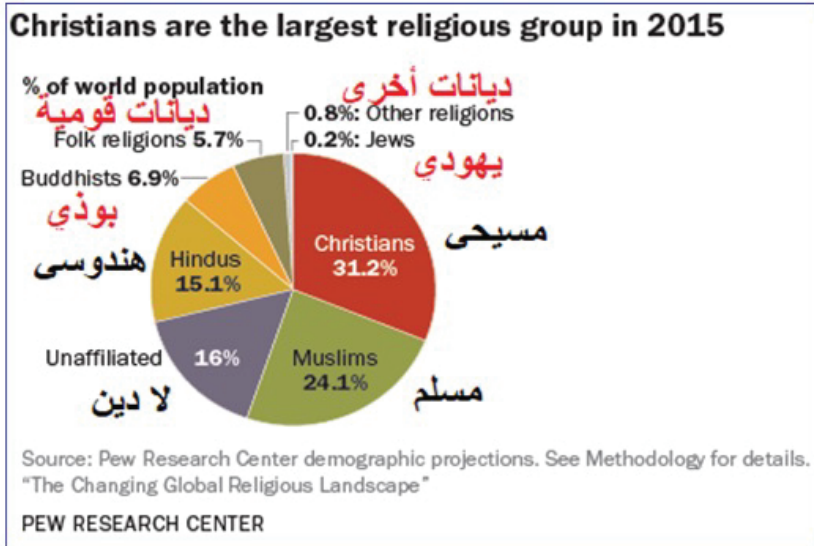
تقرير مركز «بيو» لعام ٢٠١٢

٢, ٢ مليار مسيحي (٣٢% من سكان العالم)، و ٦, ١ مليار مسلم (٢٣%)، و ١٤ مليار هندوسي (١٥%)، وما يقرب من ٥٠٠ مليون نسمة من البوذيين (٧%) و ١٤ مليون يهودي (٢, ٠%) حول العالم في عام ٢٠١٠. بالإضافة إلى ذلك، يمارس أكثر من ٤٠٠ مليون شخص (٦%) ديانات شعبية أو تقليدية مختلفة، بما في ذلك الديانات التقليدية الأفريقية، والديانات الشعبية الصينية، والديانات الأمريكية الأصلية، وديانات السكان الأصليين الأستراليين.

كما ينتمي ما يقدر بنحو ٥٨ مليون شخص - أي أقل بقليل من ١٪ من سكان العالم - إلى ديانات أخرى، بما في ذلك (اليانية)، و(السيخية)، و(الشتوية)، و(الطاوية)، و(الزرادشتية)، و(البهائية)، على سبيل المثال لا الحصر.

٢. نمو نسبة المسلمين في العالم

تشير الدراسات من نفس المركز في العام ٢٠١٧؛ عن نتائج دراسة في عام ٢٠١٥، أن نسبة المسلمين ازدادت من ٢، ٢٣٪ إلى ١، ٢٤٪ من نسبة سكان العالم، بينما انخفضت المسيحية انخفاضًا طفيفًا. (٤)

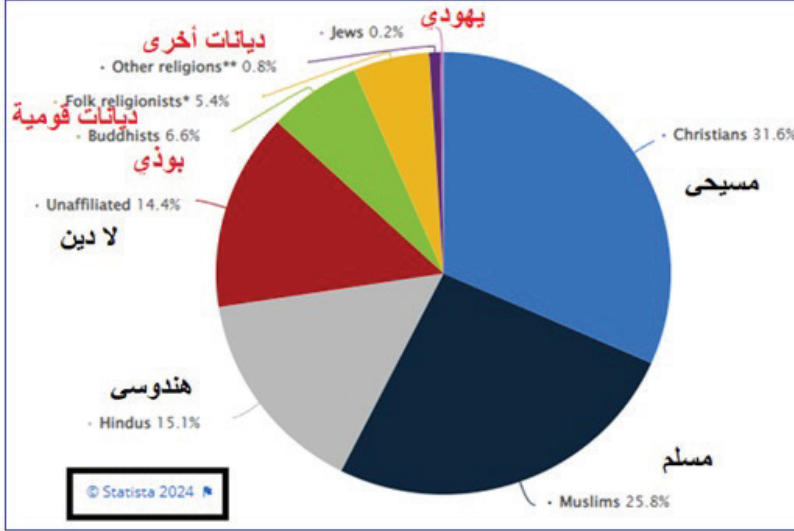


تقرير مركز «بيو» عن العام ٢٠١٥

تشير دراسات أخرى حديثة من موقع (ستاتستيكا - الاحصائيات) إلى أن نسبة المسلمين ارتفعت من ١، ٢٤٪ في العام ٢٠١٥ إلى ٨، ٢٥٪ في العام ٢٠٢٢،

(٤) مراكز الأبحاث الغربية من الممكن أن تتلاعب في النسب بتخفيض عدد المسلمين، فالأرقام التي تُذكر في تقاريرهم هي الحد الأدنى لعدد ونسب المسلمين في العالم.

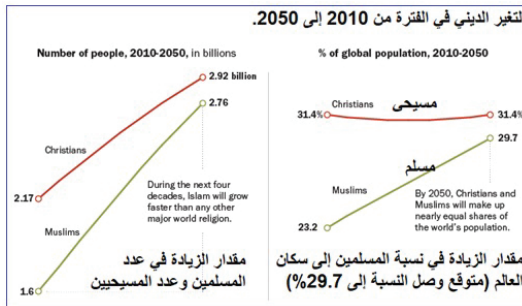
وذلك في تقرير نشرته في العام ٢٠٢٤، كما في الشكل التالي:



موقع ستاتستيكا في عام ٢٠٢٤.

٣. توقعات خريطة الأديان في ٢٠٥٠

تشير دراسات مركز بيو، أنه في العام ٢٠٥٠، ستكون نسبة المسلمين ستكون قد حققت أعلى زيادة مقارنة بباقي الأديان، فتزداد نسبة المسلمين لتصل إلى ما يقرب من ٣٠٪، لتقترب من نسبة النصارى حول العالم. كما في الشكل التالي:



تقرير مركز «بيو» الصادر في عام ٢٠١٥ عن التوقعات حتى العام ٢٠٥٠.

• التحول الديني في العالم

يُشير مركز «بيو» أن التحول الديني المتوقع في الفترة من ٢٠١٠ إلى ٢٠٥٠ يمكن توضيحه كما في الجدول التالي:

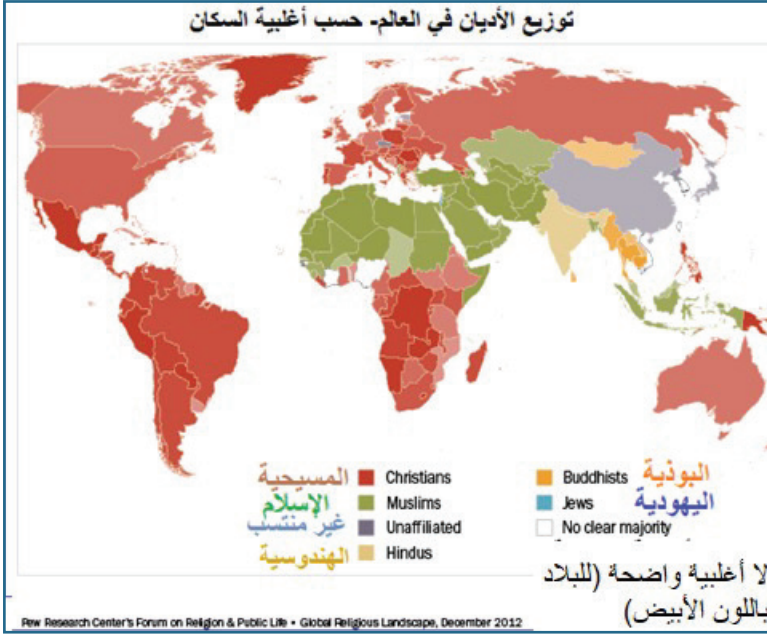
الديانة	صافي التغيير
غير منتمين دينياً	٦١,٤٩٠,٠٠٠ +
الإسلام	٣,٢٢٠,٠٠٠ +
الديانات الشعبية	٢,٦١٠,٠٠٠ +
الديانات الأخرى	١,٨٨٠,٠٠٠ +
الهندوسية	١٠,٠٠٠ +
اليهودية	٣١٠,٠٠٠ -
البوذية	٢,٨٥٠,٠٠٠ -
المسيحية	٦٦,٠٥٠,٠٠٠ -

توقعات مركز «بيو» الصادر في عام ٢٠١٥ عن التحول الديني من العام ٢٠١٠ إلى ٢٠٥٠ (٥)

وكما يتضح من الجدول السابق فإن الإسلام سيكتسب حوالي ٣,٢ مليون مسلم جديد كفرق بين من سيرتدون عنه ومن سيدخلون إليه، بينما تخسر المسيحية حوالي ٦٦ مليون مسيحي كفرق بين من يرتدون عنها ومن يدخلون إليها، كما سيزداد عدد غير المنتمين دينياً بما يقرب من ٦١ مليوناً.

(٥) وهذه مجرد توقعات، وحسابات قابلة للصواب والخطأ، ولكن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو القرآن الكريم الذي يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

٤. توزيع وانتشار الأديان في العالم

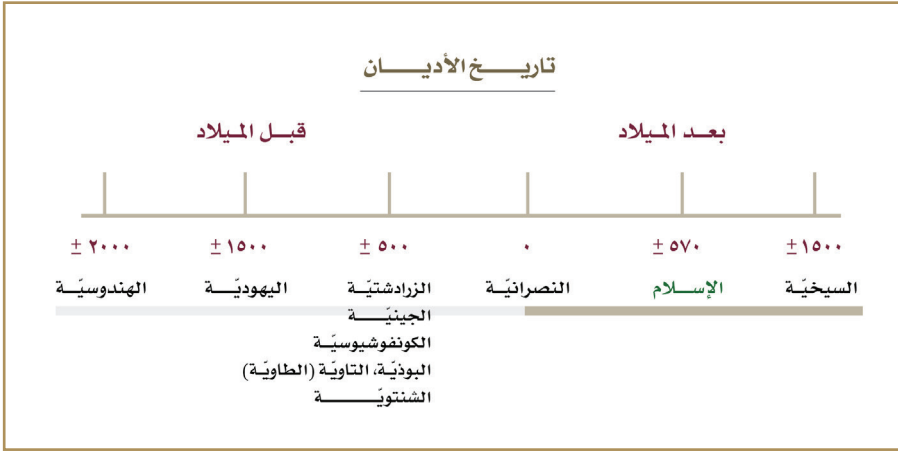


توزيع الأديان في العالم حسب تقرير مركز «بيو» ٢٠١٢، اللون يشير إلى ديانة الأغلبية (فلا يمنع وجود معتنقين لأديان أخرى ولكن بنسب أقل).

٥. تاريخ نشأة الديانات المعاصرة

آدم عليه السلام ومن جاء بعده من أنبياء ومن اتبعوهم، كانوا مسلمين لله تعالى يوحّدونه ويتبعون أوامره ويتنّهون عما نهى عنه، وهذا هو معنى الإسلام بالمفهوم العام الذي يعني الاستسلام لله تعالى.

هناك أديان لا يُعرف لها تاريخ نشأة أو مؤسس، مثل الهندوسية التي تعود بعض كتبها لفترة تتراوح بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد، بينما الشنتوية (ديانة أهل اليابان) وربما تكون أقدم أو أحدث قليلاً من التاريخ الموضوع لها وهو ٥٠٠ ق.م، فتاريخها مجهول نظراً لانغلاقها وانحسارها في الجزر اليابانية.



[التاريخ التقريبي لنشأة أهم الأديان في العالم]

نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للأديان

يُجيب هذا الجزء على عدة أسئلة تتبادر إلى أذهان الباحثين عن الحق، وتوضح الإجابات عن تلك الأسئلة إن كانت أسس وتعاليم الديانة موجهة لمختلف الأجناس والشعوب أم هي موجهة لمجموعة محددة، كذلك إن كانت تعاليم الديانة يقبلها العقل وتحقق التوازن العقلي، والجسدي والروحي فلا يجد المُنصف إلا اتباعها هاجراً معتقده القديم الذي غالباً ما اصطبغ بتشريعات بشرية لا يمكن أن تلي العقول المُنفتحة أو الاحتياجات الإنسانية.

نعرض فيما يلي بعض من الأسئلة، وننتظر اجابتها في التفاصيل التاريخية،
لنشأة وتوسع كل ديانة:

١. هل كان نمو الديانة سريعاً؟
 ٢. هل الديانة انتشرت خارج نشأتها، وضمت لها معتنقين جدد في مختلف أنحاء العالم؟
 ٣. هل كانت الديانة ضعيفة حتى احتضنتها مملكة أو امبراطورية ساعدت في نشرها، أم أن الديانة هي التي كونت دولة أو امبراطورية بتوسعها وتوسع اتباعها قبولاً لظفرة البشرية لها وما تحمله من مقومات قيام حضارة بأكملها؟
- في موضع آخر؛ سنناقش التوسع والانتشار في الوقت الحالي للديانات، والمتوقع حسب مراكز الإحصاء العالمي لنمو اتباع الديانات خلال العقود القادمة.

١. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للهندوسية

لا يُعرف للهندوسية تاريخ نشأة أو مؤسس ولكن أقدم الكتب المقدسة عندهم «الريچ ويدا»، يُرجع المؤرخون تاريخه إلى حوالي ٢٥٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م.

الهندوسية خلال كل تاريخها القديم لم تُنشئ دولة أو امبراطورية معينة، ولكنها كانت ديانة وثقافة مهمة في العديد من الحضارات والممالك الهندية عبر التاريخ، ففي العصور القديمة، كانت الهندوسية موجودة في العديد من الممالك الهندية^(٦)، وكانت تؤثر على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في هذه الممالك ولكنها لم تتوسع بضم ممالك جديدة تحت مظلة الهندوسية.

بصورة أخرى؛ كانت هناك ممالك يحكمها هندوس، ولم تتوسع تلك الممالك بضم أراضي أو ممالك أخرى خارج حدود نشأتها، أو تنشر الديانة الهندوسية عند الأمم المجاورة، نظرًا لأن الديانة الهندوسية تعتمد على العرق والنسب، ولا تدعوا غيرها ممن هم خارج العرق الهندي وطبقاته الاجتماعية، لذلك فإن انتشار الهندوسية خارج مكان نشأتها (الهند)، كان ناتجًا من هجرة بعض الهندوس واستيطانهم بأماكن مجاورة، وليس بدعوة شعوب أخرى وضمهم إلى الديانة.

(٦) بحلول العام ٥٠٠ قبل الميلاد كانت هناك ستة عشر مملكة أو ولاية اصطُح على تسميتها بالـ «ماهاناداها»، وقد نشأت حروب بين الممالك فلم تجمعهم ديانة الهندوسية تحت راية واحدة. في العصور التالية نشأت ولايات مختلفة أخرى، تابعة لأسر مختلفة، وسيطرت كل ولاية على جزء من الأراضي الهندية.

صورة توضح محدودية انتشار الهندوسية منذ نشأتها وحتى اليوم في الهند.



٢. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للزرادشتية (المجوسية)

يعود تاريخ نشأة الديانة الزرادشتية إلى القرن السادس قبل الميلاد على الأرجح، وقد نشأت على يد زرادشت الذي ادعى أنه مبعوث الإله، ولم تلق دعوته استجابة لمدة عشر سنوات حتى آمن به وبدعوته ملك فارس «كشتاسب»^(٧)، واحتضن ملك فارس دعوة زرادشت، فأقبل الناس على الدين الجديد، واعتنق الزرادشتية معظم أهل إيران وما جاورها من البلدان.

خلال فترة الإمبراطورية الفارسية الأولى (الأخمينية)^(٨) (من ٥٥٠ ق.م. إلى

(٧) كشتاسب، ملك فارس في القرن الخامس قبل الميلاد، إيران وأذربيجان (الواقعة في شمال إيران) حاليًا.

(٨) شهدت فارس عبر التاريخ عدة إمبراطوريات. وهذه نظرة على أهم الإمبراطوريات الفارسية وتواريخها:

١. الإمبراطورية الأخمينية (الإمبراطورية الفارسية الأولى)، الفترة الزمنية: ٥٥٠ ق.م. - ٣٣٠ ق.م. المؤسس: قورش الكبير (كورش)، امتدت من نهر السند شرقًا إلى اليونان غربًا.

٢. الإمبراطورية الفرثية (الأرشاقية)، الفترة الزمنية: ٢٤٧ ق.م. - ٢٢٤ م. المؤسس: أرساك الأول. تنافست مع الإمبراطورية الرومانية وكانت حاجزًا أمام توسعها شرقًا.

٣. الإمبراطورية الساسانية. الفترة الزمنية: ٢٢٤ م. - ٦٥١ م. المؤسس: أردشير الأول. كانت قوة عظمى تنافس الإمبراطورية البيزنطية. انتشرت الزرادشتية كدين رسمي للدولة.

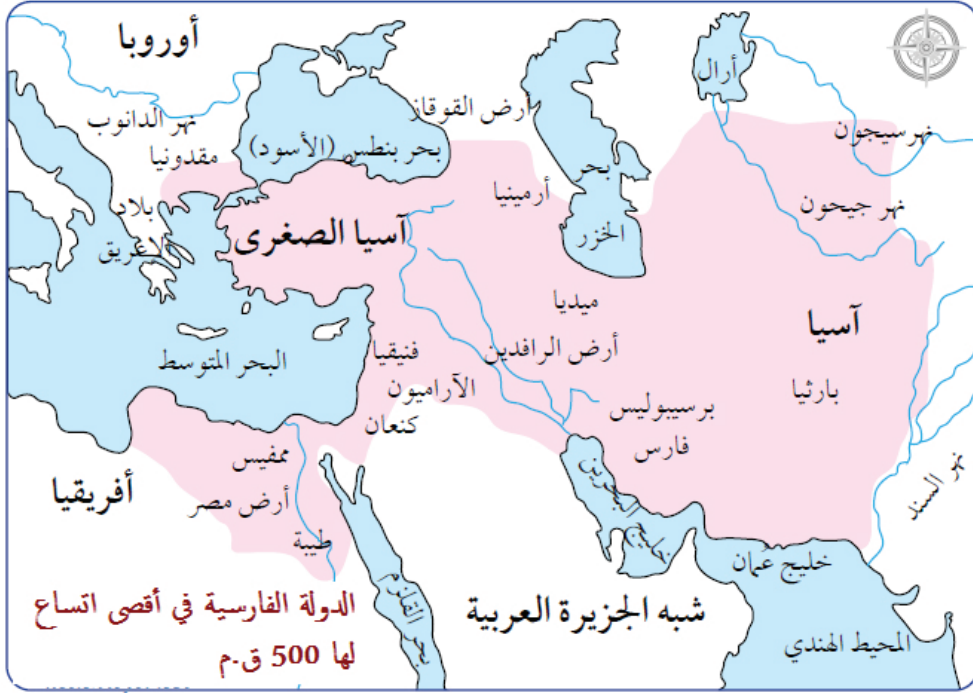
غزو الاسكندر الأكبر^(٩) ٣١٢ ق.م.) والتي كانت عاصمتها إيران، وامتدت إلى غرب تركيا، وضمت أيضًا مصر والعراق والشام وأجزاء من غرب الهند، شهدت الزرادشتية توسعًا واستقطابًا لمعتنقين جدد، ولكن كان انتشار اتباعها مقيدًا في إيران وغرب الهند، فقد كان التوسع لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية ولم تكن هناك رغبة أو محاولات نشر الديانة الزرادشتية، لذلك لا يوجد لها اتباع في الأماكن التي كانت تحت سيطرتها مثل مصر وتركيا والشام.

لا توجد تقديرات لأعداد الزرادشت في القرون التالية لنشأتها، ولكن بعد نشأة الإسلام وسقوط الإمبراطورية الساسانية على يد المسلمين في العام ٦٥١ م، لم تقم أي امبراطورية أو دولة فارسية، كان ذلك مصداقًا لقول النبي محمد ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١٠).

(٩) الإسكندر الأكبر، أو الإسكندر المقدوني، وُلد في اليونان قرابة سنة ٣٥٦ ق.م، خلف الإسكندر والده، فيليب الثاني المقدوني، على عرش البلاد سنة ٣٣٦ ق.م. انطلق في عام ٣٣٤ ق.م في حملة على بلاد فارس، فتمكن من دحر الفرس وطردهم خارج آسيا الصغرى، وتمكن من كسر الجيش الفارسي وتحطيم القوة العسكرية للإمبراطورية الفارسية الأخمينية في عدة وقعات حاسمة.

(١٠) أخرجه البخاري، برقم: (٣١٢١)، ومسلم، برقم: (٢٩١٩).

الامبراطورية الفارسية في حوالي ٥٠٠ قبل الميلاد.



وقد تقلص عدد الزرادشت من وقت سقوط الإمبراطورية الفارسية الأخيرة (الساسانية) بشكل كبير واستمر في التقلص حتى اليوم، حيث تشير التقديرات حالياً إلى انخفاض عدد أتباعها لحوالي ٢٠٠ ألفاً، وإلى قرب اضمحلال الزرادشتية.

٣. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للجينية (اليانية)

نشأت الجينية في القرن السادس قبل الميلاد، وقد نشأت الجينية في شبه الجزيرة الهندية كثورة على الهندوسية، ولم تأسس الجينية دولة أو مملكة بالرغم من أنها ديانة موجودة منذ حوالي ٢٦٠٠ سنة، ويبلغ أتباعها حالياً حوالي ٥ مليون نسمة فقط، ولم تخرج خارج الهند إلا بهجرة بعض أتباعها.

٤. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للكونفوشوسية

لم تكن هناك دولة أو مملكة كونفوشوسية بحد ذاتها، بالرغم من أنها ديانة موجودة منذ حوالي ٢٦٠٠ سنة، ويبلغ أتباعها حالياً حوالي ٥ مليون نسمة فقط، ولكن الفلسفة الكونفوشية كانت تؤثر بشكل كبير على الحكم والثقافة في الصين القديمة. كونفوشوس (٥٥١-٤٧٩ قبل الميلاد) كان فيلسوفاً صينياً ومعلماً، وتعاليمه تركت بصمة كبيرة في الفلسفة الصينية والسياسة والأخلاق.

التعاليم الكونفوشية تركز على الأخلاق والآداب والطريقة الصحيحة لإدارة الحكم والعلاقات الاجتماعية، ولكن الحقيقة أنها لم تعالج كل القضايا الاجتماعية، فتعاليمها قاصرة فيما يتعلق بقواعد وتشريعات المرأة والزواج والطلاق والميراث وغيرها من أمور لازمة لبناء أمة على قواعد شرعية عادلة.

لم تكن الكونفوشوسية ديناً بحد ذاتها فلم يتحدث مؤسسه وتلاميذه من بعده عن الغيبات والخالق والمآل بعد الحياة والثواب والعقاب ولم تضم أي من الطقوس أو الشعائر والعبادات، إلا أن التعاليم الكونفوشوسية أثرت على الثقافة والمجتمع الصيني بشكل كبير، وانتشرت إلى دول مثل كوريا واليابان وفيتنام، وقد كان تأثيرها كتعاليم وقوانين لا كديانة.

٥. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للبوذية

نشأت البوذية في القرن السادس قبل الميلاد في شمال الهند على يد مؤسسها «بوذا»، كحركة وديانة روحية، وقد كان «بوذا» راهباً ومعلماً، ولم يسع إلى إنشاء دولة أو حكم سياسي، ولم تُنشئ البوذية على مدار التاريخ دولة أو مملكة، بالرغم من أنها ديانة موجودة منذ حوالي ٢٦٠٠ سنة، ولكن انتشرت تعاليم وممارسات بوذا عبر

آسيا وأثرت على مجتمعات وحضارات مختلفة، عن طريق هجرة الاتباع، ودعوة غير البوذيين من الثقافات والديانات الهندية والصينية القديمة.



صورة توضح انحصار البوذية منذ نشأتها وهجرتها إلى الصين، واستقرارها في جنوب
وشمال الصين وفي اليابان وبعض الجزر الآسيوية

٦. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للتاوية (الطاوية)

نشأت التاوية في القرن السادس قبل الميلاد في الصين على يد مؤسسها «لاوتزو»، كديانة روحية تدعو إلى الزهد والتقشف الشديد وترك كل أمور الدنيا، ولم تكن هناك دولة أو مملكة تاوية بالرغم من أنها ديانة موجودة منذ حوالي ٢٦٠٠ سنة، ويبلغ أتباعها حالياً حوالي ٥ مليون نسمة فقط، كذلك لم تقم أي دولة أو مملكة على مبادئها فقد خلت التاوية من الأمور التشريعية، ولكن التاوية كانت تؤثر بشكل كبير على الثقافة في الصين القديمة بتبنيها للزهد والتصوف.

٧. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للشنتوية

الشنتوية هي ديانة أهل اليابان، لا يُعلم لها تاريخ نشأة أو مؤسس، ولكن يقدر الباحثون أن عمرها حوالي ٣٠٠٠ سنة. لم تنتشر الشنتوية أو تضم لها معتنقين جدد خارج حدود اليابان الجغرافية حتى يومنا هذا إلا بهجرة بعض الاتباع إلى أمريكا الشمالية، حيث تُعتبر ديناً محلياً في اليابان.

ولقد تأسست دولة امبراطورية يابانية، بداية من القرن التاسع عشر الميلادي إلى بدايات القرن العشري، معتمدة على إيمان اليابانيين بالشنتوية فسوقت لهم أن الامبراطور من نسل الآلهة الشنتوية (تؤمن الشنتوية بتعدد الآلهة ونزول بعضهم إلى الأرض وتكاثرهم عليها)، وتم تعزيز الشنتوية كدين الدولة وتقديم العبادة للإمبراطور ككائن إلهي.

٨. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للسيخية

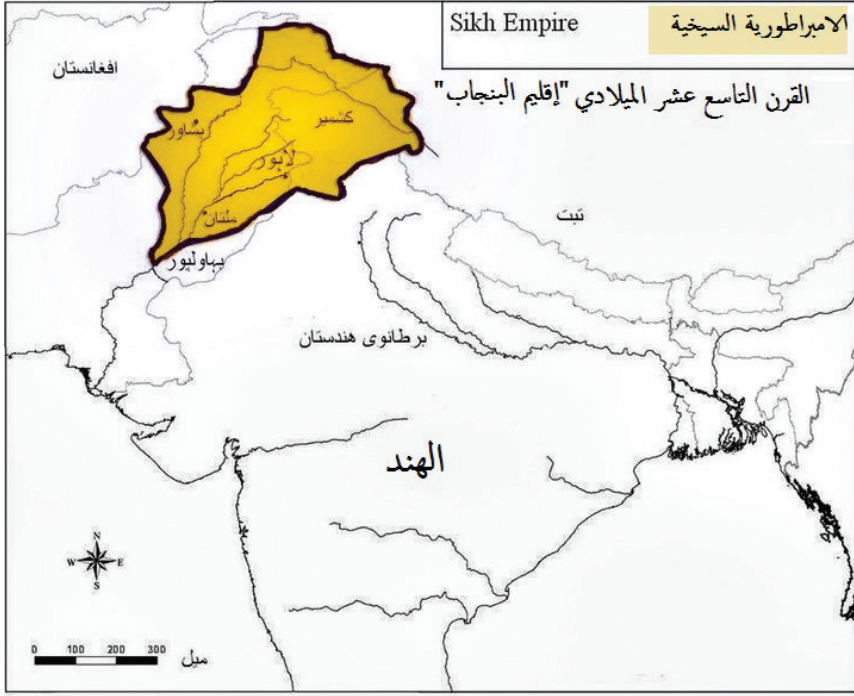
نشأت السيخية في إقليم البنجاب بشمال الهند في نهاية القرن السادس عشر، على يد مؤسسها «الجورو نانك»، كان الإقليم في هذه الفترة تحت الحكم الإسلامي فيما يسمى بسلطنة المغول (١٥٢٦-١٧٦١م)، وقد كان الإقليم يضم مسلمين وهندوس تنشأ بينهم بعض النزاعات.

كانت دعوة «الجورو نانك» لديانة جديدة سُميت بالسيخية، تحت شعار «لا هندوسية ولا إسلام»، حاول فيها دمج بعض معتقدات الإسلام مع المعتقدات الهندوسية، وقد آمن بالدعوة عدد محدود من سكان الإقليم، ولم تنتشر الدعوة خارج الإقليم إلا بهجرة بعض الاتباع.

في نهاية القرن الثامن عشر، قام المهراجا «رانجيت سينغ»، بإنشاء دولة سيخية في إقليم البنجاب، وبعد حوالي ٧٠ عامًا أي بحلول العام ١٨٤٩ تم حل الدولة بعد هزيمة الدولة السيخية في الحروب الإنجليزية السيخية.

انقسمت الهند إلى قسمين على أساس طائفي في العام ١٩٤٧ وطال التقسيم ولاية البنجاب منبع السيخية، ويضم إقليم البنجاب الهندي حاليًا حوالي ٢٨ مليون نسمة منهم حوالي ٢٣ مليونًا من السيخ، بينما يضم إقليم البنجاب الباكستاني حوالي ١٢٧ مليون نسمة أغلبهم من المسلمين. بينما قبل الانفصال كانت نسبة السيخ في إقليم البنجاب مكان نشأة السيخية ما يقرب من ١٥٪ من مجموع السكان، بينما كانت نسبة المسلمين ٥٣٪، والهندوس ٢٩٪.

لم يستقل البنجاب كدولة، وإنما أصبح إقليمًا جغرافيًا موزع بين الهند وباكستان، ولم تنتشر السيخية خارج مكان نشأتها (البنجاب)، وبالكاد استطاعت أن تضم لها اتباع جدد من الخلفيات الهندوسية الذين ربما وجدوا فيها بعض المنطق بتوحيد الإله الذي استعارته من الإسلام خلافًا لتعدد الآلهة في الهندوسية، بينما أبتقت للهندوس بعض معتقداتهم مثل تناسخ الأرواح ووحدانية الوجود.



السيخية في نهاية القرن الثامن عشر التي استمرت حوالي ٧٠ عاماً فقط



توضح الخريطة صغر مساحة البنجاب حيث تنتشر السيخية مقارنة بحجم العالم

٩. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية لليهودية

اليهودية كانت ديانة توحيدية تؤمن بإله واحد، ولكنهم اعتبروا الإله الخالق إلهًا مخصصًا لبني إسرائيل فقط، لذلك اليهودية ليست ديانة تبشيرية دعوية، بل هي ديانة يعتقد أصحابها أنها مغلقة عليهم وخاصة بنسلهم، وأنهم متميزون عن باقي البشر بهذا النسل وهذا الاختصاص الديني، لذلك لم تتوسع اليهودية بضم معتنقين جدد، ولم تخرج خارج أرضها إلا بهجرة الاتباع.

أنشأت اليهودية دولة محدودة نظرًا لانغلاقها على نسل بني إسرائيل، وذلك في عهد شاول (حوالي ١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م)، مرورًا بنبي الله داود (حوالي ١٠٠٠ - ٩٦٢ ق.م)، مرورًا بنبي الله سليمان (٩٦٢ - ٩٣١ ق.م)، ثم تفككت الدولة إلى مملكتين «مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا»، ونشأت صراعات بين المملكتين حتى السقوط النهائي للحكم اليهودي في المنطقة بغزو الاسكندر الأكبر في العام ٣١٢ ق.م.



مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا. حوالي ٩٣٠ قبل الميلاد

٩. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للنصرانية

انتشار النصرانية في تاريخها المبكر في العام ٣٣ الميلادي، بعد انتهاء زمن المسيح عليه السلام، كان هناك عدد محدود من المؤمنين بالنصرانية بمختلف معتقداتها التي تراوحت بين الإيمان به كنبي بشري، أو كإله متجسد، أو كشخص يحمل صفات إلهية وبشرية، وغيرها من معتقدات.

صارت الغلبة في النهاية للفرقة التي اعتقدت اعتقاد بولس في المسيح، بأنه ابن الله، وجاء ليكفر عن خطيئة آدم، فيما يلي نقدم التوزيع الجغرافي لاتباع النصرانية عبر مراحل مختلفة من التاريخ بداية من تاريخ النشأة.

التوزيع الجغرافي عبر التاريخ:

١. عام ٣٣ ميلادي.

الخريطة التالية، تُظهر اقتصار القدس على العدد المحدود للنصارى في عام ٣٣ م:



توزيع وانتشار النصارى في العام ٣٣م
ولا توجد أماكن على الخريطة تُظهر كثافة سكانية لهم

٢. عام ١١٢ ميلادي

تُظهر خريطة عام ١١٢م انتشار المسيحية في وقت اضطهاد الحاكم الروماني «بلييني Pliny»^(١١) للمسيحيين في «بيثينيا Bithynia» في شمال غرب آسيا الصغرى.

والخريطة تُشير إلى المدن التي تشهد على وجود مجتمعات مسيحية بحلول هذا التاريخ، وذلك من خلال نصوص العهد الجديد ورسائل إغناطيوس الأنطاكي^(١٢)

(١١) بلييني الأصغر: والي «بيثينيا» على ساحل البحر الأسود في الأناضول بتركيا؛ من ١١١ إلى ١١٣ م، وقد ساهم في اضطهاد المسيحيين في فترة ولايته.

(١٢) إغناطيوس الأنطاكي (حوالي ٣٥م - ١٠٨م): أحد آباء الكنيسة ويعتبرونه قديسًا، وهو ثالث أساقفة أو بطاركة أنطاكية، له رسائل لا تعتبر من مكونات العهد الجديد، ولكن لها قيمة تاريخية في الكنائس.

يلاحظ وجود كثافة سكانية محدودة في القدس وشمالها، وفي أنطاكية جنوب تركيا، وفي الجزء الغربي من تركيا.



توزيع وانتشار النصارى في العام ١١٢م

٣. عام ٢٥٠ ميلادي

تُظهر خريطة عام ٢٥٠ م، انتشار وتوزع النصرانية في زمن الاضطهاد العام الأول الذي مارسه الإمبراطور الروماني «ديكيوس Decius»^(١٣).

ظهرت كثافة متزايدة للسكان المسيحيين في سوريا وغرب آسيا الصغرى وأرمينيا، فضلاً عن انتشار المسيحية في النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية (روما في إيطاليا، وليون في فرنسا، وفي جنوب اسبانيا)، وانتشار المسيحية في الساحل الأفريقي الغربي (تونس والجزائر)، بالإضافة إلى انتشار المسيحية في مدينة الإسكندرية شمال مصر.

(١٣) ديسيوس (حوالي ٢٠١ - ٢٥١ م)، المعروف باسم تراجان ديسيوس، كان إمبراطوراً رومانياً من ٢٤٩ إلى ٢٥١، اشتهر باضطهاد النصارى وقتل عدد كبير منهم ممن رفض التضحية للآلهة الوثنية.



توزيع وانتشار النصراني في العام ٢٥٠م

٤. من عام ٢٥٠ إلى عام ٤٠٦ ميلادي

تُظهر الخرائط التي تم رسمها بين عامي ٢٥٠ و٤٠٦ م، انتشار النصرانية وكثافتها المتزايدة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية وخارجها في نهاية المطاف. وتتوسع هذه الخرائط لتوضح بالتفصيل المنطقة المتزايدة الاتساع التي توجد فيها المسيحية الآن، بما في ذلك بلاد ما بين النهرين وأرمينيا وإثيوبيا، فضلاً عن انتشار ضئيل على طول الساحل الغربي للهند.



توزيع وانتشار النصارى في العام ٤٠٦م

التعداد السكاني للنصارى في القرون الأولى الميلادية:

تُشير التقديرات، إلى أن التعداد السكاني للنصارى^(١٤) كان كما يلي:

العام	العدد التقريبي	العدد التقريبي (تقدير آخر)
٦٠ م.		١٠٠٠ - ١٥٠٠
١٠٠ م.		٧ آلاف - ١٠ آلاف
١٥٠ م.	٤٠ ألف	٣٠ - ٤٠ ألف
١٨٠ م.	١٠٠ ألف	
٢٠٠ م.	٢١٨ ألف	١٤٠ - ١٧٠ ألف
٢٥٠ م.	١,١٧ مليون	
٣٠٠ م.		٢,٥ مليون - ٣,٥ مليون
٣٥٠ م.	٣٠ مليون	
٤٠٠ م.		٢٥ - ٣٥ مليون

التعداد السكاني للنصارى في القرون الأولى للنصرانية.

كان القرن الرابع الميلادي، هو نقطة التحول الكبير في مسار المسيحية بعد أن

آمن بها امبراطور روما «قسطنطين Constantine»^(١٥)، في عام ٣١٢ م.

بعد اعتناق قسطنطين النصرانية، تدريجياً أصبحت النصرانية هي ديانة

الإمبراطورية الرومانية، ومركز الديانة هو «روما»، حيث أصبح «بابا روما» ممثلاً لأكبر

طائفة نصرانية في الوقت الحالي.

(١٤) مصادر التعداد: انتصار المسيحية، بارت إيرمان، ٢٠١٩.

The Triumph of Christianity, By Bart D. Ehrman, Simon & Schuster, ٢٠١٩.

والمواقع التالية (تسجيل دخول فبراير ٢٠٢٥):

https://www.animatedmaps.div.ed.ac.uk/divinity_map/textonly.html

<https://www.bbc.co.uk/teach/articles/zYvnVnb>

<https://www.thegospelcoalition.org/blogs/evangelical-history/how-many-christians-were-there-in-200-a-d/>

<https://www.thegospelcoalition.org/blogs/evangelical-history/how-many-christians-were-there-in-200-a-d/>

(١٥) الامبراطور الروماني خلال الفترة من (٣٠٦ || ٣٣٧ م)، وساهم في نشر المسيحية في انحاء الامبراطورية الرومانية.

مما سبق، يتضح أنه وصل عدد النصاري إلى مليون بعد حوالي ٢٠٠ عامًا من انتهاء زمن المسيح عليه السلام، بينما وصل عدد المسلمين إلى ٦,٥ مليون بعد ٧٠ عامًا فقط من وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، كما في الفقرة التالية.

٩. نظرة تاريخية للجغرافيا السياسية للإسلام

انتشار الإسلام في تاريخه المبكر

بدأت بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في عام ٦١٠ م، وتوفي عليه أفضل الصلاة والسلام في عام ٦٣٢ ميلادي.

كان سكان العالم، في عام ٧٠٠ ميلادي، أي بعد وفاة النبي ﷺ الصلاة والسلام بحوالي ٧٠ عامًا، يقدرون بحوالي ٢١٠ مليون نسمة، وكان المسلمون يشكلون ٣٪ من سكان العالم، أي ما يقرب من ٦,٥ مليون مسلم^(١٦).

وقد ازدادت نسبة المسلمين زيادة كبيرة، كما في الجدول التالي:

العدد التقريبي	العام
٦,٣ مليون	٧٠٠ م.
١٥,٤ مليون	٨٠٠ م.
٢٦,٤ مليون	٩٠٠ م.
٣٥,٨ مليون	١٠٠٠ م.

التعداد السكاني للمسلمين في القرون الأولى للإسلام^(١٧).

(١٦) المصادر: تاريخ دخول (فبراير ٢٠٢٥):

لعدد السكان خلال القرون: عداد العالم «World meter»:

<https://www.worldometers.info/world-population/world-population-by-year/>

لنسبة المسلمين من سكان العالم: مقدمة كتاب تعداد المسلمين في العالم، دار جوني ستانفورد للنشر،

The World Muslim Population, Houssain Kettani, Jenny Stanford Publishing, ٢٠٠١.

<https://www.jennystanford.com/٩٧٨٩٨١٤٨٠٠٣١٠/the-world-muslim-population/>

(١٧) المصادر السابقة نفسها.



توزيع وانتشار المسلمين في العام 630 م، في عهد الخلفاء الراشدين



توزيع وانتشار المسلمين في العام 750 م، في نهاية الدولة الأموية

حول انتشار الإسلام مقارنةً بالنصرانية وباقي الأديان

تُشير الخرائط السابقة، إلى سرعة انتشار الإسلام وتكوينه لدولة إسلامية امتدت سريعاً، ففي حوالي ١٤٠ عاماً بعد وفاة المؤسس النبي محمد ﷺ، امتدت الدولة الإسلامية من شبه الجزيرة العربية لتشمل شمال أفريقيا، جنوب اسبانيا، العراق، وسوريا، وإيران، وأجزاء من الهند.

مقارنة الانتشار الإسلامي بانتشار النصرانية، نجد أن النصرانية لم تكون دولة فظل الإيمان بها وقصوراً على جماعات مطاردة في أوروبا وآسيا، حتى احتضنتها الإمبراطورية الرومانية بعد حوالي ثلاثة قرون من نشأتها فعملت على نشرها.

كذلك فإن الزيادة العددية في عدد المسلمين خلال المئة عام الأولى بعد المؤسس، والتي تعدت السبع ملايين (٦,٣ مليون بعد ٧٠ عاماً)، لا تُقارن بالزيادة العددية التي حققتها النصرانية بعد ظهورها (حوالي ١٠ آلاف بعد ٧٠ عاماً من نهاية زمن المؤسس).

يضاف إلى ذلك أن انتشار الإسلام كان على حساب النصرانية والوثنية، فيفترض أن انتشاره يكون أصعب من انتشار المسيحية حيث كانت في مواجهة الوثنية فقط، ولكن ما حدث أن انتشار الإسلام كان أسرع، مما يُظهر الأدلة المقنعة للديانة، واعتمادها على البرهان العقلي في اثبات النبوة، واثبات وجود الله للوثنيين، وعلى أدلة صحة الإسلام بوجه عام، وسلوك المسلمين عامة في القرون الأولى للدعوة.

خاتمة الفصل الأول:

بعد هذه الجولة في جغرافية العالم الحديث وتوزيع الأديان بها، نلخص أهم النتائج:

١. هناك أديان محدودة الانتشار الجغرافي بالرغم من قدمها، مثل التاوية في الصين، والشتوية في اليابان، والجينية في الهند.
٢. هناك أديان محدودة من الناحية التاريخية، لذلك فهي أديان تحتضر بمرور الوقت خلافاً للأديان الحية التي تنقسم إلى نوعين: النوع الأول: ما يتشكل ويتطور من زمن لآخر فتغير مصادره وتشريعاته ليوكب متطلبات العصر ويوافق شهوات ورغبات أتباعه، بينما النوع الثاني: وهو دين واحد ثابت لم يتغير في مصادره وتشريعات وقيمه ولا في منظوماته الاجتماعية والسياسية والأسرية والاقتصادية وغيرها وهو دين الإسلام.
٣. بالرغم من العداوة الشديدة للإسلام والظاهرة في سلوك الدول الكبرى المهيمنة تجاه البلاد ذات الأغلبية المسلمة في الشرق الأوسط، أو نحو الأقليات المسلمة في بلاد مثل الهند والصين، وبالرغم من الإعلام الموجه تجاه محاربة الإسلام وتشويهه ومواجهة التدين الإسلامي، إلا أن الإسلام يزداد انتشاره في كافة بلدان العالم، فتزداد نسبة معتنقيه في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية كما سبق عرضه في طيات هذا البحث.

تمهيد الفصل الثاني

هناك مقولة شهيرة لها نصيب في الواقع وهو يصدقها، وهي: «أن التعريف بالشيء يساعد على تصوره!»، وحيث أن التعريف بكثير من الديانات نجده مبهمًا وغامضًا فيصعب تصورها وفهمها، مما يدل على اضطراب في أسسها وتعدد مصادر بناءها وعقائدها، بينما يُفترض أن الديانة التي مصدرها الخالق سبحانه وتعالى تتسم بالوضوح وبوحدانية المصدر والتشريع.

فالمقصود أن هناك ثمة سؤال (عبارة عن فرضية) وهو: هل لو تم التعريف بكل ديانة ثم عرض مصادرنا المقدسة لديها لأي شخص غير متخصص (عامي) بكل حيادية وبكل مصداقية وبشكل واضح، هل يمكنه بعد الاطلاع على ذلك أن يتعرف الدين الحق؟ كان هذا هو السؤال وهذه هي الفرضية هي سبب هذا الفصل وأترك القارئ الكريم ليبدأ جولته ويصل إلى الجواب بفطرته وعقله وما لديه من قدرات يستدل بها على الدين الحق.



• الفصل الثاني: التعريف بالديانات ومصادرها

فيما يلي نقدم التعريف بالديانات، ونبدأ بأقدم الأديان الوضعية ^(١٨) حسب تاريخ نشأتها ^(١٩)، ثم نتبع ذلك بالأديان ذات الأصل السماوي بحسب تاريخ النشأة. ويشمل التعريف أهم الاعتقادات في تلك الديانات بالإضافة إلى تاريخ نشأتها والتعريف بمؤسسها ^(٢٠).

١. التعريف بالهندوسية

الهندوسية هي ثالث أكبر ديانة على مستوى العالم، وهي ديانة نشأت في شبه القارة الهندية وتمارس على نطاق واسع في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا. ولا يُعرف للهندوسية مؤسس أو تاريخ نشأة، فأقدم كتبها يرجعه بعض المؤرخين للفترة من ٢٥٠٠-٢٠٠٠ قبل الميلاد.

• الانتشار والتوزيع في العالم:

حسب التقديرات في العام ٢٠٢٢م، فإن عدد معتنقي الهندوسية حول العالم يقدر بمليار و١٦٠ مليون شخص، أي ما يقرب من ١٥٪ من سكان العالم، ولدى الهند أكبر عدد من السكان الهندوس حيث يقدرون بمليار و٩٣ مليون هندوسي، أي حوالي ٨, ٧٩٪ من سكان الهند. ^(٢١) أما «نيبال» فلديها ثاني أعلى عدد من السكان الهندوس يقدر بحوالي ٦, ٢٨ مليون شخص، مما يقدر بنحو ٣, ٨١٪ من السكان.

(١٨) الوضعية: أي التي وضعها البشر، وهي تقابل الرسالات التي أصلها سماوي.

(١٩) وتسمى بأديان العالم القديم أو الأديان القديمة.

(٢٠) نظرًا للعدد الكبير للمراجع في هذا الكتاب واختصارًا للمواضيع الموجودة به؛ سيتم وضع المراجع في آخر الكتاب مع تقليل عدد الشواهد والاقتراسات منها وذلك لاختصار حجم الحواشي.

(٢١) مترجم من: كتاب حقائق العالم للمخابرات الأمريكية

أما البلدان الأخرى التي بها عدد كبير من الهندوس فهي: بنغلاديش وإندونيسيا وباكستان وسريلانكا والولايات المتحدة وماليزيا والمملكة المتحدة (بريطانيا) وموريشيوس.

أما في الوطن العربي فيوجد عدد قليل من العمالة الهندوس يشكلون نسبة من عدد السكان؛ ففي قطر يشكلون ١٣٪ وفي السعودية ٦,٠٪ وفي الكويت ١٢٪ وفي الإمارات ٦.٢٪ من عدد السكان (٢٢).

• الطبقات الاجتماعية في الهندوسية

ترتبط العبادات والأمور الفقهية بالطبقات الاجتماعية عند الهندوس، حيث تنقسم الطبقات الاجتماعية في الهندوسية إلى خمس طبقات تأتي بالوراثة (أربع طبقات معترف بهم، وطبقة منبوذة يُطلق عليها الأسافل)، كما يلي:

١. طبقة البراهمة، وهي الطبقة الأعلى، وهم المختصون بالأعمال الدينية.
٢. طبقة الكشترين، وهي تأتي في الترتيب الثاني للطبقات، وهم المختصون بالحكم والقتال.
٣. طبقة الويش، وهم المختصون بالتجارة والصناعة والزراعة.
٤. طبقة الشودر أو العبيد، وهم أدنى الطبقات ويختصون بالأعمال الوضيعة مثل نظافة الشوارع والمساعدة في أعمال باقي الطبقات. وهذه الطبقة غير مسموح لها بالتعلم الديني ولا توجد عليها واجبات دينية، ولا يُسمح لهم حسب النصوص الهندوسية بتملك المال؛ بل إن ما يكتسبونه هو حق لملاكهم.

٥. طبقة الأسافل أو المنبوذين، وهي الطبقة التي من خارج التصنيفات السابقة، وهم أقل من طبقة الشودر يتجولون ككلاب ضالة، ويُقدم لهم الطعام كما يُقدم للحيوانات.

ولا يسمح بالزواج المختلط بين الطبقات إلا في حالات محددة. ويمكن الانتقال من طبقة إلى أخرى في الحياة التالية حسب عمل المرء (كما سيتم بيانه في الاعتقاد بتناسخ الأرواح «تكرار المولد»).

جاء في كتاب قوانين مانو^(٢٣) (١: ٨٧): «ولصلاح هذا العالم وفلاحه، خلق الإله الأعظم «براهما» الفرق الأربع من وجهه وذراعيه وفخذه وقدميه. (٨٨) وقد عهد للبراهمة بقراءة الويدا^(٢٤) وتعليمه والقيام بأعمال يكيه^(٢٥) لأنفسهم ولغيرهم وخصهم بإعطاء الصدقات وقبولها. (٨٩) وفرض على الكشترى خمسة أمور، وهي: المحافظة على الرعية ودفع الصدقات والقيام بأعمال يكيه وقراءة الويدا وعدم الميل إلى نعيم الدنيا. (٩٠) وفرض على الويش سبعة أمور، وهي: حفظ الحيوانات

(٢٣) الأمور التشريعية والفقهية تؤخذ من كتب التشريع الهندوسي، وأهمها كتاب: «قوانين مانو»، كما سيتم بيانه في مصادر الهندوسية والكتاب مترجم باسم: «منو سمرتي» (الكتاب المقدس عند الهندوس)، إحسان حقي، دار البقطة العربية، لبنان، ١٩٨٨.

(٢٤) الويدا أو الفيديا، أهم الكتب المقدسة عند الهندوس، سيتم ذكر تفاصيل عنه في الفصول التالية.

(٢٥) لفظ يكيه يعني العبادة أو القران وأنواعه كما يلي:

- (١) برهم يكيه: أي عبادة براهما وهي أن يقوم المرء بتعليم الويدا وقراءته.
- (٢) بتر يكيه: هي أن يقدم المرء ماءً عن روح أجداده. ويسمون عملية تقديم الماء «ترين» أي إرواء الجسد. ويتم ذلك بان يأخذ المرء ماءً في وعاء كبير ثم ينقل منه بكفيه إلى وعاء آخر وهو يذكر اسم أجداده واحداً بعد الآخر في كل مرة، ثم يأخذ هذه المياه ويصبها في أصل شجرة أو في مكان مرتفع لا يوطأ بالأقدام أو يصبها في مجرى المياه لأنها أصبحت مياهاً مقدسة.
- (٣) ديو يكيه: القيام بعبادة هون وهي أن توقد النيران ويلقى فيها سمن وسكر وشعير وسمسم وأرز وشيء من البخور وتقرأ حينذاك بعض العزائم الخاصة، وذلك مرتين في اليوم صباحاً ومساءً.
- (٤) يهوت يكيه: وهو أن يؤخذ رغيفٌ ويقرأ عليه بعض من العزائم الخاصة، ثم يقطع قطعاً، وتطعم منه البقرة وطيور السماء وديدان الأرض.
- (٥) دهنش يكيه: هو إطعام ابن السبيل والضيف.

ورعيها وإعطاء الصدقات والقيام بأعمال يكيه وقراءة الويدا والإتجار والتعامل بالربا والاشتغال بالزراعة. (٩١) وفرض الإله الأعظم على الشودر أمرًا واحدًا وهو: أن يقوم بإخلاص تام بخدمة هذه الفرق الثلاثة».

وكما تم تقسيم الطبقات الاجتماعية، فهناك تقسيم آخر لمراحل حياة الهندوسي من الثلاث طبقات العليا والذين يطلق عليهم: «المولودون مرتان»^(٢٦) حيث تقسم حياتهم إلى:

١. مرحلة التلمذة: من سن الثمانية إلى حوالي الثاني والعشرين، وفيها يتعلمون «الويدا» ويعيشون على التسول، ويعطوا ما يحصلون عليه لأستاذهم الذي يعلمهم ويقيمون عنده.

٢. مرحلة العمل: وفيها يعملون ويتزوجون ويقدمون القرابين.

٣. مرحلة العبادة: وهي تأتي عندما يشيب الشخص وتظهر على وجهه التجاعيد، وفيها يترك كل ما يملك لابنه الأكبر، ويخرج إلى الغابات للتعبد، ويعيش على ما ينبت في الغابة وعلى التسول.


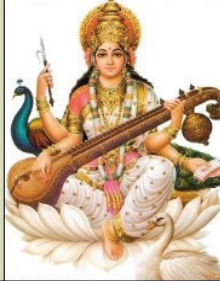




٤. مرحلة الزهد: وفيها يتجول ويعيش على التسول.

بذلك تقسم حياة الهندوسي إلى أربعة مراحل: يعمل في مرحلة واحدة منها، ويعيش المراحل الثلاثة الأخرى بالتسول والاستعفاف وهو واجب ديني وليس تكفّفًا، وللتسول طرق وأصول وأوقات.

(٢٦) الولادة الثانية، تأتي عند تعليق خيط يسمى «الجينو» في فترة التلمذة لبدء تعليم «الويدا»؛ والتعليم الديني ومراحل العمر عند الهندوس تخص الثلاث فئات الأولى من المجتمع، فلا يسمح بالتعليم الديني لطبقة الشودر بل تكون كل مراحل حياتهم هي العمل في خدمة الطبقات الثلاث الأعلى منهم، وبالطبع لا يسمح بتعلم «الويدا» لفئة الأسافل. يُنظر ترجمة كتاب «منو سمريتي»، م سابق، ص ٥٣؛ وأديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة، مصر، ط. ١١، ٢٠٠٠، ص ٢٤.

• أهم الاعتقادات الدينية

وإن كانت بعض المصادر الهندوسية تشير إلى إله واحد بدأ الخلق، إلا أن الهندوسية ديانة يغلب عليها تعدد الآلهة، فهناك إله النار وإله العواصف وإله الثروة... إلخ، كما يؤمنون بأن لبعض الآلهة زوجات وأبناء؛ يضاف على ذلك الإيمان بتجسيدات للآلهة في صور بشرية للقيام بعمل ما على الأرض، وقد آمن الهندوس مؤخرًا بثالوث إلهي كما سيتم بيانه لاحقًا.

آلهة الهندوس الرئيسية	
THE TRIMURTI (Hindu Trinity):	SHAKTIS (female aspects):
 <p>Brahma براهما الخالق</p> <p>The Creator Vehicle: swan has 4 heads, 4 arms, and a reddish complexion not commonly worshipped; not to be confused with Brahman (the ground of all being) or the Brahmin (priestly caste)</p>	 <p>Saraswati Goddess of knowledge, music, and the arts Vehicle: swan wife of Brahma sits on a white lotus playing a veena سaraswati زوجة الإله براهما</p>
 <p>Vishnu فشنو الحافظ</p> <p>The Preserver Vehicle: garuda (bird) has 4 arms, a blueish complexion, and rests on a snake was incarnated (born as an animal or human) nine times with one more still to come; is the main god of Vaishnavism</p>	 <p>Lakshmi لاكشمي زوجة فشنو - إلهة الثروة</p> <p>Goddess of wealth and prosperity Vehicle: owl wife of Vishnu usually shown bestowing coins and flanked by elephants</p>
 <p>Shiva شيفا - المدمر</p> <p>The Destroyer / Transformer Vehicle: bull has matted hair, a third eye, a blue throat and a trident in his hand often worshipped in the featureless lingam form; is the main god of Saivism</p>	 <p>Parvati بارواتي - زوجة شيفا الأولى</p> <p>The Divine Mother Vehicle: lion the reincarnation of Shiva's first wife has many forms, such as the popular Durga and Kali (see below); often shown together with Saraswati and Lakshmi as the tridevi ('triple goddess')</p>

آلهة هندوسية شعبية أخرى		
 <p>Ganesh God of the intellect and the remover of obstacles Vehicle: mouse son of Shiva & Parvati has an elephant's head</p> <p>جاتيشا - ابن الإله شيفا</p>	 <p>Murugan God of war Vehicle: peacock son of Shiva & Parvati popular in Tamil areas also known as Skanda</p> <p>موروجان - ابن الإله شيفا</p>	
 <p>Durga A fiercer form of Parvati Vehicle: tiger has ten arms holding many weapons</p> <p>دورجا - صور من صور الإلهة باوراتي</p>	 <p>Kali Goddess of time and death Vehicle: donkey usually portrayed as dark and violent</p> <p>كالي - إله الوقت والحياة</p>	
 <p>Rama The 7th avatar (incarnation) of Vishnu the central figure in the epic story <i>Ramayana</i></p> <p>راما التجسد السابع للإله فشنو</p>	 <p>Krishna The 8th avatar (incarnation) of Vishnu usually portrayed as a child and a prankster; often shown playing the flute</p> <p>كريشنا تجسد للإله فشنو</p>	
 <p>Hanuman an ape-like god known for assisting Rama</p> <p>هاتومان مساعد الإله راما</p>	 <p>Surya God of the Sun pulled on a chariot by horses</p> <p>سوريا إله الشمس</p>	

صور الآلهة الهندوسية (٢٧)

(٢٧) يلاحظ أن بعض هذه الصور تُعلّق في بعض بيوت المسلمين، دون معرفة بكونها آلهة تُعبد عند الهندوس.

كذلك يعتقد الهندوس بعدة أمور تشكل جوهر الديانة، وعلى أساسها يقع منهج حياتهم وعبادتهم، أهم هذه الاعتقادات هي «الكارما»، و«التناسخ»، و«التحرر» (النرفانا) و«الأفتار» و«وحدة الوجود».

أ. عقيدة: الكارما

الكارما هي الجزاء الدنيوي الذي يحصل عليه المرء نتيجة لأعماله ورغباته، أي العواقب التي تعود على الإنسان نتيجة لإحسانه وإساءته، أي نتيجة لفكره وعمله في الحياة الحالية أو السابقة. فمن كانت الكارما عنده سيئة، فهذا يعني أنه لم يُتقِ نفسه ويُتقِ أعماله أو كان مسيئاً في حياته السابقة. يُطلق عليها البعض: القضاء والقدر في الفكر الديني الهندي، ولكنه عندهم مرتبط بأفعال المرء على اعتبار أن الشخص يصنع قدره بأفعاله وأفكاره ورغباته، وأن الإنسان قادر على تحسين قدره بحسن العمل والأخلاق والفكر الصالح والزهد^(٢٨).

ب. عقيدة: تناسخ الأرواح «السمسارا باللغة الهندية»

يطلق بعض الباحثين على هذه العقيدة تعبيراً اصطلاحياً آخر هو: «تجوال الروح» وقد يطلق عليها «التناسخ» فقط، ويطلق عليها كذلك «تكرار المولد» و«التناسخ هو: رجوع الروح بعد خروجها من الجسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر، ويرجع سبب التناسخ أو تكرار المولد إلى:

أولاً: أن الروح خرجت من الجسم، ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.

(٢٨) باختصار وتصرف من: أديان الهند الكبرى، م سابق، ص ٥٩: ٦١، نقلاً عن: ثقافة الهند ووجهاتها الروحية، بروفيسور اتربا، ص ٤٢؛ ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣، ص

ثانيًا: أنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لا بد من أدائها؛ فلا مناص إذا من أن تستوفي شهواتها في حياة تالية واحدة أو أكثر، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة. وإذا اكتملت الميول ولم يبق للإنسان شهوة ما، وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثما، نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد، وامتزجت بالإله، سواء كان الاكتمال تم بعد الحياة في جسد واحد أو في أجساد متعددة^(٢٩).

لذلك، فإنه حسب عمل الإنسان، فإن كان محسنًا في حياته؛ فسيولد مرة أخرى في حياة أفضل، أو مستوى اجتماعي أفضل، أما إن كان مسيئًا فسيولد معاقًا أو مريضًا أو في فرقة اجتماعية أقل أو يولد كحيوان أو كحشرة. وهكذا يستمر إعادة التوالد، حتى يكون محسنًا في حياته الأخيرة ووفى كل ديونه نتيجة الأفعال السابقة، فينطلق إلى «النيرفانا» التي سيأتي ذكرها.

لذلك لا يشعر الهندوس بالتعاطف مع الطبقات الوضيعة أو مع أصحاب الأمراض، وذلك لاعتقادهم أنهم في هذه الحالة نتيجة لأفعالهم السيئة في حياتهم السابقة.

ج. عقيدة: النيرفانا

ومعناها: النجاة (ويطلق عليها الانطلاق أو النجاة أو الموكشا)، وهي حالة الروح التي بقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة ولم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد؛ فيحصل لها النيرفانا من تكرار المولد فتتعم الروح مع الخالق في جناته.

والنجاة في الهندوسية لطبقة البراهمة هي قراءة «الويدا» وعمل الصالحات وتقديم القرابين، وبذلك يصلوا إلى «النيرفانا» أي الاتحاد ببراهما الخالق. بينما النجاة في الهندوسية للطبقات الأخرى تأتي أولاً بحصولهم على ولادة تالية في طبقة

(٢٩) المصدران السابقان، ص ٦١-٦٢، و٦٣٠-٦٣١ بالترتيب.

أعلى حتى يصلوا إلى الولادة في طبقة البراهمة، وترقيهم في الدرجات يكون بالأعمال الصالحة وقراءة «الويدا» والتقدمات، وتُسْتثنى طبقة «الشودر» من القراءة والتقدمات لأنه ليس عليهم واجبات دينية بل يجب عليهم الالتزام بخدمة الطبقات الاجتماعية الأخرى بأمانة وإخلاص.

د. عقيدة الأفطار

يؤمن الهندوس بنزول الإله أو تجسده في صورة بشرية لإتمام عمل معين أو كتابة كتاب مقدس، وهناك عشرة «أفطار» أساسية في العقيدة الهندوسية، وفي بعضها تجسد الإله في شخصيات نساك أو محاربين.

هـ. وحدة الوجود

يصور الهندوس هذا المبدأ بقولهم: «خلقت الحياة من هذه الروح المسماة (أتما)، فالإنسان هو الروح الموجودة فيه، وهي سرمدية أزلية مستمرة غير مخلوقة. وعندما تجرد الروح من الظواهر المادية (جسم الإنسان) تبدأ رحلتها للعودة إلى الروح الأكبر، ولذلك يسمى تخلصها من الجسم «طريق العودة» إلى أصلها. فالكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي، فالشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق، لأن الحياة كلها اشكال لتلك القوة الوحيدة الأصلية، حتى الجبال والأنهار والبحار تفجر من تلك الروح الأصلية التي تستقر في سائر الأشياء»^(٣٠).

ولهذا فإن هذه العقيدة تعني أن الله هو كل شيء، وأن كل شيء هو الله، وهذا

معنى «وحدة الوجود»^(٣١).

(٣٠) باختصار وتصرف من: أديان الهند الكبرى، م سابق، ص ٦٥-٦٦؛ ويُنظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة-عمان، ٢٠٠٨، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٣١) مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، ص ٤٠٧.

• الفرق الهندوسية

في الهندوسية أربع طوائف رئيسة، وهذه الطوائف الأربع لديها معتقدات متشعبة بحيث تُعد كل منها ديانة كاملة ومستقلة. ومع ذلك، فإنهم يتشاركون تراثاً واسعاً من الثقافة والمعتقدات: الكارما، التناسخ، الألوهية الشاملة، عبادة المعبد، الأسرار المقدسة، الآلهة المتعددة، تقليد المعلم والويدا كسلطة كتابية، والاختلاف الرئيسي، هو أي من الآلهة الهندوسية له المكانة الأعلى والأحق بالعبادة، ولكن هذا لا يعني عدم تقديم العبادة للآلهة الآخرين.

والطوائف الهندوسية الأربع كما يلي:

١. الشيفيون

يعبدون الإله سيفا الرحيم، كما يعبدون أيضاً الآلهة جانيشا وكارتتيكيا.

٢. الشاكتيون

يعبدون الأم الإلهية شاكتي أو ديفي، وهي تجسد للآلهة الانثوية، لذلك لديها أشكال عديدة. بعضها لطيف وبعضها شرس.

٣. الفيشناويون

يعبدون الإله فيشنو وتجسيداتاه، وخاصة كريشنا وراما، وكذلك قرينته الإلهية راداراني.

٤. السمارتيون

يعبدون الإله في واحد من ستة أشكال: جانيشا، شيفا، شاكتي، فيشنو، سوريا وسكاندا. ولأنهم يقبلون جميع الآلهة الهندوسية الرئيسية، فإنهم يُعرفون بأنهم ليبراليون أو غير طائفيين.

• مصادر الهندوسية

الهندوس لا يقدسون كتابًا واحدًا بل يقدسون مكتبة كاملة، فالكتب المقدسة عندهم كتبت خلال فترة طويلة تبلغ حوالي ٢٠٠٠ عام على أقل التقديرات. وقد كتبت الكتب المقدسة في الهندوسية باللغة السنسكريتية، وهي لغة قديمة في الهند تعود لأكثر من ألفي عام قبل الميلاد، وتُمارس في طقوس الهندوسية والبوذية، ويبلغ المتحدثون بها في العصر الحديث أقل من ١٪ من سكان الهند، أغلبهم رجال الدين الهندوسي.

وقد تُرجمت الكتب المقدسة الهندوسية إلى العديد من اللغات الهندية والأسبوية بالإضافة إلى الترجمات للإنجليزية والفرنسية وغيرها. ولكن نظرًا لتعدد الكتب المقدسة عند الهندوس وكبر حجمها، فإنه لا توجد ترجمات عربية إلا لبعضها مثل (شرائع مانو، البهاجافاد جيتا، الرامايانا).

وتنقسم الكتب المقدسة الهندوسية التي تعد مصدرًا رئيسيًا للديانة إلى

مجموعتين:

• المجموعة الأولى:

ويطلق عليها نصوص «شروتى» أي النصوص الموحى بها، وأشهر هذه المجموعة هي «الفيدا» أو «الويدا»، وقد كتبت في فترة ما بين ٢٥٠٠ ق.م إلى ١٥٠٠ ق.م، ولا يُعلم كاتبها أو كتابها، والكلمة باللغة السنسكريتية معناها العلم أو المعرفة. وتتألف الويدا من أربع مجموعات كالتالي:

١. ريج ويدا (Rig Veda):

تشمل عدد: (١٠٥٥٢) «منترا»، أي: بيت شعري، يؤلفون عدد: (١٠١٧) «سوكت»، أي: أنشودة دينية، وقد وضعت ليتضرع بها أتباعها إلى الآلهة أو يتغنون بها إلى الآلهة.

٢. **ياجور ويدا (Yajur Vida):**

وتشمل العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين.

٣. **ساما ويدا (Sama Vida):**

وتشمل الأغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية.

٤. **آثار ويدا أو آتهار ويدا (Athar Vida):**

وتشمل مقالات في السحر والرقى من الشياطين.

وكل من هذه الويدات الأربع يشتمل على أربعة أجزاء وهي:

أ. «سَمَهتا Samhita»:

وهو قسم الترانيم والأناشيد والصلوات.

ب. «براهمن Barahman»:

وفيه النصوص الطقسية والأدعية، وبيان أنواع القرابين وطقوسها ومواسمها.

ج. «أرنيك أو أناياكا Aranyaka» أو «نصوص الغابة»:

وتخص المتنسكين الذين يهجرون بيوتهم من أجل العبادة والزهد.

د. «أوبانيشاد Upanishad»:

والتي تشير بمعناها الحرفي إلى الجلوس عن قرب أو بحضرة المعلم، وهي الأسرار والمشاهدات للعرفاء من الصوفية، فهي بمثابة دورات تعليمية للمبتدئين^(٣٢).

• المجموعة الثانية:

يطلق عليها نصوص «سمريتي» أي: النصوص التي تم تذكرها ونقلها من جيل

إلى جيل عبر التقليد.

(٣٢) أديان الهند الكبرى، مصدر سابق، ص ٤٢.

ومن نصوص «سمريتي» الدارما شاسترا (القوانين التشريعية)، والملاحم (تاريخ المحاربين والحروب)، والسوترات (نصوص الحكمة)، والبوران (قصص الآلهة) (٣٣).

وتنقسم كتب هذه المجموعة إلى:

١. دارما شاسترا أو دهرما سوسترا (Dharma Shastras):

وهي النصوص التي تتحدث عن القوانين والعادات للمجتمع، وأشهرهم قوانين مانو «مانو سمريتي» و«ناراد سمريتي».

ويعتبر كتاب «قوانين مانو» أشهر هذه الكتب، وهو كتاب جامع يحتوي على الشرائع التي تتبعها الطوائف الهندوسية، وهو مؤلف عتيق لا يُعرف تاريخه، ولا مؤلفه، وقد زعم البعض أنه من تأليف أول إنسان على الأرض، أو أول عارف، ولكن بعض الباحثين اعتبروه على الأصح وضع في حقب متتالية متباعدة فيما بينها، فقد ورد ذكره في المؤلفات التي يرجع تاريخها إلى القرن السابع ق.م، مما يدل على أن بعض أجزائه كتبت قبلها، وبه ذكر لما وقع في العصر البوذي، وهو على العموم يحوي الشرائع التي لا يحد عنها الهندوس المتدينون حتى الآن (٣٤).

وأما «منو» (مانو) هذا، فإن أقوال الهندوس تتضارب حول التعريف به، فأحياناً يقولون: «هو أول إنسان وجد على وجه الأرض بعد الطوفان الذي أغرق جميع المخلوقات، ومنه بدأ الخلق من جديد»، وأحياناً يقولون: «هو الراهب الأكبر الذي يقبل القرابين»، ويحددون زمنه بين ١٠٠٠ و ٦٠٠ ق.م (٣٥).

ويشتمل كتاب «قوانين مانو» على ١٢ باباً، يبدأ بالحديث عن خلق العالم والحياة، ثم يتبع ذلك الأحكام الخاصة بالإنسان والمجتمع والطبقات وغيرها.

(٣٣) الهندوسية مقدمة قصيرة جداً، كيم نوت، ترجمة أميرة علي، مؤسسة هنداي، مصر، ٢٠١٦، ص ٢٧.

(٣٤) موسوعة عالم الأديان، مجموعة من المحررين، جزء ٤، بيروت، NOBILIS، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٣٧.

(٣٥) فصول في أديان الهند، م سابق، ص ٥٣/٥٢.

٢. بورانا أو البوران (Puran):

ظهرت في الفترة من ٣٠٠ إلى ٩٠٠ ميلادياً نصوص تتناول الأساطير وتُسمّى «بوران»، وتشير هذه النصوص إلى أحداث سابقة، وتروي عادةً قصص الآلهة والإلهات. ويبلغ عدد البوران أكثر من مائة وثمانية.

٣. التاريخ أو الملاحم (Itihas)

وهي أقدم النصوص المقدسة «السمريتي»، حيث يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين عامي ٥٠٠ ق. م. و ١٠٠ بعد الميلاد، وتشمل: «مها بهارات»، و«رامانا»، و«بهاجافاد جيتا» التي تم ضمها إلى «مها بهارات». والنصوص عبارة عن قصائد طويلة تروي أحداثاً جرت في حياة محاربيين عظماء، ويظهر «كريشنا» في «مها بهارت»، بينما يلعب «راما» دوراً أساسياً في «رامانا»^(٣٦).

أ. مها بهارات (mahabharata):

واسم الكتاب مكون من كلمتين الأولى «مها» بمعنى العظيم، و«بهارات» أي الهند، واسمه يتحدث عن محتواه، وهو تاريخ الحروب الكبيرة التي وقعت في الهند. يقول أحد علماء الهندوس وهو «شري بال ديو» في كتابه (تاريخ الثقافة والحضارة في الهند): «ومما هو معروف أن مها بهارات أُلّف قبل الميلاد بثلاثمائة سنة، وكان يحتوي على مائة ألف بيت»^(٣٧).

(٣٦) الهندوسية مقدمة قصيرة جداً، م سابق، ص ٢٩؛ و «كريشنا» في الفكر الهندوسي هو: (إله شهير، يصوّر في صورة طفل، أو راعي بقر، أو سائق عجلة حربية؛ وهو تجسيد للإله فيشنو)، أما «راما» عندهم فهو: (إله آخر محبوب بوصفه ملكاً لأيوديا في شمال الهند؛ وهو تجسيد للإله فيشنو).

(٣٧) فصول في أديان الهند، م سابق، ص ٣٦.

والكتاب عبارة عن قصة تاريخية لا ندرى صحتها، وقعت بين أسرة ملكية بسبب امرأة تسمى «درويدي»، وانتهت بفوز أحد الفريقين، ولكن هذه القصة تتخللها الأفكار الفلسفية في الدين والسلوك على لسان أحد الأبطال وهو «كرشنا»؛ مما جعل هذا الكتاب مرجعاً في الأخلاق والآداب والسلوك عند الهندوس^(٣٨).

وأضيف إلى ال «مها بهارات» ملحمة أخرى هي (بهاجافاد جيتا).

ب. بهاجافاد جيتا أو جيتا (bhagavad-gita):

يُقدر تاريخ كتابتها فيما بين القرن الثاني إلى الخامس قبل الميلاد، ويطلق عليها «أنشودة الرب» أو «بهاجافاد جيتا» أو «كيتا» أو «جيتا»، وهي الأنشودة التي يُعلم فيها «كرشنا» المحارب «أرجونا» أهمية أداء الواجب وكيفية التحرر من العذاب والميلاد، وقد ضُمت إلى «مها بهارات» لاحقاً، ويُشار إليها أحياناً بال «ويدا» الخامسة، وأن مصدرها هو الوحي الإلهي نظراً لكمّ العشق الذي تحظى به^(٣٩).

وقد نال كتاب «الكيتا أو الجيتا» شهرة عالمية بين الكتب الهندوسية لاحتوائه على العلوم المتنوعة؛ ففيه قانون الجزاء (الكارما)، وفيه واجبات الزهاد والنسك، وفيه العلوم السياسية، وفيه الأحكام السلطانية، وفيه طريق النجاة من جولان الروح، ومع هذا فإن كبار علماء الهندوس يرون أن هذا الكتاب تخيلي وتمثيلي^(٤٠).

ج. رامانا أو رامايان (Ramayan)

وهذا الكتاب عبارة عن قصة تاريخية وقعت بين رجل اسمه «راما» وبين ملك سيلان اسمه «رافان»، تحارب الرجلان وانتهت القصة بفوز «راما»^(٤١).

(٣٨) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٣٩) الهندوسية مقدمة قصيرة جداً، م سابق، ص ٢٨.

(٤٠) فصول في أديان الهند، م سابق، ص ٣٩-٤٠.

(٤١) المصدر السابق نفسه.

٤. الفلسفة « Darshanas »

وهي كتب تتحدث عن طبيعة الفرد وتفاعلها مع الطبيعة، كما تتحدث عن اليوجا وممارسات التأمل.

٥. الويدا الفرعية « Upavedas »

وهي نصوص تتحدث عن الطب والموسيقى والحرب والغناء والهندسة والاقتصاد، وغيرها من أمور الدنيا.

٦. أطراف الويدا « Ved-angas »

وهي كتب لتسهيل قراءة الويدا.

٧. أجامس أو تانتارا « Agamas or Tantras »

وهي النصوص التي تتضمن طقوس بناء المعابد وإقامة التقدّمات والصلوات.

[الكتب المقدسة عند الهندوس]

الكتب المقدسة عند الهندوس	
<p>الويدا الأربعة</p> <p>ريج ويدا - ياجور ويدا - سما ويدا - آثار ويدا</p> <p>مكوناتها أو أقسامها: سمهتا، براهمن، أرنيك أو أناياكا، أوبانيشاد.</p> <p>وهي في الغالب أناشيد دينية لمدح الآلهة، ولا توجد بها أحكام أو تشريعات.</p>	<p>أولاً: نصوص شروتي أي: المسموعة أو الموحى بها.</p>
<p>كتب للتشريعات والأحكام الفقهية: مانو سمريتي أو قوانين مانو «وهو الأشهر من الكتب» - ناراد سمريتي أو قوانين ناراد - باجيفال كيا سمريتي - يارشار سمريتي.</p>	<p>١. دارما شاسترا</p>
<p>كتب تتحدث عن الآلهة، ويبلغ عدد البوران أكثر من مائة وثمانية، أشهرهم: شريماد، بهاغافتام، شيفا ماها بورانا، فيشنو بورانا، ماتسيا بورانا، براهما بورانا.</p>	<p>٢. بورانا</p>
<p>تروي قصص أبطال وملاحم، فيها تجسّدات للآلهة أو لأبناء الآلهة وقيامهم بأعمال بطولية وتضم: مها بهارات، رامانا، بهاغافاد جيتا.</p>	<p>٣. التاريخ أو الملاحم</p>
<p>كتب تتحدث عن طبيعة الفرد وتفاعلها مع الطبيعة، كما تتحدث عن اليوجا وممارسات التأمل، مثل: ميماسا، فيدانتا، سامكيا، يوجا، نيابا، فايشيشكا.</p>	<p>٤. الفلسفة</p>
<p>كتب عديدة تتحدث عن الطب والموسيقى والحرب والغناء والهندسة والاقتصاد، وغيرها من أمور الدنيا، مثل: أيورويدا، ديهوترويدا، جيندهارويدا، أرثاشسترا، ستابتيا شسترا.</p>	<p>٥. الويدا الفرعية</p>
<p>كتب لتسهيل قراءة الويدا. أهمها: شيكشا، كاليا، فياكرانا، نيروكتا، جويتيش، شاهندا.</p>	<p>٦. أطراف الويدا</p>
<p>نصوص تتضمن طقوس بناء المعابد وإقامة التقدّمات والصلوات، مثل: فايشتافا، شايفا، شاكتا.</p>	<p>٧. أجامس أو تانترا</p>
	<p>ثانياً: نصوص سمريتي أي ما تم تذكره.</p>

• ملاحظات هامة:

١. أهم الكتب عند الهندوس هي الويدا التي تحتوي على أناشيد لمدح للآلهة، وكتب التاريخ والملاحم التي تحتوي على أساطير لصراعات الآلهة على الأرض، وكتاب قوانين مانو للتشريعات والأحكام.
٢. لا يُعلم تاريخ محدد للكتب السابقة، وتتفاوت تقديرات تاريخ الكتابة بما يقدر ب ٥٠٠ عامًا لبعض الكتب.
٣. عمر مخطوطات الكتب التي يُعتمد عليها في الترجمة يبعد بقرون عديدة عن تقديرات تاريخ الكتب. كمثال على ذلك: نسخة المخطوطة التي يُعتمد عليها في ترجمة كتاب «قوانين مانو» الذي كُتب في الفترة من (١٠٠٠ إلى ٦٠٠ ق.م)، هي نسخة «كالكوتا» التي كُتبت في الفترة من القرن الأول للقرن الثالث الميلادي (أي بعد أكثر من ٧٠٠ عام على أقل تقدير^(٤٢)).
٤. اللغة التي كُتبت بها الكتب هي اللغة السنسكريتية وهي لغة ميتة في العصر الحديث.
٥. الترجمات العربية للكتب المقدسة عند الهندوس محدودة، وتشمل ترجمات لقوانين مانو والبهاجافاد جيتا، والمهاهارات، ورامانا.
٦. التشريعات الموجودة في كتب التشريع الهندوسي، مثل قوانين مانو، لا يمكن تطبيقها في الوقت الحالي نظرًا للعديد من الأسباب نذكر منها:
(أ) هي تشريعات تمت بناءً على تقسيم اجتماعي يستحيل تطبيقه في الوقت الراهن ويخالف كل مبادئ حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.

(42) «Patrick Olivelle (2005), Manu's Code of Law, Oxford University Press, pp. 382-356, 354-353
«G. Srikantan (2014), Thomas Duve (ed.), Entanglements in Legal History, Max Planck Institute: Germany, p. 123».

(ب) هي تشريعات خاصة بالهنود وسلالتهم فقط ولم تعني بغير الهنود حيث أن التقسيم الاجتماعي يعتمد على نسب الوالدين.

٢. التعريف بالزرادشتية (المجوسية)

الديانة الزرادشتية أو المجوسية، هي ديانة أهل فارس «إيران» قبل ظهور الإسلام، وقد أسست الديانة على يد «زرادشت» في القرن السادس قبل الميلاد. يقدر عدد أتباع الزرادشتية في العام ٢٠٢٤ بحوالي ٢٠٠ ألف، يعيش حوالي ١٠٠ ألف منهم في إيران، و٧٠ ألف في الهند، والباقي أقليات في كل من أمريكا الشمالية وباكستان.

اعتزل زرادشت المجتمع واهتدى بفكره إلى أنه «كما أن الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما، فكذلك الخير والشر. الخير لا بد أن يكون خيراً دائماً، والشر لا بد أن يكون كذلك. وعليه فعبادة الأوثان والتقرب لآلهة الخير لتوقع الشر ولآلهة الشر لتصنع الخير خطأ. وأن آلهة الخير لا يمكن أن تصنع شرّاً، وآلهة الشر لا يمكنها أن تفعل خيراً».

وهكذا آمن زرادشت بأن العالم تحكمه قوتان: قوة خير مطلق تتمثل في «أهورا مزدا» (إله الخير)، وشر مطلق تأتي قوته من «أهرمان» (إله الشر).

ادعى «زرادشت» أنه رسول الإله الواحد الخالق البارئ إله الخير «أهورا مزدا»، وبدأ في الدعوة بدون أي نجاح يذكر لعشر سنوات، حتى آمن به الملك «كتشاسب»، ملك فارس وأعلن أن زرادشت هو النبي الحق، فأقبل الناس على الدين الجديد، واعتنق الزرادشتية معظم أهل إيران وما جاورها من البلدان، خاصة بعض بلاد الهند.

• مصادر الزرادشتية

قدم زرادشت نصوصًا وادعى أنها بوحى من الإله «أهورا مزدا»، فأصبحت بذلك الكتاب المقدس للزرادشتية، ويطلق عليه «الأفستا أو الأّبستاق»، ويُفترض كتابته في القرن السادس قبل الميلاد.

ولكن أُتلفت الكتب وأُحرقت في غزو الاسكندر الأكبر لبلاد فارس في ٣٣٠ ق.م، وتمت إعادة كتابته بعد ذلك في القرن الأول الميلادي واكتملت في القرن الثالث الميلادي لتضم ٢١ سفرًا. ولكن فقد الكتاب مرة أخرى، وتمت كتابة خمسة أسفار فقط منه وهم الموجودون الآن^(٤٣).

كذلك فإن أقدم مخطوطة للأفستا ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، أي بعد ألفين سنة من نشأة الديانة.

والأسفار الخمسة الباقية هي:

١. سفر اليسنا:

وفيه تصوير للعقيدة الزرادشتية في مضمونها الأول، كما يشتمل على أدعية وصلوات يتجه بها إلى الله وإلى الملائكة والكائنات المقدسة.

٢. سفر الودياد «ونديادات»:

يحيوي شريعة الزرادشتين وقوانينهم التي يسرون عليها في الحياة مثل: أحكام الزواج والجنائز، والطهارة من النجاسات.

(٤٣) فقدان الأفستا وإعادة تدوينها عدة مرات، وتأخر مخطوطاتها؛ أمر لا جدال ولا شكوك حوله في كل المصادر، يُنظر: «أفستا»

الكتاب المقدس للزرادشت، ترجمة د. خليل عبد الرحمن، روافد للثقافة، سوريا، ٢٠٠٨. ومترجم من: الموسوعة

البريطانية: <https://www.britannica.com/topic/Avesta-Zoroastrian-scripture>

٣. سفر الفسبرد «ويسبرد»:

ويشتمل على أدعية وابتهالات وصلوات مكملة وطقوس ترتل في مناسبات خاصة.

٤. سفر اليشتات «يشت»:

مجموعة من مدائح وتضرعات وعبادات وقرابين وهي أناشيد تتلى في الشاء على الملائكة المكرمين في الصلاة، أو عند تقديم القرابين، كما يحوي أيضًا قصص تاريخية.

٥. خردة أفيستا «الأفيستا الصغيرة»:

سفر للأدعية والصلوات مختصرة، تتلى في أوقات من اليوم وفي الأيام المباركة وفي الأعياد الدينية وغيرها.

وقد كُتِب (الأفيستا) باللغة الأفستية، وهي لغة إيرانية قديمة قريبة من السنسكريتية الهندية. وهي لغة غير حية في العصر الحديث، وقد تُرجم ما بقي من الأفيستا إلى العديد من اللغات منها اللغة العربية.

٣. التعريف بالجينية (اليانية)

الجينية (يطلق عليها أيضًا اليانية) هي من الديانات محدودة الانتشار في العالم، وهي ديانة منشقة عن الهندوسية ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يدي مؤسسها «مهايرا».

يبلغ عدد معتقي الجينية حوالي ٥, ٥ مليون نسمة، يسكن في الهند منهم حوالي ٥, ٤ مليون نسمة.

والجينية مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد «التناسخ»، الذي تؤمن به الهندوسية، وتدعو الجينية إلى التحرر من كل قيود الحياة، والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم، كالعيب والإثم والخير والشر، كما تقوم على الحرمان البدني والتأملات النفسية، بغية الزهد الكامل وإخماد شعلة الحياة في نفوس معتققيها.

وقد رفضت الجينية آلهة الهندوسية كما رفضت السلطة الدينية والتميز الطبقي لطبقة البراهمة، لكنها لم تستطع أن تتحرر من طابعها العام وسماتها البارزة، فاتخذت لنفسها آلهة خاصة بها. بالرغم من دعوة الجينية إلى التقشف والزهد إلا أنهم يتميزون بأنهم يتمتعون بأعلى معدل معرفة بالقراءة والكتابة في الهند، ٩٤٪ مقارنة بالمتوسط الوطني البالغ ٦٥٪، كذلك فإن ٧٠٪ من الجينيين يصنفون بأنهم في الدرجة الأعلى من درجات الأثرياء في الهند^(٤٤).

• الطوائف والفرق الجينية

انقسمت الجينية إلى فرقتين رئيسيتين، ثم انقسمت كل فرقة منهما لاحقاً للعديد من الفرق الأخرى.

١. ديجامبار (Digambara):

أي العراة الذين يتخذون السماء زياً لهم، وهم طبقة الخاصة الذين يميلون إلى التقشف والزهد، ومعظمهم من الكهان والرهبان والمنتسكين، الذين يتخذون من حياة «مهافيرا» قدوة لهم، ويعتقدون أن العرفاء الكاملين لا يقتاتون بشيء، ويقولون: إن من يملك شيئاً من متاع الدنيا ولو كان ثوباً واحداً يستر به عورته لا ينجو. وتبلغ نسبة اتباع طائفة الدياتامبارا حوالي ٢٠٪ من نسبة الجينيين في العالم.

(٤٤) باختصار وترجمة من تقرير مركز «بيو» (ديسمبر ٢٠٢٤):

٢. سويتامبار (Svetambara):

أي: أصحاب الزي الأبيض، وهم طبقة العامة المعتدلون الذين يتخذون من حياة «مهافيرا» الأولى في رعاية والديه نبراسًا لهم، حيث كان يتمتع حينها بالخدم والملذات، إذ يفعلون كل أمر فيه خير، ويتعدون عن كل أمر فيه شر، أو إزهاق لأرواح كل ذي حياة، يلبسون الثياب، ويطبقون مبادئ الجينية العامة على أنفسهم. وتبلغ نسبتهم حوالي ٧٥٪ من نسبة الجينيين في العالم، بينما حوالي ٥٪ ينتمون لطوائف جينية أخرى صغيرة.

• أهم الاعتقادات الدينية

يقوم فكر الديانة الجينية أصلاً على بعض الأفكار والعقائد الهندوسية نظرًا لنشأتها من الديانة الهندوسية، ولكنها صاغت تلك الأفكار والعقائد بصيغة مميزة لها:

أ. الكارما:

الكارما في الهندوسية هي الجزاء الدنيوي الذي يحصل عليه المرء نتيجة لأعماله ورغباته كما تم بيانه سابقاً، ولكن الجينية اعتبرت «الكارما» كائناً مادياً يلازم الانسان وعليه أن يتخلص منه بالتقشف حتى يصل للنجاة، ولا يحدث معه تكرار للمولد.

ب. تناسخ الأرواح «السمسارا»

كما في الهندوسية، فحسب عمل الإنسان؛ إن كان محسناً في حياته فسيولد مرة أخرى في حياة أفضل، أو مستوى اجتماعي أفضل، أما إن كان مسيئاً فسيولد معاقاً أو مريضاً أو يولد كحيوان أو كحشرة. وهكذا يستمر إعادة التوالد، حتى يكون محسناً في حياته الأخيرة ووفى كل ديونه نتيجة الأفعال السابقة، فينتقل إلى النيرفانا أو الخلاص.

ج. عقيدة النيرفانا

النيرفانا أو النجاة في الجينية تتشابه مع المفهوم الهندوسي في أنها التخلص من تكرار المولد، وأنها تأتي بالتغلب على الكارما وذلك بالزهد والتقشف والعمل الصالح، ولكن نظرًا لعدم اعتراف الجينية بالخالق العظيم للكون، فإن النيرفانا أو النجاة عندهم لا تعني الاتحاد مع الخالق أو النعيم في جنات الخالق، بل تعني أن يصبح الإنسان روحًا إلهية خالدةً.

فوفقًا للجينية، أي إنسان وصل إلى حالة التقوى يعتبر إلهًا، وبذلك يمكن أن يكون هناك العديد من الآلهة. فحسب اعتقادهم؛ كان «ماهافيرا» إلهًا لكنه لم يكن الإله الوحيد، بل كان هناك العديد من الآلهة الأخرى أيضًا.

د. تآليه الإنسان

تؤمن الجينية أن الإنسان إن استطاع التغلب على الكارما السيئة الموجودة في داخله من شهوات ورغبات، فإنه يتحول إلى إله يستحق العبادة، وعندما يموت تتحول روحه إلى روح خالدة في الكون تستحق العبادة أيضًا.

• مصادر الجينية

لا يعتقد اليانيون «الجينيون» بكتاب مقدس من السماء، فنشأتهم كانت ثورة على الهندوسية وآلهتها، وقد جعلوا من خطب ومواعظ «ماهافيرا المؤسس»، ورهبان الجينية من بعده كتبًا مقدسة.

ويعتبر معتنقو الجينية أن وعظ مؤسسها «ماهافيرا» كان شفهيًا إلى تلاميذه في العديد من النصوص، وقد تم نقل هذه المعرفة شفهيًا من الأشاريين، وهم المعلمون الخبراء بأمور الدين.

ويقول الأتباع: إن الرهبان كانوا يتبعون تعاليم الجينية، ولكن لم يتم توثيق المعرفة الدينية، وعلى مدار الوقت، وفي حوالي ٥٠٠ م، أي بعد ألف عام من وفاة «مهافيرا»، أدرك الأشاريون أنه من الصعب للغاية الاعتماد على الذاكرة للحفاظ على تعاليم الجينية بالكامل كما فعل العديد من العلماء في الماضي والحاضر، وقالوا بأنه قد تم بالفعل فقدان قدر كبير من المعرفة، وتم تلويث الباقي بالتعديلات والأخطاء، ومن ثم قرروا توثيق المحاضرات والتعاليم الجينية كما هي معروفة لهم.

والكتب المقدسة عند الجينيين كُتبت بلغة البراكرت، وهي لغة متطورة عن السنسكريتية وقد كانت تستخدم في الهند في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثامن الميلادي، وهي لغة غير حية في الوقت الحالي. وقد تُرجمت الكتب المقدسة عند الجينيين إلى اللغات الهندية، والإنجليزية وغيرها ولا توجد أي ترجمات عربية لكتبهم.

وتنقسم الكتب المقدسة الجينية إلى نصوص «أنج أجاما» (أي الوعظ المباشر لمهافيرا)، ونصوص «خارج أنج أجاما» (وهي توسعات لـ «أنج أجاما» من قبل المعلمين الزاهدين)، وتعتقد فرقة سويتامبار أن الكتب موجودة، بينما تعتقد فرقة ديجامبار أن الكتب فقدت كلها، وتستبدلها بكتب عديدة كتبها رهبانها في أوقات متأخرة.

سويتامبار

تؤمن بأن الـ (١١) كتاباً من «الأنج أجاما» موجودين، وتؤمن بالعديد من الكتب الأخرى التي تسميها «خارج الأنج أجاما»

ديجامبار

تؤمن بأن الـ (٢٥) كتاباً «١١ أنج أجاما» و١٤ «خارج الأنج أجاما» مفقودين وتستبدلهم بكتب أخرى

٤. التعريف بالكونفوشيوسية

الكونفوشيوسية ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم.

هناك سؤال أثار الكثير من الجدل؛ وهو:

هل الكونفوشيوسية دين أم مذهب فلسفي؟

الواقع أن كونفوشيوس لم يكن نبياً، ولم يدع ذلك، ولم يدع أنه أتى بدين جديد، بل كان يعتقد أنه من الذين وهبوا تفويضاً من السماء؛ ليقوموا بإرشاد الناس وهدايتهم، فقد كان مداوماً على إقامة الشعائر والطقوس الدينية الموجودة في عصره، وكان يعبد الإله الأعظم في الصين «السماء»، والآلهة الأصغر «إله الأرض»، بالإضافة إلى عبادة «أرواح الأسلاف».

وقد خلت الكونفوشيوسية بوجه عام من الحديث حول الغيبيات، وخلت من طقوس العبادة، فلم تكن الكونفوشيوسية ديناً جديداً في وقت كونفوشيوس، حيث ارتكزت تعاليم كونفوشيوس وتلامذته من بعده على الأخلاق والتربية والفلسفة والحكم. ولكن بعد موت كونفوشيوس، قام أتباعه بالمغالاة في شخصه، واستمرت المغالاة تدريجياً حتى تم تأليهه.

يبلغ عدد معتنقي الكونفوشيوسية حوالي ٦ مليون نسمة، يسكن أغلبهم الصين، يشكلون أقل من ٠,٠٠١٪ من تعداد الشعب الصيني البالغ مليار و٤٠٠ مليون نسمة، هذا بالرغم من أنه في القرن الأول الميلادي تم اعتبار الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للدولة الصينية، واستمر هذا الوضع تقريباً إلى عام ١٩١٢م، حيث تحولت

الصين إلى النظام الجمهوري، مما أدى إلى اختفاء الكونفوشيوسية من الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت ماثلة في الأخلاق والتقاليد الصينية.

وفي سنة ١٩٢٨م صدر قرار بتجريم تقديم القرابين لكونفوشيوس ومنع إقامة الطقوس الدينية له. ولكن تشهد الصين هذه الأيام عودة لتقاليد الكونفوشيوسية وذلك على المستوى الحكومي والشعبي، باعتبار أنها تمثل الأساس الرئيس للنظم الاجتماعية في الصين الوطنية (٤٥).

مصادر الكونفوشيوسية

تقدس الكونفوشيوسية مجموعتين من الأسفار «الكتب»:

المجموعة الأولى:

يسمونها الكتب الخمسة «وو جينج»، وهي كتب صينية قديمة، تاريخ أربعة منها قبل كونفوشيوس. بينما المجموعة الثانية: يطلق عليها الكتب الأربعة «سي شو»، وهي نصوص منسوبة لكونفوشيوس نفسه، ومنها ما قد يكون لبعض تلامذته، وقد تم تدوينها بعده مضافا إليها بعض التفسيرات أحيانا (٤٦).

المجموعة الأولى من الكتب (الكتب الخمسة):

هذه المجموعة من الكتب كانت موجودة أثناء حياة كونفوشيوس، أربعة منها هي كتب قديمة استمد كونفوشيوس إلهامه منها وهي الكتب الكلاسيكية (الصينية)، بينما يقال بأن كونفوشيوس هو من كتب الكتاب الخامس وهو كتاب الربيع والخريف.

(٤٥) الكونفوشيوسية، د. ناصر بن فلاح الشهراني، مركز الملك فيصل للبحوث-الرياض، ط.١: ٢٠١١، ص ١٩٠، ١٩٢.

(٤٦) مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، م سابق، ص ٤٥١؛ والكونفوشيوسية، د. ناصر بن فلاح الشهراني، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ٢٠١١، ص ٢٠٩-٢١٠.

وتشكل هذه الكتب الخمسة المجموعة الأولى من الكتب المعتمدة عند الكونفوشيوسية:

١. كتاب الشعر «كتاب القصائد»: وهو مجموعة من الأشعار تضم (٣٠٥) أغنية إلى جانب ستة توأشيع دينية تغنى بمصاحبة الموسيقى، وقد صورت القصائد الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية.
 ٢. كتاب التاريخ: وهو مجموعة من السجلات والخطب والوثائق الرسمية التي تم تسجيلها للفترات من حوالي ٢٠٠٠ ق.م إلى ٦٣٠ ق.م.
 ٣. كتاب الطقوس ويسمى «الشريعة أو التقاليد»: وهو مجموعة من القواعد التي تنظم السلوك الاجتماعي والطقوس الدينية.
 ٤. كتاب التغيرات: ويحتوي تمارين خاصة في الكهانة وقراءة المستقبل، ويتسم الكتاب بالغموض الفائق والرمزية التي كثيراً ما تخفي المعنى المقصود.
 ٥. كتاب الربيع والخريف: وهو كتاب ألفه كونفوشيوس نفسه، ويتضمن مجموعة من السجلات التاريخية المختلفة، تلك السجلات سميت بـ «حوليات الربيع والخريف». وقد سجل كونفوشيوس في هذا السفر الأحداث التاريخية لأمانة «لو» التي هي مسقط رأسه من سنة (٧٢٢ ق.م إلى ٤٨١ ق.م) (٤٧).
- المجموعة الثانية من الكتب (الكتب الأربعة):

ويطلق عليها اسم «الكتب الأربعة» وهي الكتب التي ألفها كونفوشيوس وأتباعه مدونين فيها أقوال أستاذهم مع التفسير تارة، والتعليق أخرى، وهي تمثل فلسفة كونفوشيوس ذاته، وهي:

١. مختارات كونفوشيوس، أو «الأخلاق والسياسة» أو «الحوارات» Analects:

وهي مجموعة آراء ونصائح ومواقف لكونفوشيوس، وقد قام تلامذته بجمعها وتنسيقها، وكلها تعاليم توجه الإنسان باتجاه الكمال في القيم. ويعد هذا الكتاب ملخصاً لفلسفة كونفوشيوس حتى ذهب البعض إلى تسميته باسم «إنجيل كونفوشيوس».

٢. كتاب العلم العظيم أو «المعرفة الكبرى» The Great Learning:

ويضم أبرز تعاليم كونفوشيوس حول نظام الحكم، وهو من عمل شخص لاحق من تلامذة الكونفوشيوسية. وهدف الكتاب تعليم الأشراف والأمراء، وقد كان الكتاب الأول الذي اعتاد الصبيان قراءته في المدارس. ويرى المؤرخون «أن تجميع الكتاب يعزى إلى تلميذ كونفوشيوس (تشينج-تزو: ٥٠٥ - ٤٣٦ ق.م.)»^(٤٨).

٣. عقيدة التوسط أو «الانسجام المركزي» Central Harmony:

ويجمع العلماء على أن «تزو سو» (٤٩٢ - ٤٣١ ق.م) حفيد كونفوشيوس هو المسؤول عن تجميع هذا الكتاب. والكتاب يتضمن أقوال كونفوشيوس حول الاعتدال، ممجداً لفضيلة التوازن والتناغم سواء بالنسبة للإنسان وطبيعته الأخلاقية، أو اتساق ظواهر الكون.

٤. كتاب منشيوس Mencius:

ويحوي حكمًا وأمثالاً عائدة لكونفوشيوس أو لبعض تلامذته، مع شروح وحواشي وضعها منشيوس (الذي يعد من الشراح الأوائل لفكر كونفوشيوس).

محتوى كتب الكونفوشيوسية:

كُتبت الكتب المقدسة في الكونفوشيوسية باللغة الصينية القديمة التي تطورت مع الوقت إلى الصينية الحديثة (الأيسر منها)، ولغة الكتابة لا تزال لغة حية في الصين وفي العديد من البلدان الأخرى.

وقد ترجمت بعض الكتب المقدسة في الكونفوشيوسية للعديد من اللغات، وتُرجم كتاب حوارات كونفوشيوس وهو الوحيد الذي يحوي الكلمات المنسوبة له إلى العربية عدة ترجمات بأسماء مختلفة^(٤٩)، كما حظيت شخصية كونفوشيوس بالاهتمام المبالغ فيه من العلمانيين العرب حيث قاموا بترجمة العديد من الكتب الأجنبية التي تتحدث عنه، وكتابة العديد من الكتب بالعربية عن حكمته وفلسفته^(٥٠).

٥. التعريف بالبوذية

نشأت البوذية في القرن السادس قبل الميلاد كثورة على الهندوسية ونظام الطبقات الاجتماعية فيها، ورفضت البوذية مثلها مثل الجينية آلهة الهندوس، وقد نشأت علي يد مؤسسها بوذا، وبوذا (BUDDHA) ليس اسمًا ولكنه لقب بمعنى:

(٤٩) منها: محاورات كونفوشيوس، ترجمة محسن سيد فرجاني، المجلس الأعلى للثقافة-مصر: ٢٠٠٠م.

(٥٠) منها: كونفوشيوس، رائد الفكر الإنساني، د. صلاح بسيوني رسلان؛ فلسفة الأخلاق والسياسة «المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس»، د. هالة أبو الفتوح.

«العارف أو المستنير». وقد سارت البوذية مثلها مثل الجينية في إطار الفكر الهندي المتمثل في الديانة الهندوسية في أكثر المبادئ.

والبوذية تُنكر وجود إله خالق، ورغم ذلك، فإنها تعترف بوجود كائناتٍ خارقةٍ للطبيعة مثل الآلهة والأرواح، لذا اقترح البعض الحاجة إلى تصنيفٍ جديدٍ يناسب البوذية وهو أنها دين «لا إلهي»، لكي تدخل البوذية تحت مظلة الأديان لا تحت مظلة الفلسفة^(٥١).

بدأت البوذية كفكرة فلسفية من بوذا المؤسس حيث رأى أن الألم موجود في كل مراحل الحياة، وأن النجاة تكون بإعدام الألم وذلك عن طريق إعدام الشهوة والهوى والظما والرغبة إعدامًا باتًا^(٥٢).

قال بوذا في إحدى خطبه: «أيها الرهبان، هذه هي الحقيقة المقدسة عن سبيل إعدام الألم: سلوك الطريق المثمن (أي: ذي الثمان شعب): «الاعتقاد الصحيح، العزم الصحيح، القول الصحيح، العمل الصحيح، العيش الصحيح، الجهد الصحيح، الفكر الصحيح، التأمل الصحيح»^(٥٣).

وقد خلت تعاليم بوذا من الطقوس والشعائر ولكن مع تطور الوقت والتحول إلى عبادة بوذا وأمثاله «المستنيرين»، أو الذين في طريقهم للاستنارة، نشأت بعض الطقوس الدينية، ولا يعتقد البوذيون أن هناك إلهًا قادرًا (ولا بوذا نفسه) على تغيير حياتهم أو الاستجابة لهم، ويفسرون انحنائهم لتمثال بوذا بأنه على سبيل التقدير والاحترام والحصول على الإلهام ليصيروا مثله.

(٥١) البوذية، مقدمة قصيرة جدًا، داميان كيون، ت: صفية مختار، مؤسسة هندواي، ط ٢٠١٦، ص ١٧-١٩.

(٥٢) المصدر السابق، ص ٦٢؛ وأديان الهند الكبرى، م سابق، ص ١٣٣، ١٥٢، ١٥٦؛ و مترجم من: تعاليم بوذا، ص ١٠، Teaching of Buddha, BUKKYO DENDO KYOKAI, Kosaido, Tokyo, 2005.

(٥٣) أديان الهند الكبرى، م سابق، ص ١٥٦؛ وتعاليم بوذا، م سابق، ص ٣٩. (إن افترضنا ٧ نقاط صحيحة من الثمانية، فأين الاعتقاد الصحيح؟ الذي لو فقد ضاعت معه كل الطرق إلى الله تعالى)

يبلغ عدد البوذيين في العالم حوالي ٥١٠ مليون نسمة، أي ما يقرب من ٧٪ من سكان العالم، يعيش أغلبهم في الصين وتايلاند وميانمار واليابان وسريلانكا. تشترك البوذية مع الهندوسية والجينية في الاعتقاد بالكارما والتناسخ والنيرفانا، لكن النيرفانا عند البوذية تعني الوصول للاستنارة.

• الفرق البوذية

على مدار القرون تكوّنت العديد من الطوائف والمذاهب البوذية، ويوجد فرق كبير بين البوذية المحافظة الموجودة في جنوب آسيا في بلدان مثل سريلانكا وبورما وتايلاند، وبين مذاهب الشمال المجدّدة في العقيدة الموجودة في التبت وآسيا الوسطى والصين واليابان.

وقد تعددت الفرق البوذية، حتى أن اليابان وحدها بها حوالي ١٣ طائفة رئيسية للبوذية، تتفرع منهن العديد من الطوائف الأخرى، وفيما يلي أهم الطوائف البوذية:

١. التيرافادا «الهييناينا - العجلة الصغرى»

يشيع هذا المذهب في جنوب آسيا، ويعنى هذا الاسم «التعاليم الملزمة» أو «التعاليم الأصلية»، على الرغم من أن الترجمة الشائعة له هي «عقيدة الأقدمين»، ويُعتبر هذا المذهب نفسه حاضناً للتعاليم القديمة الأصلية التي تعود إلى «بوذا» نفسه.

٢. الماهايانا

يشيع هذا المذهب في شمال آسيا وتعني «العربة الكبرى»، وقد نشأت طائفة الماهايانا فيما بين ١٠٠ ق.م و ١٠٠ بعد الميلاد، ويُعرّف الأفراد البوذيون أنفسهم باعتبارهم تابعين لإحدى هاتين «العائلتين».

٣. البوذية الباطنية

ظهرت البوذية الباطنية في القرن السادس في الهند، وتضمنت العديد من الممارسات المختلفة للحث على حالة التنوير. يُعرف هذا الشكل من البوذية باسم مقصور على فئة معينة لأنه تم التركيز على نقل الصيغ السرية (المانترا) والإيماءات (مودرا) والمخططات (الماندالا) من المعلم إلى التلميذ. البوذية التبتية المعروفة باسم فاجرايانا، هي الشكل الأكثر انتشارًا للبوذية الباطنية، لكن الطوائف الأخرى تضم أيضًا ممارسات باطنية، لا سيما طائفة شينجون (الكلمة الحقيقية) في اليابان.

٤. بوذية زين / تشان

تشدد بوذية زن (تشان بالصينية) على جهود الفرد لتحقيق التنوير من خلال التأمل. يتبع بوذيو الزن هذا التقليد على طول الطريق إلى بوذا التاريخي الذي حقق التنوير لأول مرة أثناء جلوسه في التأمل. نقل الحكيم الهندي بوديهارما العقيدة إلى الصين في القرن السادس. أصبحت بوذية الزن شائعة في اليابان خلال فترة كاماكورا (١١٨٥-١٣٨٢) (٥٤).

(٥٤) يُنظر: البوذية، مقدمة قصيرة جدًا، م سابق، ص ٢٦؛ و مترجم من: إجابات عن الديانات، ص ٣٣٤: ٣٣٦

الجدول التالي يوضح العقائد المشتركة بين الثلاثة أديان:

البوذية	الجينية	الهندوسية	العقيدة المشتركة / الديانة
			الكارما قانون الجزاء والعقاب (كل إنسان يحصل على جزائه في الدنيا بناءً على أطماعه ورغباته)، يتشابه إلى حد ما في الديانات الثلاث
يؤمنون بالتناسخ ولكن إن تخلص الإنسان من الرغبات والشهوات بالزهد، وصل إلى الاستنارة فيولد في عالم الآلهة	يؤمنون بالتناسخ ولكن إن تخلص الإنسان من الرغبات والشهوات بالزهد تحول إلى إله يستحق العبادة أثناء حياته وبعد موته	إن كان مسيئاً ولد في حالة بشرية أسوأ أو كحيوان أو حشرة، وإن كان محسناً ولد في حالة اجتماعية أفضل؛ وإن كان محسناً وهو في حالة اجتماعية عالية اتحد بالإله	التناسخ (تكرار المولد)، والنجاة منه (الخلاص أو النيرفانا)

• مصادر البوذية

البوذيون لا يدعون أن كتبهم المقدسة منزلة من السماء، وإنما ينسبونها إلى «بوذا»، وقد حفظ أتباع «بوذا» عنه أحاديثه وخطبه وأمثاله، ولكن بعد وفاة «بوذا» ظهر الخلاف بين أتباعه كما ظهر الاختلاف لبعض الأحاديث ونسبتها إليه، فعقد أتباعه مجلساً في «راجاجرها» سنة (٤٨٣ ق. م) ليزيلوا أسباب الخلاف، وليقربوا أو يوحّدوا الأتباع عن طريق تحديد ما قاله «بوذا» وأتباعه، ولما احتشد القوم سألوا أحد تلاميذه «كاسي أبا» أن يقرأ عليهم آراء بوذا عما وراء الطبيعة، فقرأها عليهم فتلقوها ورووها عنه، وسألوا أسن مريدين بوذا الأحياء «أوبالي» أن يتلو عليهم شريعة «النظام»، فقرأها

عليهم فتلقوها ورووها عنه، ثم سألوا أحب المريرين عند بوذا «أناندا» أن يلقي عليهم ما سمعه من بوذا من حكايات وأمثال ومواعظ ففعل، وتلقوها ورووها عنه^(٥٥).

وظلت هذه الروايات شفوية يتلقاها جيل عن جيل حتى عهد الملك «أسوكا»^(٥٦)، وفي ذلك الحين كان قد ظهر فيها شيء من التحريف والزيادة، فخاف الزعماء والشيوخ على ضياع هذا التراث فاستقر رأيهم على كتابة هذه المجموعات الثلاث فكتبوها، ويظهر أنهم وضعوا كل مجموعة في سلة خاصة ليعلقوها بعيدة عن الضرر وكمبالغة في تقديسها، ولذلك سميت هذه المجموعات بـ «السلال الثلاث أو البيتكات» (Pitakas)، وتحوي السلة الأولى: العقائد، وسميت «سلة العقائد الخاصة» أو (الملحقات)، وتحوي السلة الثانية: الشريعة، وسميت «سلة الشريعة، وتحوي السلة الثالثة: الحكايات، فسميت «سلة الحكايات». وهذه السلال الثلاث يقال لها «القانون البالي»، وسميت بالقانون البالي نسبة إلى لغة البالي (Pali) التي دونت بها^(٥٧).

بمرور الوقت ومع نشأة طائفة «الماهايانا» في الهند في القرن الأول قبل الميلاد، وانتشارها في آسيا الوسطى والصين واليابان وجنوب شرق آسيا وجاوا وسومطرة وسريلانكا، وتضمن تعاليمها تحولات أساسية في العقيدة والنهج، أضفت هذه الفرقة العديد من الكتب الإضافية واعتبرتها من تعاليم بوذا.

(٥٥) أديان الهند الكبرى، م سابق، ص ١٨٦، نقلاً عن:

Berry. Religions of the world. P. 46 :45.

F Allen p. Buddha s Philosophy. p 28 و

(٥٦) الإمبراطور أشوكا أو أسوكا (Ashoka, Asoka). ولد عام ٣٠٤ قبل الميلاد وتوفي عام ٢٣٢ قبل الميلاد، كان أهم حكام الإمبراطورية الماورية بالهند، حكم بين ٢٧٣-٢٣٢ ق.م، وكان له دور كبير في ترسيخ وحدة بلاد شبه قارة الهند، وفي نشر تعاليم البوذية في الهند وخارجها.

(٥٧) المصدر السابق، ص ١٨٦-١٨٧، نقلاً عن:

Berry. Religions of the world. P. 46 :45.

وكما سبق ذكره فقد كُتبت الكتب المقدسة البوذية باللغة «البالية»، وهي لغة مشتقة من لغة «البراكريت»، ولا تزال تستخدم اللغة «البالية» في جزر بالي وشرق جاوا في إندونيسيا. وقد ترجمت العديد من الكتب المقدسة في البوذية للعديد من اللغات، وتوجد ترجمات عربية لبعض منها^(٥٨).

ولا توجد مخطوطة كاملة للكتاب المقدس عند البوذيين «السلال الثلاث» قبل القرن الرابع عشر (بعد بوذا بحوالي ١٩ قرناً)، بل إن أقدم المخطوطات غير المكتملة والتي تحتوي غالباً على جزء ضئيل للغاية من النصوص تختلف المصادر حول تاريخها، فبعض المصادر تدعي وجود بعض القصاصات من القرن الأول الميلادي (بعد بوذا بخمسة قرون)، بينما مصادر أخرى تذكر أن أقدم القصاصات تعود إلى ما بين القرن الخامس والسادس الميلادي (بعد بوذا بعشرة قرون). وقد تم اكتشاف أقدم مخطوطة باللغة البالية في نيبال ويرجع تاريخها إلى القرن التاسع. وهي على شكل أربع صفحات من أوراق النخيل. بينما يرجع تاريخ أقدم المخطوطات المعروفة من سريلانكا وجنوب شرق آسيا إلى القرنين الثالث عشر والخامس عشرن وقد نجا عدد قليل جداً من المخطوطات التي يزيد عمرها عن ٤٠٠ عام^(٥٩).

٦. التعريف بالتاوية (الطاوية-الداوية)

التاوية أو الطاوية أو الداوية، هي إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد. أمّا التسمية، فقد ظهرت في وقتٍ متأخرٍ خلال مملكة «هان الأولى» في القرن الأول قبل الميلاد. والتاوية ديانة تقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفاً سليماً من الحضارة والمدنية والعمل والتخطيط.

(٥٨) منها: إنجيل بوذا، ترجمة: عيسى سبابا، مكتبة صادر، بيروت، لبنان، ١٩٥٣.

(59) Anālayo (2012). «The Historical Value of the Pāli Discourses». Indo-Iranian Journal. 253-223 : (3)

Von Hinüber, Oskar (2000), A Handbook of Pāli Literature, Berlin; New York: Walter de Gruyter

تتسم التاوية بالتصوف، حيث يجب على التاوي أن ينظف نفسه من جميع المشاغل والشوائب؛ ليوحد في داخله فراغاً هو في الحقيقة الامتلاء نفسه، وذلك بالوصول إلى الحقائق المجردة، ويتم ذلك عن طريق التجرد من الماديات؛ ليصبح الإنسان روحاً خالصاً.

تعتبر التاوية ديانة صينية محلية خاصة لم يتم الدعاية لها في خارج الصين، وهي تُعبر عن حُب الصينيين للطبيعة وتقديسهم لها، فهي ديانة تحاول التوفيق بين الإنسان والطبيعة، وترشد المؤمنين بها إلى كيفية العيش في وئام مع الكون، فالكمال في التاوية يأتي باتّباع الطبيعة وطرقها، والاستسلام لها والتأمل والنظر فيها، وتطوير السلوك الأخلاقي في إطارها وفي النهاية: محاولة الاتحاد معها (٦٠).

يبلغ عدد معتنقي التاوية ما يقرب من ٧ ملايين نسمة، يتركز أغلبهم في الصين، يشكلون أقل من ٠,٠٠١٪ من تعداد الشعب الصيني البالغ مليار و٤٠٠ مليون نسمة، ولكن كان للديانة التاوية تأثيرٌ مباشرٌ على حركات التصوف والزهد في الشرق.

• مصادر التاوية

يقدم التاويون مجموعة من الكتب أهمها كتاب «لاو تسو» المؤسس، وقائمة الكتب المقدسة كما يلي:

١. كتاب «لاو تسو» المسمى: «تاو تي شينغ Tao Te Ching»

الذي يعني: «الطريق وقوته»، وهو كتاب التاوية المقدس، وهو عبارة عن مجموعة من الشعر والأقوال المأثورة، كما يشمل قواعد عامة وأمثلة للحاكم الذي يمتلك زمام أمر التاو، وينقسم هذا الكتاب المؤلف إلى ٨١ فصلاً موجزاً مليئاً بفقرات

(٦٠) مترجم من: إجابات عن الديانات، م سابق، ص ٣٦٣-٣٦٤؛ ومترجم من: الموسوعة البريطانية (مايو ٢٠٢٤)

قصيرة وغامضة من النصائح حول الحياة والأوصاف الشعرية لطبيعة الكون، فمن نصوص الكتاب نقرأ في «الفصل الأول» ما يلي: «الوجود واللاوجود ينجمُ بعضهما عن بعض، الصعب والسهل يكمل بعضهما بعضاً، الطويل والقصير يوازن بعضهما بعضاً، العال والمنخفض يسند بعضهما بعضاً، الصوت والصمت يجاوب بعضهما بعضاً». وقد كُتِبَ الكتاب باللغة الصينية القديمة، وله عدة ترجمات إلى العربية^(٦١).

٢. كتاب: «تشوانغ - تسو (جوانج تسي) (Chuang-tzu) Zhuangzi»

يُعتبر هذا الكتاب هو الشارح للأقوال المختصرة والمبهمة في كتاب «لاو تسو»، والكتاب يبحث في النظرة التاوية الفلسفية، كما يحتوي على قصص عن بشر كاملين يستطيعون الطيران، وهم الخالدون الذين لا يتأثرون بالعناصر الطبيعية.

٣. كتاب: «هاو- تي - تشينغ (Hua Hu Ching)»

وقد كتب في القرن الثالث قبل الميلاد، وفيه سرد لرحلات مؤسس التاوية.

٤. كتاب: «تاو - تسانج (Tao Tsang)»

وهو يشكل مجموعة كبيرة من الكتابات التاوية، معظمها مقصور على فئة معينة، على أساس العقيدة التاوية، كما يحوي ما يقرب من ١٥٠٠ عمل، وهو غير مؤرخ ومجهول، فيما يقرب من ٥٥٠٠ مجلد، بما في ذلك مواد تعود إلى القرن الخامس الميلادي.

٥. كتاب: «تاي شانج كان ين بين» رسالة في الإجراءات والجزاءات (T'ai

«Shang Kan Ying P'ien Tractate on Actions and Retribution

(٦١) مثل: التاوتي تشينغ، إنجيل الحكمة التاوية في الصين، صياغة عربية للنص، تقديم وشرح وتعليق: فراس السَّواح، دار علاء الدين - دمشق: ١٩٩٨م؛ وتاوتي كينغ، لاو تسو، تقديم وترجمة: عبد الغفار مكاوي، مؤسسة هنداوي: ٢٠٢٢م؛ وكتاب التاو، ترجمة ودراسة: هادي العلوي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

وهو كتاب من القرن الثاني عشر الميلادي، قام بتأليفه شخص يسمي: «لي ينج تشانغ» وذلك في الفترة من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي.

والكتاب يورد المكافئات أو العقوبات الناجمة عن فعل الخير أو الشر، والتي تتمثل في إطالة أو تقصير عمر أو حياة الشخص كجزاء أو عقاب له. وتتراوح العقوبات من ١٠٠ يوم لارتكاب جريمة بسيطة إلى ١٢ عامًا للشر الجسيم، في حين أن ٣٠٠ عمل صالح سيجعل المرء أرضًا خالدة، وقادرة على الشفاء ومساعدة الآخرين، و١٣٠٠ عمل صالح، يجعله سماويًا خالدًا.

وتشمل الجرائم التي يعاقب عليها: العصيان، ومعارضة الكبار أو الرؤساء، والتفاخر، والرشوة، والاحتيال، والسرقعة، والكذب، والزنا، وقتل الحيوانات^(٦٢).

٧. التعريف بالشتوية

الشتو: هي ديانة أهل اليابان الأصلية، وهي عبارة عن مقطعين باللغة الصينية حسب التسمية «شن Shen» وتعني الأرواح الخيرة أو الآلهة، و«تو Toa» وتعني طريق، وبذلك فالمعنى الكامل هو الطريق إلى الأرواح الخيرة أي: «الآلهة».

في القرن السادس الميلادي، صيغت كلمة «شتو» لتعبر عن التراث الديني الأقدم عهدًا في اليابان، وهو ما يطلق عليه طريق «الكامي»^(٦٣)، فأصبحت توصف

(٦٢) مترجم من: إجابات عن الديانات، م سابق، ٣٦٤: ٣٦٨؛ ومترجم من: الكتب المقدسة في الطاوية (مايو ٢٠٢٤):

<https://www.myss.com/free-resources/world-religions/taoism/taoist-sacred-texts/>

(٦٣) الكامي: هو كل الأشياء والموجودات التي لا تنتمي إلى مجال التأثير المباشر للإنسان، وتشمل كل ما هو غريب، عجيب، غامض ومرعب، أي الأشياء التي تستحق التبجيل، وتبعث على الرهبة لأنها خارج المألوف. ولا توجد للكامي أشكال محددة، كما أنها يمكن أن تتمثل في كل قوى الطبيعة، ولم يتم تعريف أغلب الكامي «الكامي» ولا حتى تحديدها بشكل دقيق؛ بل يقوم كل تجمع بشري (عائلة، عشيرة أو قرية) بتحديد الكامي التي يرهونها والتي يمكن أن ينتظروا منها أفضلًا (مننا) من خلال حياتهم اليومية: كامي البحر: (الأمواج والعاصفة للصيادين)، كامي الجبل: (الصخور، الثلج، الأشجار بالنسبة للحطابين)، كامي حقول الأرز: (المطر، النمو بالنسبة للفلاحين)، كامي مفترق الطرق بالنسبة للمسافرين، كامي

هذه الديانة بأنها العقيدة الأصلية لأهل اليابان، وهي عقيدة تمزج العديد من مقدسات ومعبودات شتى؛ تتدرج بين ما هو سماوي، إلى ما هو أرضي، إلى ما هو بشري، و«الكامي» صاحب الفعل فيها كلها.

وبذلك يطلق الشتويون لفظ «كامي» على كل إله، أو على أي شيء يسمو فوق الإنسان كالسما أو السلطان أو الرياح أو الأمطار.... إلخ.

واليابان وهي بلد الشتو، كانت قديمًا بلدًا مغلقة وقليلة الانفتاح على العالم الخارجي والتفاعل معه، لذا كان اليابانيون يعتقدون منذ أكثر من ألفي سنة، أن العالم مكان صغير جدًا، وهم وحدهم أهل هذه الدنيا، وحتى السماء ظنوا أنها قريبة جدًا منهم، إلى درجة أنهم اعتقدوا وفقًا لكتابهم المقدس أن سهمًا طويلًا جدًا سبق أن تم إطلاقه من الأرض، فنفذ السهم وصنع في السماء ثقبًا أدى إلى هبوط آلاف الأشجار والنباتات وجميع الكائنات الحية إلى الأرض، وكانوا يعتقدون أن هناك جسرًا «درجًا» بين السماء والأرض، وكان الناس يستطيعون الصعود إلى السماء لزيارتها، ولكن ذلك الجسر ومنذ وقت طويل انكسر ذات يوم ولم يصلحه أحد بعد ذلك أبدًا.

ولأن البحر يحيط هذا البلد من جميع الجهات، كان اليابانيون يعطونه عظمة وقدسية هو أيضًا، فهو باب رزقهم الأول والأعظم؛ ففي مواسم الأرز والمحاصيل كانوا يقيمون الاحتفالات بالزراعة، وكان يتبناها الشامان القدامى «ميكو»، ومن ثم تولى المتممون إلى قبيلة «يكلاتو» ذلك نيابة عن القبائل الأخرى فتولى شيوخها هذه الواجبات.

البيت: (المطبخ، البئر، الحرائق بالنسبة للقرويين)، كامي الأرض: (الأنهار، الرخاء، العافية بالنسبة لجميع الناس). كما أن أشهر الـ «كامي» هي تلك المتعلقة بالعائلة الإمبراطورية، ومنها مثلاً: آلهة الشمس «أماتيراسو أومي-كامي» التي تحكي الأساطير قصتهم، وتشهد بالأصول الإلهية لأباطرة اليابان. ولا توجد في اليابان طقوس لعبادة وتقديس الأسلاف، رغم أن بعض الأسلاف ممن توفى في ظروف خاصة قد يتم تعريفه على أنه «كامي»، لكن الأسلاف ليسوا كلهم «كامي».

وهذه القبيلة ادعت أن لها أصولاً إلهية، فأصبح «الميكادو» -زعيم هذه القبيلة - هو مركز دينهم وعبادتهم، وأن للميكادو صلة قريبي بالشمس -التي لها مكانة خاصة عند اليابانيين؛ لذا فإن السلالة الإمبراطورية التي تحكم اليابان منذ ٧ آلاف سنة بدءاً بـ «الميكادو» ومؤسسها الأول، هي سلالة مقدسة، لأن «الميكادو» في اعتقادهم أنه سليل الشمس المقدسة، وقد وصل للأرض عبر جسر قائم من السماء فهو بنظرهم ليس بشراً مثلهم، فهو أقرب شبهاً للشمس أو القمر أو جبل «فوجي» المقدس، وهو كائن إلهي يجب أن يُعبد.

وقد كان اليابانيون يخافون الموتى ويقدمونهم طناً منهم أنهم قد ينزلون بالعالم شراً كبيراً إن غضبوا، لذا من أجل استرضاء الموتى كانوا يضعون لأسلافهم هدايا ونفائس في القبور، ويقدمون الطعام الشهي الفاخر أمام صور هؤلاء الأسلاف. لذلك كانت عبادة الأسلاف أساساً من الأسس الرئيسية التي قامت عليها عبادة الشنتو، فقد عُرف للشنتوية صورتان للعبادة:

١. الاتجاه بالعبادة إلى الحاكمين الأسلاف، وهم الآلهة الذين أسسوا الدولة وأتموا بناءها.

٢. العبادة التي تقام في المنزل، وهي عبادة تتجه إلى أسلاف القبيلة.

وكما سبق ذكره، فإن عقيدة الشنتو تقوم على «أن الكامي» هو صاحب الفعل في كل المقدسات والمعبودات التي يقصدونها ويعبدونها.

في الشنتو، يُقال إن جميع الآلهة تتعاون مع بعضها البعض، ويُعتقد أن الحياة التي تتم وفقاً لإرادة «كامي» تنتج قوة صوفية تكتسب الحماية والتعاون والموافقة من كل «كامي» معين.

ولا يُعرف للديانة الشنتوية مؤسس، أو تاريخ تأسيس، ولا يوجد بها أنبياء، كما لم يعرف لها دعاء ساهموا في نشرها بين اليابانيين. ويقال إن أصول هذه الديانة كانت قبل الميلاذ بمئات السنين، ولكنها كانت منغلقة على نفسها في جزر اليابان (٦٤).

يبلغ عدد معتنقي الشنتوية ما يقرب من ١١٠ مليون نسمة، غالبيتهم في اليابان، وتشير الإحصاءات إلى أن ما يقرب من نصفهم يؤمن بالبوذية أو يمارسها إلى جانب إيمانه بالشنتوية. والشنتوية تعتبر الدين التقليدي الأساسي لليابان، حيث تمنح الشنتوية العائلة الإمبراطورية في اليابان قداسة باعتبار أن لهم أصولاً إلهية.

• مصادر الشنتوية

هناك ثلاثة كتب مقدسة في الشنتوية، ولكن أعظمها وأهمها هو الكتاب الأول «كوجيكي»، وهذه الكتب:

١. كوجيكي:

كلمة الكوجيكي تعني «وقائع الأشياء القديمة»، وكتاب «الكوجيكي» هو أقدم نص مقدس يتعلق بماضي اليابان وشعبها وحكامها، وقد كانت مخطوطات هذا الكتاب سرية حتى عام ١٦١١ م، حتى طبعت ولم تعد سرية بعد ذلك.

«الكوجيكي»، كتبه أحد النبلاء اليابانيين يسمى: «أونو ياسومارو». وذلك في عام ٧١٢ م، وهو أقدم كتاب موجود في اليابان، وقد كُتِبَ باللغة اليابانية المستخدمة إلى اليوم وتُرجم الكتاب إلى العديد من اللغات ومنها اللغة العربية (٦٥).

ويحوي الكتاب مجموعة ملاحم وأساطير قديمة، بعضها يتعلق بقصة الخلق

(٦٤) يُنظر: مقارنة الأديان، الخطيب، م سابق، ص ٤٧٣: ٤٧٥؛ ومترجم من: إجابات عن الديانات، م سابق، ص ٤٧٩: ٤٨١.

(٦٥) «كوجيكي»، كتاب اليابان المقدس، ترجمة: د. محمد عزيمة، التلويح للنشر، سوريا، ٢٠٠٥.

والآلهة، والباقي بالأسر الأولى الملكية في اليابان، وقد قال عنه العديد من النقاد: «أنه لو اطلع أحد على نصوصه دون أن يعرف اسمه وموضوعه، لظنه قصصًا للأطفال، أو مجموعة ملاحم وأساطير خيالية.»

يزخر «الكوجيكي» بشعر منسوب إلى شعراء مجهولين، وتأتي أحيانًا الكلمات أو الأشعار على لسان الآلهة مباشرة، ويعتبر الامبراطور سليل آلهة «الكوجيكي»، وكذلك الجزر اليابانية، فهي آلهة ولدتها آلهة أخرى، وهذا جعل تقديس الوطن عند اليابانيين أمرًا مبررًا.

٢. نهيونجي:

وهو كتاب مكتوب بالأحرف الصينية، ومعنى هذا الكتاب: «الأحداث التاريخية لليابان»، ويؤلف مع الكتاب الأول، أول سجل مكتوب لليابان، وقد كتب في العام ٧٢٠م.

٣. إنجشيكي:

دون عام ٧٢٩م، ويتضمن طقوس الصلوات التي كانت تستخدمها طبقة الكهنة. (٦٦)

٨. التعريف بالسيخية

السيخية أو (السيكية): هي مجموعة دينية من الهنود ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وبداية القرن السادس عشر الميلادي داعين إلى دين جديد، فيه خلط بين عقائد ومفاهيم الديانتين الإسلامية والهندوسية، تحت شعار «لا هندوس ولا مسلمون»، وقد عادوا المسلمين خلال تاريخهم بشكل عنيف، كما عادوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم، وذلك مع الاحتفاظ بالولاء الشديد للبريطانيين الذين ناصروا نشأتهم.

تأسست السيخية على يد «كابر» المولود عام ١٤٤٠م، إلا أنها لم تنضج وتنتشر إلا على يد «ناناك» Nanak الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للسيخية.

عندما بلغ «ناناك» الثلاثين من العمر، اختفى عن الأنظار بعض الأيام ليظهر مدّعياً أنه مكلف بدعوة من الإله، وأنه بات الرسول المبعوث للمسلمين والهندوس ولكل الطبقات الاجتماعية، وكذلك للفضلاء من الناس والصالحين، وأطلق عليه الـ «غورو» أو «جورو» أي «المعلم».

وقد وضع لدعوته قواعد أساسية كالكد والعناء والتقشف، وممارسة الإحسان والبر، وبين أهمية التأمل، لأنه يوفر للإنسان غذاءً روحياً ممّا يمكنه من رؤية الله في وجوه كلّ أبناء الإنسانية.

كما وضع أساساً لدعوته تحت شعار «لا هندوس ولا مسلمون»، وأن هناك إلهاً واحداً، اسمه الحق والخالق، وهو أزلي، وغير مولود، وموجود بذاته، وعظيم ورحيم، وسوف يبقى إلى الأبد، وبناءً على هذا النداء بات «ناناك» - كما زعم - الرسول المبعوث.

كما يؤمن السيخ بأن ناناك وهو المعلم الأول «الجورو الأول»؛ خلفه ٩ آخرون من المعلمين، ثم أصبح المعلم الموجود بينهم هو كتابهم المقدس «جورو جرانت صاحب»

يؤمن السيخ بإله واحد عظيم خالق، كما في الإسلام، ولكنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح ووحدة الوجود التي لها آثار في الهندوسية (٦٧).

يبلغ عدد معتنقي السيخية ما يقرب من ٢٥ مليون نسمة، يتركز أغلبهم في البنجاب بالهند، بالإضافة لانتشارهم نتيجة للهجرة في بريطانيا وكندا وأمريكا الشمالية.

الجدير بالذكر أن الهند قد انقسمت إلى قسمين على أساس طائفي في العام ١٩٤٧ وطال التقسيم ولاية البنجاب منبع السيخية، ويضم إقليم البنجاب الهندي حالياً حوالي ٢٨ مليون نسمة منهم حوالي ٢٣ مليوناً من السيخ، بينما يضم إقليم البنجاب الباكستاني حوالي ١٢٧ مليون نسمة أغلبهم من المسلمين. بينما قبل الانفصال كانت نسبة السيخ في إقليم البنجاب مكان نشأة السيخية ما يقرب من ١٥٪ من مجموع السكان، بينما كانت نسبة المسلمين ٥٣٪، والهندوس ٢٩٪.

• مصادر السيخية

يؤمن السيخ بقديسية كتاب واحد وهو: «جورو جرانت صاحب» ويسمى أيضاً: «سري جورو جرانت صاحب»، وهناك خلاف حول أصالة وقديسية كتاب ثانٍ يسمى: «داسام جرانت». ويضم الكتاب العديد من النصوص التي دونت في الفترة من ١٤٢٠ إلى ١٧٠٨ م، حتى قام الجورو العاشر بتجميع الكتاب في ١٧٠٨ ميلادي.

(٦٧) يُنظر: مقارنة الأديان، الخطيب، م سابق، ص ٤٩٣: ٥٠٠.

ونظراً لحدائثة كتابة الكتاب، فقد كُتِبَ أولاً باللغة البنجابية الهندية، ^(٦٨) وترجم بعدها للعديد من اللغات الهندية الحية، وتُرجم فيما بعد للعديد من اللغات، ولكنه لم يُترجم للعربية.

١. جورو جرانت صاحب

يحتوي الكتاب على التعاليم التي وضعها مؤسس السيخية «ناناك»، والتي جمعت من قبل في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلادي، عن طريق الجورو الخامس للسيخية «جورو ارجن داس» ^(٦٩)، حيث جمعها في كتاب يسمي: «جورو أدي جرانت صاحب»، وقد أكمل إعداد الكتاب وأضاف إليه بعض الأجزاء الجورو العاشر والأخير للسيخية «جورو جوبند سينغ» ^(٧٠)، وذلك في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، وسُمي الكتاب باسم: «جورو جرانت صاحب» أو «سري جورو جرانت صاحب».

تقول المصادر السيخية أن: «جورو جرانت صاحب»، هو النص المقدس للسيخ، وعلى عكس الكتاب المقدس أو التوراة أو كتب الهندوس، أو غيرها من النصوص المقدسة، فإن «جورو جرانت صاحب» ليس تاريخاً أو حتى قصة، بل هو عبارة عن «تجميع للكتابات التعبدية والشعر والترانيم لسبعة من السيخ المعلمين (جورو) والقديسين والحكماء السيخ والصوفيين والهندوس والمسلمين.

^(٦٨) تشكلت البنجابية من اللغة السنسكريتية القديمة، كما هو الحال مع معظم لغات الهند الأخرى كاللغة الهندية. ويفوق عدد المتحدثين باللغة البنجابية عن ١٠٠ مليون شخص حول العالم، ٨٠ مليون منهم في باكستان، و ٣٠ مليون في الهند. الجدير بالذكر أن اللغات المنطوقة في الهند تنتمي إلى عدة مجاميع لغوية، أهمها اللغات الهندية الآرية التي يتحدث بها ٧٥% من الهنود واللغات الدرافيدية التي يتحدث بها ٢٠% من الهنود.

^(٦٩) اعتبر السيخ أن مؤسس السيخية هو المعلم (الجورو) الأول، وأن هناك تسعة معلمين خلفوه، وقد كان «جورو ارجن داس» هو المعلم الخامس أي الخليفة الرابع للمؤسس «ناناك»، وقد توفي «جورو ارجن داس» في العام ١٦٠٦ م.

^(٧٠) كان «جورو جوبند سينغ» هو المعلم العاشر أي الخليفة التاسع للمؤسس «ناناك»، وقد توفي «جورو جوبند سينغ» في العام

تقول المصادر السيخية أن هناك ٣٣٨٤ ترنيمة في «جورو جرانت صاحب» والكتاب مؤلف في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وقد قام بتأليف الكتاب ٧ معلمين «جورو»، و٤ شعراء «سيخ»، و١٥ رجال دين من مختلف الديانات «بهاجاتا»، و١٧ موسيقيين «بهاتس».

٩. التعريف باليهودية

اليهودية كانت ديانة توحيدية تؤمن بإله واحد، خلق الكون في ستة أيام واستراح في اليوم السابع^(٧١)، ولكنهم اعتبروا الإله الخالق إلهًا مخصصًا لبني إسرائيل فقط، فجاءت في كتبهم العديد من العبارات التي تصف الله بأنه «إله أو رب العبرانيين»، أو «رب إسرائيل». لذلك اليهودية ليست ديانة تبشيرية دعوية، بل هي ديانة يعتقد أصحابها أنها مغلقة عليهم وخاصة بنسلهم، وأنهم متميزون عن باقي البشر بهذا النسل وهذا الاختصاص الديني.

هذا ويُعرف اليهود؛ اليهودية^(٧٢) بأنها الدين الذي جاء به موسى إلى بني إسرائيل، ولكن حسب الإسلام: فإن موسى عليه السلام لم يدع أو يعلن أنه جاء بدين اسمه اليهودية ولم يُطلق على أتباعه اليهود، وإنما جاء بالإسلام - بمفهومه العام - الذي يعني الاستسلام لله وحده؛ فالإسلام هو دين جميع الأنبياء من لدن نوح إلى محمد ﷺ. فجاء على لسان موسى: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، «فالإسلام العام جاء به جميع الأنبياء، أما الإسلام الخاص فهو شريعة القرآن التي جاء بها محمد ﷺ»^(٧٣).

(٧١) وهذا من ضلالات اليهود.

(٧٢) ليس هذا هو الاسم الأصيل للديانة، وإنما عرفوا به فيما بعد، لقولهم «هدنا إليك، وعن اسم «يهود» على غير القياس.

(٧٣) ينظر: التدمرية، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ١٩٧٧، ص ١٧٥-١٩٦.

وقد أُطلق على اليهود عبر التاريخ عدة تسميات، منها:

١. العبرانيون:

وكان هذا المصطلح يُطلق على القبائل العربية في شمال جزيرة العرب، أي: في بادية الشام، وعلى غيرهم من الأقوام العربية في المنطقة، ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه (٧٤).

٢. بنو إسرائيل:

و«إسرائيل»: هي كلمة عبرانية، مركبة من (إسرا) بمعنى: عبد، ومن (إيل) وهو الله، فيكون معنى الكلمة: عبد الله، والمقصود به يعقوب عليه السلام عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣. اليهود:

وهي التسمية الثالثة في الترتيب التي عُرف بها اليهود، وهي الأحدث في الظهور التاريخي والاستخدام، وهي التسمية التي أُطلقت على بقايا جماعة يهوذا، وقد سموا كذلك نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة (٧٥).

ويرجع نسب اليهود إلى إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي جاء من نسله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ «الذي لقب بإسرائيل»، وقد جاء من نسل يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ اثني عشر ولدًا يشكلون أسباط بني إسرائيل، وجاء من نسل إحدى الأسباط نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٧٤) مفصل العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثرية، د. أحمد سوسة، دار الرشيد، وزارة الثقافة

والإعلام العراقية، ط ٥، ١٩٨١، ص ٨٥.

(٧٥) مفصل العرب واليهود، م سابق، ص ٨٩. (وهناك قول: إنهم أبناء «لاوي»، وليسوا أبناء «يهوذا»).

• الفرق اليهودية

أولاً: أهم الفرق اليهودية القديمة:

١. فرقة الفريسيين (الربانيون): وهي فرقة متشددة تؤمن بتطبيق تعاليم التوراة حرفياً، وتؤمن بقدسية جميع الأسفار «التناخ»^(٧٦) وبقدسية بالتلمود، كما يؤمنون بالبعث.
٢. فرقة الصدوقيين: لا يؤمنون بالبعث والحياة الآخرة ولا بالملائكة، كما يرفضون العمل بالتلمود.

ثانياً: أهم الفرق اليهودية الحديثة:

١. فرقة الأرثوذكس:

يشكلون معظم المجتمع الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، وينقسمون إلى:

أ. الحريديم (أصولية وأكثر تشدداً).

ب. الأرثوذكسية الحديثة.

ويؤمنون بقدسية «التناخ»، وقدسية التلمود، وبالتمسك بكل التعاليم اليهودية، وبالمسيح المنتظر الذي هو شخص سيملك عليهم فيعيد لهم أمجادهم وقوتهم، وتعتبر هذه الفرقة امتداداً لفرقة الفريسيين القديمة.

٢. فرقة الإصلاحيين:

يسكن أغلبهم في أمريكا (ما يقرب من مليونين في أمريكا) وإن كانوا لا يبدون اهتماماً بتجميع اليهود في أرض فلسطين، إلا أن بعضهم عند الأزمات يقف صفاً واحداً

(٧٦) التناخ: هو مجموعة الكتب المقدسة المكونة من (التوراة - أسفار الأنبياء - كتب التاريخ)، والكلمة جاءت من الأحرف الأولى لـ «توراة أنبياء كتب»، ويؤمن النصارى بقدسية تلك الكتب ويطلقون عليها: «أسفار العهد القديم».

مع المتشددين اليهود، وهم يعتبرون «التناخ» عمل بشري، ويرفضون العمل بتعاليم التلمود، كما ينكرون البعث، وينكرون فكرة المسيح المنتظر، ولا يلتزمون بالعديد من تعاليم التوراة.

٣. فرقة المحافظين:

تقيم غالبية هذه الفرقة في أمريكا (ما يقرب من مليون ونصف في أمريكا)، تنتشر العديد من الأفكار الصهيونية بين أعضاء هذه الفكرة، وفيما يخص أمور الاعتقاد؛ فهي فرقة وسط بين فرقة الأرثوذكس وفرقة الإصلاحيين، فهي تؤمن بقدسية «التناخ»، وتؤمن أن التلمود يجب أن تُعاد صياغته بما يتناسب مع العصر الحديث، كما ينكرون البعث، ويؤمنون أن ثلاث مقومات يجب أن يهتم بهم بدرجة متساوية (الإله - التوراة - الشعب).

• مصادر اليهودية

تستند العقيدة اليهودية في أصولها وقواعدها على ثلاثة مصادر أساسية، هي:

١. التوراة (الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ).

٢. الأسفار المُلحقة بها (أسفار الأنبياء - وكتب تاريخية).

يُطلق على المجموعتين السابقتين اسم «التناخ أو التناك» التي هي اختصار لد (توراة - أنبياء - كتب)، كما يؤمن بها النصارى أيضًا ويضعونها في كتابهم المقدس باسم «العهد القديم» أي كتب العهد الذي قبل المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣. التلمود.

✦ تنبيه:

ويُضاف إلى هذه الثلاثة مصادر المقدسة: البروتوكولات لدى الصهاينة في العصر الحديث، وهي وإن كانت ليست مصدرًا مقدسًا عندهم، إلا أنها جديرة بالإشارة

والذكر؛ لأنها نتاج التحريف الموجود في التوراة والأكاذيب والضلالات الموجودة في التلمود، بل صارت البروتوكولات أهم من التوراة والتلمود، فالبروتوكولات أولاً، والتلمود ثانياً، والتوراة ثالثاً من حيث الأهمية عندهم، وسنذكر كل واحد من هذه المصادر بشيء من التفصيل:

❖ أولاً: التوراة:

التوراة كلمة عبرانية، وتعني: الشريعة، أو التعاليم الدينية، أو الناموس (٧٧).

ويُراد بها في اصطلاح اليهود: خمسة أسفار (وهي أسفار موسى)، ويعتقد اليهود: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كتبها بيده، ويُسمونها (بتاتوك) نسبة إلى (بتتا) وهي كلمة يونانية، تعني: خمسة، أي: الأسفار الخمسة (٧٨).

❖ وأسفار التوراة هي:

١. سفر التكوين:

أول أسفار التوراة والكتاب المقدس كله، وردت فيه رواية خلق العالم والتاريخ القديم حتى وفاة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٧٧) معجم الإيمان المسيحي، الأب صبحي حموي اليسوعي، مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٥٨. ويُنظر: دائرة المعارف الكتابية، مجموعة محررين، دار الثقافة، مصر، ٢٠٠١، جزء ٢ «توراة»، ص ٤٠٦، و«تلمود»، ص ٣٩٥-٣٩٧.

(٧٨) راجع: قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مجموعة من اللاهوتيين، مكتبة المشغل، بيروت، ط ٦، ١٩٨١، ص ٣٤٨؛ كما يعتقد النصارى أيضاً بقدسية هذه الأسفار وقدسية باقي الأسفار اليهودية، ويضعونها كمجموعة كتابية في الكتاب المقدس عند النصارى حيث يطلقون عليها «العهد القديم»؛ أي ما تمت كتابته قبل المسيح عليه السلام من أسفار مقدسة، بينما يُطلقون اسم «العهد الجديد» على الأسفار والرسائل المقدسة التي كُتبت بعد المسيح عليه السلام.

٢. سفر الخروج:

ويتحدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إلى خروجهم من مصر، وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

٣. سفر اللاويين:

وهو نسبة إلى سبط بني لاوى بن يعقوب الذي من نسله موسى وهارون **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**، وأولاد هارون هم الذين فيهم الكهانة، أي: القيام بالأمور الدينية، وهم المكلفون بالمحافظة على الشريعة، وتعليمها الناس، ويتضمن هذا السفر أمورًا تتعلق بهم، وبعض الشعائر الدينية الأخرى.

٤. سفر العدد:

وهذا السفر يعني بعدد بني إسرائيل وما يتصل بهم، ويتضمن توجيهات وحوادث حدثت من بني إسرائيل بعد الخروج من مصر.

٥. سفر التثنية:

ويعني تكرير الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي عليهم مرة أخرى، وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وقبره.

ولا خلاف بين الفرق اليهودية وبين النصارى على قدسية الأسفار الخمسة الأولى التي تُسمى «التوراة».

❖ من كتب التوراة؟

يزعم اليهود والنصارى أن موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** كتب هذه الأسفار الخمسة بيده، بينما نسبة هذه الأسفار إلى موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لم تثبت إلا كاسم، وتشير الدراسات الحديثة أن الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة لموسى لها عدة مصادر، أما كمضمون

فقد دخلها كثير من التحريف والتزييف، فالتوراة التي نزلت على موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وصفها الله تعالى بأنها هدىً ونور، وأما التوراة الحالية فهي مليئة بالقسوة والهمجية، وتصف الإله والأنبياء بصفات لا تليق بهم، كما أن معظم ما فيها من وضع الحاخامات اليهود (٧٩).

ومن أبسط الأدلة على وقوع التحريف في هذه الأسفار وعدم نسبتها إلى موسى عليه السلام، ما جاء في سفر (التثنية ٣٤: ٥ - ٦): «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب، حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم». فمن غير المعقول أن يكتب موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** هذا عن نفسه!

(٧٩) مصادر دراسة العهد القديم تتكون من نوعين:

النوع الأول: موجه للعامة، ويتحدث أن الكتبة أنبياء الله تعالى، وكتبوا بالوحي الإلهي، وأن كتابتهم وصلت إلينا كما هي في مخطوطات ولم ينلها التحريف والتغيير.

النوع الثاني: هو نوع يغلب عليه الطابع العلمي والأكاديمي، ويقر بأن الكتبة مجهولون، وأن التغيير قد طال معظم الكتابات، وأنه لا توجد مخطوطات متشابهة، ولذلك نشأت الحاجة إلى ما يطلق عليه: «النقد النصي». (النقد النصي هو مصطلح يحاول الوصول إلى النص الأقرب صحة من بين عدة مخطوطات مختلفة).

المصادر من النوع الأول، غالبًا نجدها منتشرة بين نصارى الشرق، أما المصادر الأكاديمية، فنتشر باللغات الأجنبية، أو مترجمة ونشرت في أحد دور النشر البروتستانتية، أو في منشورات الآباء اليسوعيين في بيروت مثل «دار المشرق الخاصة بالطائفة الكاثوليكية». كما أنه أحيانًا نجد مقدمات مختصرة في طبعة «كتاب الحياة» للكتاب المقدس وأحيانًا نجد بها تصريحًا واضحًا مثل «كاتب هذا السفر مجهول»، أو نجد عبارة تحاول تخفيف الأمر باستخدام تعبيرات أخرى لا تبين الكاتب مثل: «تم تدوين هذا السفر أو تمت كتابته بوحي من الروح القدس».

للمزيد: الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق، دار المشرق، بيروت، ط ٣، ١٩٩٤ (مقدمات الأسفار)؛ ومدخل إلى الكتاب المقدس، عدة مؤلفين، ترجمة نجيب إلياس، دار الثقافة، مصر، ١٩٩٣؛ والمدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، بالاشتراك مع مجمع كنائس الشرق الأدنى. حبيب سعيد؛ والخلفية الحضارية للعهد القديم، جون هـ والتون وفكتور ماثيوز، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠١٢؛ ومن كتب التوراة؟، ريتشارد إليوت، ترجمة عمرو زكريا، دار البيان، ٢٠٠٣؛ وتاريخ الكتاب المقدس، ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، ترجمة وليم وهبة، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨؛ أو أي موسوعة عالمية مثل الموسوعة البريطانية.

وفي السفر نفسه (تثنية ٣٤: ١٠): «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى». وهذه العبارة لا تقال إلا بعد موت موسى بزمن ليس بالقصير^(٨٠).

الأهم من ذلك الفحص الجديد الذي قام به المحققون اليهود والنصارى عبر دراسات طويلة، وأكدت الأبحاث أن هذه الأسفار لها كتبة يزيدون على المائة، وينتمون إلى أربعة مدارس ظهرت في القرنين الثامن والتاسع قبل الميلاد في مملكتي إسرائيل ويهوذا، وتسمى هذه الدراسات «نظرية المصادر الأربعة»، وقد أصبحت هذه النظرية موثوقاً بها ومعترفاً بها عند العلماء المحققين. ويعترف مدخل الكاثوليك للكتاب المقدس والموسوعات العالمية بنظرية المصادر الأربعة كما سيأتي بيانه بعد.

تتلخص نظرية المصادر الأربعة في أنه عند جمع التوراة تم جمع هذه الأسفار من أربعة مصادر تختلف فيما بينها في الأسلوب وفي استخدام اسم الله، فمصدرٌ يسمي الله تعالى باسم «جيهوفاه» أو «يهوه»، والآخر يسمي الله تعالى باسم «إلوهيم» (حدث هذا نتيجة لانقسام اليهود إلى مملكتين، مملكة الشمال ومملكة الجنوب)، وأما المصدر الثالث فهو مصدر الكهنة (اللاويين) ويسمى كتابات كهنوتية، والمصدر الرابع خاص بسفر التثنية حيث يُعتقد أن له العديد من الكتبة اشتركوا في كتابته.

جاء في الموسوعة البريطانية: «الأسفار الخمسة الأولى وهي أول أسفار العهد القديم من حيث الجمع، وأول من أطلق عليهم «أسفار موسى الخمسة» هو القديس «جيروم»^(٨١)، وبالرغم من أن تأليف موسى لهذا العمل لا تؤكد عليه الأسفار نفسها،

(٨٠) للمزيد: هل العهد القديم كلمة الله؟ د. منقذ السقار، دار الإسلام، ٢٠٠٧؛ والبيان الصحيح لدين المسيح، ياسر جبر، دار الخلفاء، مصر، ٢٠٠٧؛ ومن كتب التوراة، معاذ عليان، دار التقوى، ٢٠١٤، القاهرة.

(٨١) القديس جيروم: (٣٤٧/٣٤٢: ٤٢٠م)، المعروف أيضًا باسم جيروم ستريدون، أو هيرونيمس، وهو كاهن كاثوليكي ولاهوتي ومؤرخ. اشتهر بترجمته للكتاب المقدس إلى اللاتينية. قائمة كتاباته واسعة النطاق. تم الاعتراف بـجيروم كقديس ومعلم الكنيسة من قبل الكنيسة الكاثوليكية، وكقديس في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، والكنيسة اللوثرية، والشركة الأنغليكانية (كنيسة بروتستانتية).

ولكن التسمية أصبحت أمرًا مقبولاً من قبل عامة المسيحيين. فتتضمن هذه الأسفار الخمسة مراحل نصية مختلفة للكتابات، وخاصة النص «اليهوي» منها الذي يشير إلى الله باسم «جيهوفاه»، أو «يهوه»، والنص «الإلوهيمي» الذي يشير إلى الله باسم «إلوهيم». وإلى كتابات الكاهن عزرا^(٨٢) الذي يشكل عمله مع جزء آخر من الأسفار الخمسة ما يسمى بالطور الكهنوتي^(٨٣).

كما جاء في كتاب «المدخل إلى الكتاب المقدس»: «الأسفار الخمسة: وما يزال فريق من المسيحيين معتصمًا بها، مؤيدًا أن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة، على أنه خلال المائة الأخيرة توسع العلماء في البحث والاستقصاء وأثبتوا خطأ هذه النظرية، وليس القصد من هذا الكتاب دراسة النصوص وتحليلها، لذلك نكتفي بهذه الأمثلة لنثبت أن هذه الأسفار كتبت في أزمنة مختلفة، وبأكثر من يد واحدة»^(٨٤).

وأيضًا: «سفر التكوين: كاتب السفر مجهول، ولكن العهد الجديد يدل ضمناً على أن كاتبه هو موسى، ولم يعترض أحد على هذا المفهوم حتى العصر الحديث، كما أننا لا نعرف كيف كُتِبَ هذا السفر، لكن من المعقول أن نرى موسى كمحرر استطاع أن يضم معاً عددًا كبيراً من القصص والحقائق التي قد يكون بعضها قد أصبح شائعاً قبل تاريخ تدوينه»^(٨٥).

(٨٢) عزرا؛ وبالعبيرية عزير (٤٨٠-٤٤٠ ق.م)، ويعرف أيضًا باسم عزرا الكاتب، كان موظفًا في بلاط إمبراطور الفرس، وكاهنًا. عاد من الأسر البابلي وأعاد تعليم التوراة في القدس. في الترجمة السبعينية اليونانية من العبرية، عُرف عزرا باسم اسدراس.

(٨٣) الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، م سابق، مقدمة الأسفار الخمسة الأولى، ص ٤٨، ٦٦-٦٨؛ والموسوعة البريطانية، الإصدار ١٥، الجزء ١٤، ص ٩٢١.

(٨٤) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، م سابق، ص ٧١.

(٨٥) المصدر السابق نفسه، ومدخل إلى الكتاب المقدس، ترجمة نجيب إلياس، م سابق، ص ٢٣.

❖ ثانيًا: الأسفار الملحقة بالتوراة:

أما الكتب الملحقة بالتوراة، فهي: أربعة وثلاثون سفرًا، حسب النسخة البروتستانتية، فيكون مجموعها مع التوراة تسعة وثلاثين سفرًا، وهي التي تُسمّى العهد القديم لدى النصارى، ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام:

• القسم الأول:

الأسفار الخمسة السابقة المنسوبة إلى موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**:

وسبق الحديث عنها بالأعلى.

• القسم الثاني:

الأسفار التاريخية:

وهي ثلاثة عشر سفرًا: وهي: [يشوع، والقضاة، وراعوث، وسموئيل الأول، وسموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني، وعزرا، ونحميا، وإستير، ويونان (يونس **عَلَيْهِ السَّلَامُ**)].

وهذه الأسفار تحكي قصة بني إسرائيل من بعد موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إلى ما بعد العودة من السبي البابلي إلى فلسطين، وإقامتهم للهيكل مرة أخرى بعد تدميره، ما عدا سفري أخبار الأيام الأول والثاني، فإنهما يعيدان قصة بني إسرائيل، وابتدئان بذكر مواليد آدم على سبيل الاختصار إلى السنة الأولى لمَلِكِ الفرس «قورش» أي حوالي ٥٥٠ ق.م.

وكذلك سفر يونان فيحكي قصته مع أهل نينوى الذين أرسل إليهم.

• القسم الثالث:

أسفار الأنبياء

وهي خمسة عشر سفرًا: وهي: [إشعيا، وإرميا، وحزقيال، ودانيال، وهو شع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، وميخا، وناحوم، وحقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي].

وهذه الأسفار يغلب عليها طابع الرؤى والتنبؤات بما سيكون من حال بني إسرائيل، وحال الناس معهم، وفيها تهديدات لبني إسرائيل، ووعود بالعودة والنصر، والذين نسبت إليهم هذه الأسفار هم ممن كانوا زمن السبي إلى بابل^(٨٦) وما بعده، ولا يعلم كتبة هذه الأسفار حسب المراجع الأكاديمية السابق ذكرها.

• القسم الرابع:

أسفار الحكمة والشعر (الأسفار الأدبية)

وهي خمسة أسفار: وهي: [أيوب، والأمثال، والجامعة، ونشيد الإنشاد، ومراثي إرميا].

• القسم الخامس:

الابتهالات والأدعية

وهو سفر واحد، وهو سفر المزامير، المنسوب إلى داود **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

فهذه هي الأسفار المعتمدة لدى اليهود، والبروتستانت من النصارى.

(٨٦) سبي بابل أو السبي البابلي أو الأسر البابلي هي فترة في التاريخ اليهودي أُسر فيها عدد كبير من اليهود من مملكة يهوذا القديمة، واقتيدوا قسراً إلى بلاد بابل على أيدي البابليين، حدث التهجير على مراحل، حيث رُحِّل حوالي ٧,٠٠٠ شخص بعد حصار القدس سنة ٥٩٧ ق.م. إلى بلاد الرافدين، تلتها موجات أخرى من الترحيل بعد حصار القدس وتدمير هيكل سليمان سنة ٥٨٧ ق.م.

وأما النصارى الكاثوليك والأرثوذكس، فيعتمدون ٧ أسفار إضافية، وهي: (سفر طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، وباروخ، والمكابيين الأول، والمكابيين الثاني)، بالإضافة لاعتمادهم أجزاءً إضافية من ٣ أسفار أخرى وهي: (تكملة سفر أستير، تنمة سفر دانيال، المزمور ١٥١)، ويُطلق عليهم: «الأسفار القانونية الثانية»^(٨٧).

ونلاحظ على هذه الأسفار:

• إنّه يُطلق على مجموعها الـ(٣٩) أو الـ(٤٦): العهد القديم، تمييزاً لها عن العهد الجديد عند النصارى، والعهد يراد به: الميثاق، أي: أن كلتا المجموعتين تُمثّل ميثاقاً أخذهُ الله على الناس، وارتبطوا به معه، فالأول: يُمثّل ميثاقاً قديماً من عهد موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، والثاني: يُمثّل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

• إنّ اليهود والنصارى يعتقدون في هذه الأسفار أنها كلام الله تعالى، أو أنها كتبت بالوحي الإلهي.

• المقدمات والتعريف بالأسفار السابقة في كل المصادر الأكاديمية السابق ذكرها وفي الموسوعات العالمية، تقر بأن جميع كتبة الأسفار مجهولون.

❖ ثالثاً: التلمود:

التلمود^(٨٨) هو تعليم ديانة وآداب اليهود، وهو يتكون من جزئين:

(٨٧) ينظر: مدخل لدراسة الأديان المسيحية واليهودية، د. سعود الخلف، أضواء السلف، السعودية، ١٩٩٧، ص ٧٤-٧٧؛ ومعجم الإيمان المسيحي، م سابق، ص ٣٩٣؛ والبيان الصحيح لدين المسيح، م سابق، ص ١٩-٢٠.

(٨٨) قاموس الكتاب المقدس، م سابق، ص ٢٢٢؛ (لا يوجد إجماع على تاريخ كتابة التلمود؛ حتى أن بعض المصادر تذكر أن التلمود البابلي كُتِب في الفترة من القرن الثالث إلى القرن السابع الميلادي).

- الجزء الأول: المتن: ويُسمّى المشناة، بمعنى: المعرفة، أو الشريعة المكررة.
- الجزء الثاني: الشرح: ويُسمّى جمارا، ومعناه: الإكمال.

أ. تدوين التلمود:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: « واليهود يزعمون بأن هذه التقاليد أعطيت لموسى حين كان على الجبل ثم تداولها هارون وأليعازر ويشوع^(٨٩) وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح (الميلاد) حينما جمعها الحاخام يهوذا وكتبها. ومن ثم صار هذا الشخص يعتبر عندهم جامعاً «للمشناة». أما «الجمارة» أي التعليم وهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في المدارس العالية بعد انتهاء «المشناة». والتفاسير المسطرة مع «المشناة» نوعان يعرف أولهما بتلمود» أو «شليم» وقد كتب بين القرن الثالث والخامس والذين كتبوه هم حاخامات «طبرية»، ويعرف الثاني بتلمود «بابل» وقد كُتب في القرن الخامس.»^(٩٠)

ب. تقديس اليهود له:

التلمود يقده ويحظره اليهود «الأرثوذكس»، وباقي الفرق تُنكره، فالحاخامات الفريسيون هم الذين دونوه ووضعوا التفسير له. والتلمود على هذا هو كتاب مقدس عند اليهود الأرثوذكس، وله أثر كبير في نفسية اليهود المفسدة الفاسدة، وقد جاء بمبادئ فاسدة وخطرة^(٩١).

(٨٩) أليعازر: هو كاهن يهودي ذكر في التوراة، هو الكاهن الأعلى الثاني لبني إسرائيل بعد هجرتهم من مصر، وهو ابن هارون حيث ورث منصب الكاهن الأعلى بعد وفاته. أما يَشُوعُ بْنُ نُونٍ أو يَوْشَعُ بْنُ نُونٍ: فيقال أنه نبي من أنبياء الله، وهو الذي خلف موسى عليه السلام وقاد بني إسرائيل لدخول أرض فلسطين بعد التيه.

(٩٠) المصدر السابق نفسه.

(٩١) ينظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج، شارل لوران، ترجمة يوسف نصر الله، العالمية للنشر؛ وكنوز التلمود، ليضي، س. ترجمة: محمد خليفة التونسي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٩١.

❖ رابعاً: البروتوكولات:

ويُطلق عليها بروتوكولات حكماء صهيون، وهذه البروتوكولات لا تعتبر من المصادر الدينية لدى اليهود، وإنما هي نتاج التحريف الموجود في التوراة، والأكاذيب والضلالات الموجودة في التلمود، وهي تُعتبر مخطط تطبيقي لأهداف صهاينة اليهود. والمراد بـ «بروتوكولات حكماء صهيون» وثائق محاضرة ألقاها زعيم صهيوني على مجموعة من الصهاينة ليستأنسوا بها، ويسيروا عليها في إخضاعهم للعالم، والسيطرة عليه.

والذي يظهر أن هذه الوثائق (البروتوكولات) عُرضت على زعماء الصهاينة في المؤتمر الذي عقد في مدينة بال في سويسرا سنة (١٨٩٧م) وكان قد حضر هذا المؤتمر نحو ثلاثمائة من أعتى الصهاينة، يمثلون خمسين جمعية يهودية، ولا يُعرف لها كاتب معين. أما الغرض منها فهو اطلاع الصهاينة على الخطة التي يستعدون بها للعالم، ثم كيف يحكمونه إذا وقع تحت سيطرتهم.

وقد اكتشفت هذه الوثائق (البروتوكولات) في سنة (١٩٠١م)، ووصلت هذه الوثائق إلى (أليكس نيقولا فيتش) كبير أعيان روسيا الشرقية في عهد القيصرية، وكانت روسيا في ذلك الوقت تشهد حملات شديدة على اليهود، بسبب فسادهم ومؤامراتهم، فلما رآها هذا الرجل أدرك خطورتها على بلاده، وعلى العالم أجمع، فدفعها إلى صديق له أديب روسي اسمه (سرجي نيلوس)، فترجمها إلى اللغة الروسية.

وقد طُبِعَ الكتاب لأول مرة في سنة (١٩٠٢م) باللغة الروسية، ومن طبعة (١٩٢١م) الإنجليزية ترجم الكتاب لأول مرة إلى العربية (٩٢).

(٩٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. ٢٠٠٦، ص ١٢٥-١٢٧.

١٠. التعريف بالنصرانية

النصرانية ويُطلق عليها أتباعها المسيحية واشتهرت بالصلبية أيضًا مع الحملات الصليبية، وقد نشأت في القرن الأول الميلادي، وهي أكثر الأديان انتشارًا في الوقت الحالي حيث يشكل أتباعها في الوقت الحالي حوالي ٣١,٥٪ من سكان العالم، وإن كان عدد أتباعها يتناقص كما سبق عرضه في الباب الأول. ويتركز معظم الاتباع في أوروبا والأمريكيتين مع محاولات مضمينة لنشرها في كل القارات.

أطلق عليها العرب والمسلمون: «النصرانية»، وعلى أتباعها: «نصارى»، لأنهم ناصروا بعضهم أو كانوا أنصار الله، أو نسبة إلى بلد المسيح «الناصرة»، فقد جاء في تفسير الآية ٦٢ من سورة البقرة من تفسير ابن كثير: «والنصارى سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم أنصار أيضًا كما قال عيسى **﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾** [الصف: ١٤] وقيل: إنهم إنما سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها ناصرة، والله أعلم.

ولكنهم يفضلون أن يتسموا بالاسم: «مسيحي أو مسيحيون»^(٩٣)، بالرغم من أن تلك التسمية كانت على سبيل السخرية والإساءة قديمًا، فقد أطلقها عليهم الوثنيون كما جاء في (سفر أعمال الرسل ١١: ٢٦): «فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلماً جمعاً غفيراً ودعي التلاميذ «مسيحيين» في أنطاكية أولاً». وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس: «وأول ما دُعي النصارى بالمسيحيين في أنطاكية، حوالي سنة ٤٢ م، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم^(٩٤).

(٩٣) وكلمة مسيحي يُفهم منها وتعني: «عبد المسيح»، أو «عابد للمسيح».

(٩٤) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مجموعة من اللاهوتيين، مكتبة المشغل، بيروت، ٦، ١٩٨١، ص ٨٨٩؛ ويُنظر: دائرة المعارف الكتابية، مجموعة محررين، دار الثقافة، مصر، ٢٠٠١.

❖ أهم الاعتقادات

يؤمن النصارى بأن الله تعالى واحد في ثالث، حيث يتكون من ثلاثة آلهة، وهم: الأب والابن (المسيح) والروح القدس، وأن المسيح الابن - عندهم - قد تجسد من صورته الإلهية إلى صورة بشرية فوُلِدَ من مريم العذراء وذلك لكي يقوم بمهمة تخلص البشرية من الخطيئة الأصلية المتوارثة من آدم عليه السلام نتيجة لأن آدم أكل من الشجرة المحرمة، فقَبِلَ (الابن) ورضي أن يموت على الصليب كفارةً وفداءً للبشرية، وأن من يؤمن بذلك يحصل على الخلاص من تلك الخطيئة وينعم بالفردوس بعد الممات.

❖ لذلك فإن أسس العقيدة النصرانية:

- أ. الله واحد، ولكن الله واحد في ثالث.
- ب. الأب إله، والابن (المسيح) إله، والروح القدس إله^(٩٥)، والثلاثة كل منهم متميز عن الآخر (كل منهم شخص أو أقنوم)، ولكن الثلاثة متساوون في الجوهر.
- ج. تجسّد الإله (الابن)، وتحمله آلام الصلب والموت؛ ليخلص ويفتدي البشرية، ثم قيامته من الأموات وصعوده للسماء.
- د. الخطيئة الأصلية (خطيئة آدم) ومبدأ توارث الخطيئة.

❖ قوانين الإيمان النصرانية:

قوانين الإيمان هي التي تبين أصول الاعتقاد النصراني وما اتفق عليه الآباء الأوائل.

(٩٥) يُعرّف النصارى الروح القدس أنه: روح الله، أو الرب المحيي، الذي وهب نسمة الحياة للخلائق، والملهم للأنبياء، والذي أحيا المسيح، وهو الذي يرشد الكنيسة إلى الحق، ويرشد الكتبة ليكتبوا الكلام المقدس بالوحي الإلهي. للمزيد: دائرة المعارف الكتابية، مجموعة محجرين، دار الثقافة، مصر، ٢٠٠١. حرف ر، مادة الروح القدس، جزء ٤ ص ١٤٨؛ وقاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مجموعة من اللاهوتيين، مكتبة المشغل، بيروت، ٦، ١٩٨١، مادة (روح القدس)، ص ٤١٤.

أ. قانون الإيمان النيقاوي:

اعتمد بمجمع «نيقية» سنة ٣٢٥ م وينص على ما يلي: «نؤمن بإله واحد (آب)، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وبربّ واحد وهو يسوع المسيح (ابن الله) الوحيد، المولود من (الآب) قبل كل الدهور، إله من إله، ونور من نور، وإله حق من إله حق، مولودٌ غير مخلوق، مساوٍ (للآب) في الجوهر، الذي به كان كل شيء، والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد بروح القدس من مريم العذراء، وصار إنساناً و صُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي^(٩٦)، تألم ومات وقُبر، وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين (الآب) وسيأتي أيضاً بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لمملكه».

ب. قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني:

أضيفت الفقرة التالية لقانون الإيمان النيقاوي السابق وذلك عام ٣٨١ م بمجمع القسطنطينية الأول لتؤكد ألوهية الروح القدس، وتم تغيير اسمه إلى «قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني».

«... وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من (الآب) و(الابن)^(٩٧) الذي هو مع (الآب) و(الابن) يُسجد له ويُمجّد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدّسة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ومنتظر قيامة الأموات والحياة في الدهر الآتي».

(٩٦) كان الحاكم الروماني لمقاطعة «يهودا» بين عامي ٢٦ إلى ٣٦. وحسب ما هو مكتوب في الأناجيل الأربعة المعتمدة من قبل الكنيسة، فإنه قد تولّى محاكمة المسيح، وأصدر الحكم بصلبه.

(٩٧) اختلفت المذاهب النصرانية فمنهم من قال: «منبثق من الآب والابن» ومنهم من قال: «منبثق من الآب فقط».

❖ أهم الفرق النصرانية

ينقسم النصارى إلى العديد من الفرق، أكثرهم تأثيرًا فرقة البروتستانت (٩٨) المنتشرة في أمريكا وبريطانيا وألمانيا وتتفق مع الفكر اليهودي في كثير من الأمور فتدعمه وتؤيده وتسانده في التجمع بأرض فلسطين المحتلة وبناء ما يزعمون أنه هيكل سليمان.

١. الكاثوليكية: وتضم حوالي ٥٠٪ من عدد النصارى في العالم، وتنتشر في بعض بلدان أوروبا وكل قارة أمريكا الجنوبية وبنسبة كبيرة في أمريكا الشمالية والنصف الجنوبي من أفريقيا. ينقسمون إلى ٧ طوائف مختلفة يرأسهم بابا الفاتيكان.

٢. البروتستانتية: وتضم ما يقرب من ٤٠٪ من إجمالي عدد المسيحيين، وينقسمون إلى مئات الكنائس المختلفة. تقع الغالبية في أمريكا الشمالية وبريطانيا والصين والبرازيل وجنوب أفريقيا وألمانيا.

٣. الأرثوذكسية: تصل نسبتهم حسب احصائية معهد «بيو» لعام ٢٠١١ ما يقرب من ١٢٪ من مجمل المسيحيين في العالم، ويتنشرون في روسيا وأوكرانيا وأثيوبيا ورومانيا واليونان ومصر. وينقسمون إلى جزئين (الأرثوذكسية الشرقية، والأرثوذكسية المشرقية).

(٩٨) نشأت على يد مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) وهو راهب ألماني وقس وأستاذ لاهوت ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا من بعد اعتراضه على صكوك الغفران التي تصدرها الكنيسة الكاثوليكية. أنشأ التيار الاصلاحى أو المعترض على سلطة الباب وسلطة الكنيسة. سمي التيار الاصلاحى: «البروتستانت»، وانقسموا لاحقًا إلى العديد من المذاهب.

وفيما يلي أهم الاختلافات بين الفرق النصرانية:

<p>الأرثوذكس: سر يحصل به المعمد على نعمة الميلاد الجديد، وهو باب كل الأسرار، ويتم بالتغطيس للصغار والكبار، ومادة السر الماء. الكاثوليك: يجوز العماد بالرش أو السكب. البروتستانت: ليس سرًا مقدسًا بل علامة يجوز ممارستها بالرش أو التغطيس.</p>	المعمودية
<p>الأرثوذكس: سر ينال به المعترف الحل من خطاياها إذا تاب عنها واعترف بها. الكاثوليك: كانت هناك صكوك غفران تُباع وتُشترى عن الخطايا السابقة والحالية في العصور الوسطى. ويتم السر وراء الستار. البروتستانت: لا اعتراف إلا أمام من أخطأ المؤمن له أو أمام الكنيسة كلها أو الله مباشرة.</p>	الاعتراف
<p>الأرثوذكس: جسد ودم حقيقيان للمسيح بعد حلول الروح القدس على الخبز والخمر. الكاثوليك: منذ القرن ١١ بدأوا استخدام الفطير ويمنع الشعب من تناول الدم. البروتستانت: يكون السر للذكرى فقط، فلا يعتبرونه تحوُّل حقيقي من الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه.</p>	التناول في القداس
<p>الأرثوذكس: منبثق من الآب. الكاثوليك: منبثق من الآب والابن. البروتستانت: منبثق من الآب والابن.</p>	الروح القدس
<p>الأرثوذكس: طبيعة واحدة للمسيح. الكاثوليك: طبيعتان للمسيح. البروتستانت: طبيعتان للمسيح.</p>	طبيعة المسيح
<p>الأرثوذكس: مجيء ثاني علني للمسيح في الدينونة. الكاثوليك: مثل الأرثوذكس. البروتستانت: المجيء الثاني على دُفعات منها مجيء المسيح ليملك ألف سنة على الأرض (مثل الفكر اليهودي ولكن المسيح عند اليهود هو بشر يأتي ملكًا ليعيد لليهود مجدهم وانتصارهم)، ثم الدينونة.</p>	المجيء الثاني
<p>الأرثوذكس: وارثة لخطية آدم مثل سائر البشر، وتحتاج لخلاص المسيح، ولكنها ولدت، ولها كرامة عظيمة. (لا تعتمد نظرية الكاثوليك «الحبل بلا دنس» بل أنها انتصرت على الميل للخطية، وحبلت وولدت الإله). الكاثوليك: مولودة دون أن تُرث الخطية الأصلية «الحبل بلا دنس»، ولا تحتاج لخلاص المسيح ويكادوا يعبدونها (أي يجلبونها بصورة قد تكون زائفة). البروتستانت: ينكرون لقب والدة الإله وشفاعة السيدة العذراء وينكرون دوام بتوليبتها.</p>	العذراء مريم

❖ مصادر النصرانية

أ. التعريف بكتبهم واعتقادهم فيها:

يتكون الكتاب المقدس عند النصارى من جزئين:

أ. العهد القديم:

وهو ما تمت كتابته قبل المسيح (وهو نفس ما تؤمن به أغلب الطوائف اليهودية)، وقد سبق الحديث عنه في «مصادر اليهودية».

ب. العهد الجديد:

وهو ما تمت كتابته بعد المسيح ويتكون من:

١. الأناجيل الأربعة: (إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا).
٢. الأعمال: (أعمال الرسل «الحواريين»).
٣. رسائل بولس: (لأهل رومية، لأهل كورنثوس الأولى، لأهل كورنثوس الثانية، لأهل غلاطية، لأهل أفسس، لأهل فيلبي، لأهل كولوسي، لأهل تسالونيكي الأولى، لأهل تسالونيكي الثانية، إلى تيماثوس الأولى، إلى تيماثوس الثانية، إلى تيطس، إلى فيليمون).
٤. الرسالة إلى العبرانيين.
٥. رسالة يعقوب.
٦. رسالتا بطرس (١، ٢).
٧. رسائل يوحنا (١، ٢، ٣).
٨. رسالة يهوذا.
٩. سفر الرؤيا (رؤيا يوحنا).

ج. الأسفار القانونية الثانية:

تُعد الأسفار القانونية الثانية جزءاً مكماً للعهد القديم بالنسبة للكاثوليك والأرثوذكس، بينما قامت طوائف البروتستانت بحذفها من الكتاب المقدس.

ب. الاعتقاد الإسلامي في الكتب المقدسة عند اليهود**والنصارى:**

من متطلبات الإيمان في الإسلام الإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالكتب السماوية عند المسلمين يتضمن أربعة أمور:

الأول: التصديق الجازم بأن جميعها منزل من عند الله.

الثاني: ما ذكره الله من هذه الكتب وجب الإيمان به، وهي الكتب التي سماها الله في القرآن: (القرآن والتوراة والإنجيل والزيور وصحف إبراهيم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَام).

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن.

الرابع: الإيمان بأن الله أنزل القرآن حاكماً على هذه الكتب ومصداقاً لها كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾

[المائدة: ٤٨].

قال أهل التفسير: (مهيمناً): مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، و(مصداقاً) لها: يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بإزالة أحكام سابقة، أو تقرير وتشريع أحكام جديدة^(٩٩).

(٩٩) شرح ثلاثة الأصول، ابن عثيمين، دار الثريا، السعودية، ٢٠٠٣، ص ٩٤ ٩٥ بتصرف.

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الكتب السابقة تعرضت للتحريف بعدة طرق منها التحريف بالتغيير والإضافة، والحذف.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ونتيجة لأن الكتاب المقدس قد تعرض للزيادة والنقص والتبديل فهو يحتوي على كلام الله تعالى مختلطاً مع كلام مؤرخين وكهنة وكتبة، والمسلم لا يقول: إن الكتاب المقدس الموجود حالياً بيد النصارى بالكامل كلام بشر؛ لأن فيه آيات تشريع وأخبار ذكرها الإسلام ووافقها، ولا يقول: إن الكتاب المقدس بالكامل من عند الله لأنه قد ثبت فيه التحريف بالزيادة والنقص والتبديل.

✦ ولذلك فإن المسلم يعتقد:

١. وجوب تصديق ما جاء متوافقاً مع أدلة القرآن والسنة.
٢. وجوب تكذيب المخالف لما أخبرنا به الله تعالى ورسوله ﷺ من أخبار وأحكام.
٣. السكوت عما لم ترد لنا أخبار عنه، فلا نكذبه ولا نصدقه^(١٠٠).

ج. من كتب العهد الجديد؟ ومتى؟ وأين؟

لقد سبق أن كتبنا عن العهد القديم عند الحديث عن مصادر اليهودية؛ والآن سنتحدث عن العهد الجديد الذي يؤمن به النصارى حديثاً نقدياً محايداً من المصادر

(١٠٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار ابن حزم، لبنان، ٢٠٠٠، المقدمة ص ١٠-١١، بتصرف. وشرح ثلاثة الأصول، م

النصرانية الأكاديمية والموسوعات العالمية (١٠١).

فقد انتهى وقت المسيح عليه السلام في حدود العام ٣٣ الميلادي، ولا توجد أي معلومات من المصادر النصرانية عن كتابات كتبت في زمن المسيح عليه السلام، بل كل ما قيل هو الادعاء بأنه كانت هناك تعاليم شفوية، وروايات عن المسيح.

ولم يعتنِ النصارى بالتدوين مباشرة بعد المسيح، وإنما تأخروا في التدوين نتيجة لاعتقادهم بقرب عودة المسيح وأنه لا حاجة للتدوين، فحسب العهد الجديد فإن المسيح صرح لهم أن عودته قريبة في زمن الجيل الحالي كما جاء في إنجيل (مرقس ٩: ١) وَقَالَ لَهُمْ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنْ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَدُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللَّهِ قَدْ آتَى بِقُوَّةٍ». وكذلك في إنجيل (متى ١٦): ٢٧ «فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. ٢٨ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنْ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَدُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ».

(١٠١) كما تم التوضيح عند ذكر المصادر اليهودية أنها تنقسم إلى قسمين، فلكذلك المصادر النصرانية تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: موجه للعامّة؛ وهذه المصادر تؤكد أن كاتب كل سفر من الأسفار معروف، وأنه كتبه بالوحي الإلهي، وأن كتابته لم يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل أو تحريف.

النوع الثاني: هناك مصادر أخرى نصرانية، ولكنها مصادر أكاديمية وعلمية، ومن الممكن لأي باحث الرجوع لها؛ وهذه المصادر تؤكد أن غالبية كتبة العهد الجديد مجهولون أو مشكوك في نسبة الكتابات إليهم، وأن هناك اختلافات حول هويتهم (وإن وجدت الاختلافات فلا يوجد يقين بالكتابة)، وكذلك تصرح هذه المصادر الأكاديمية بأن مكان الكتابة غير معروف، ويرجح مكان ما، وأن زمن الكتابة عليه خلاف وجدال أيضًا بين علماء النقد الكتابي. كذلك فإن المصادر الأكاديمية تظهر الاختلافات بين المخطوطات وتناقضها، وتعترف بحدوث ضياع للنصوص الأصلية، وإفساد للنصوص المستلمة، وتأتي بشهادة علماء كتابهم المقدس باستحالة الوصول إلى النص الأصلي الذي كتبه الكاتب. في مراجع الكتاب سيتم وضع قائمة بالمراجع الأكاديمية النصرانية المنصفة، وللاختصار يمكن الرجوع إلى: الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق، دار المشرق، لبنان، ط ٣، ١٩٩٤، العهد الجديد؛ تاريخ الكتاب المقدس، ستيفن م. ميلر، ترجمة وليم وهبة، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨؛ المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٠، الخلفية الحضارية للعهد الجديد، كريج سن كندر، دار الثقافة، ٢٠٠٣.

ولا خلاف بين المصادر المسيحية في أن رسائل بولس هي أول ما تمت كتابته من العهد الجديد الموجود بين أيدينا. أما الأناجيل فقد كتبت بعد رسائل بولس وما يطلق عليها رسائل يوحنا حسب الترتيب التالي: مرقس، متى، لوقا، ثم يوحنا. كتب البابا تواضروس الثاني - بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية - بعد أن ذكر رسائل بولس: « ثم كتبت الأناجيل «مرقس، متى، لوقا، سفر الأعمال، يوحنا، وُضمت جميعاً بحلول عام ١٢٠ م، وصارت تُقرأ في أوقات الخدمة أثناء العبادة الجمهورية في روما^(١٠٢). وقد وضع ج. أ. ويلز. البروفيسور في الدراسات التاريخية في جامعة لندن جدولاً بتاريخ الكتابات المسيحية المبكرة كما في الشكل التالي. حيث كتب ج. أ. ويلز: «هذه التواريخ ليست موضع جدال، فلا يكاد أحد يجادل في أن رسائل بولس سابقة للإنجيل»^(١٠٣).

ونعرض فيما يلي أقوال المصادر النصرانية عن التعريف بأسفار العهد الجديد:

التواريخ الفعلية لكتب العهد الجديد

التاريخ	الكتاب	
قبل 60 م	رسائل بولس: 1 تسالونيكي، رومية، 1 و 2 كورنثوس، غلاطية، فليبي وفليمون	الرسائل المبكرة
ربما قبل 70 م	الرسالة إلى العبرانيين	
ربما حوالي 90 م	رسائل يوحنا 1، 2، 3	
من 90 - 95 م	رسائل يعقوب، بطرس الأولى، رؤيا يوحنا	
من 70 - 90 م	إنجيل مرقس	الإنجيل وأعمال الرسل
من 90 - 100 م	متى، لوقا يوحنا، أعمال الرسل	
110 م	الرسائل الرعوية: 1 و 2 تيموثي وتيطس	الرسائل المتأخرة
120 م	يهوذا رسائل بطرس الثاني	

(١٠٢) مفتاح العهد الجديد، البابا تواضروس الثاني، بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة، ٢٠١٣. ج ١، ص ٣٦.

(١٠٣) مترجم من: ج. أ. ويلز. هل يمكن أن نثق بالعهد الجديد من خلال الشهادات المسيحية المبكرة؟ - المقدمة.

تاريخ الكتابات المسيحية المبكرة - مترجم من: ج. أ. ويلز. هل يمكن أن نثق بالعهد الجديد من خلال الشهادات المسيحية المبكرة؟ - المقدمة - صفحة xi.

١. إنجيل مرقس:

نقرأ في كتاب «الخلفية الحضارية للعهد الجديد»: «أكثر الآراء شيوعاً هو أن مرقس كتب إنجيله للمسيحيين الرومان خلال وقت الاضطهاد الشهير في روما ٦٤ م... مكان كتابة الإنجيل: هناك عدة اقتراحات لمكان إقامة مرقس؛ الجليل والإسكندرية، والعدد الأكبر من الاقتراحات يذكر روما، إن الجمهور الذي يكتب له مرقس كان يعيش على الأرجح خارج فلسطين، وأغلبهم لم يكن يهودياً، وروما هي أرجح هذه الاقتراحات»^(١٠٤).

وكتب الخوري بولس الفغالي: «لا شيء في النص الإنجيلي يساعدنا على اكتشاف صاحب هذا الإنجيل، فالعنوان وضع في بداية القرن الثاني الميلادي»^(١٠٥).

وكتب تادرس يعقوب: «أجمع الدارسون على أن إنجيل مار «مرقس» هو أقدم ما كتب في الأنجيل، بل وحسبه كثير من الدارسين المصدر الرئيسي الذي استقى منه الإنجيلان «متى» و«لوقا» كتابتهما الإنجيلية. يرى القديس «إيريناؤس»^(١٠٦) أنه كتب بعد استشهاد القديسين «بطرس» و«بولس»^(١٠٧)، وقد استشهد غالبية الدارسين

^(١٠٤) الخلفية الحضارية للعهد الجديد، م سابق، ج ١، ص ١١٩. (من الممكن التوسع لذكر عشرات المراجع التي تذكر أن غالب كتبة العهد الجديد مجهولين، أو لا يوجد يقين في هويتهم).

^(١٠٥) الأنجيل الأزائية (متى، مرقس، لوقا)، نسقها وقدم لها بولس الفغالي، جمعيات الكتاب المقدس، لبنان، ١٩٩٣، ص ١٣٣. (بولس الفغالي، لبناني مواليد ١٩٣٥، كاهن وحاصل على دكتوراة في اللاهوت، عمل في الهيئة الإدارية لجمعية الكتاب المقدس. ثم أمين سر الرابطة الكهنوتية، ثم رئيسها في سنة ١٩٨٤، وعمل مع جمعية الكتاب المقدس في ترجمة العهد القديم كله، وله العديد من المؤلفات الأكاديمية).

^(١٠٦) أسقف ليون، فرنسا، توفي حوالي ٢٠٢ ميلادي (بعد كتابة الإنجيل بحوالي ١٤٠ عاماً).

^(١٠٧) بطرس «بطرس الرسول»: (توفي سنة ٦٤) اسمه الأصلي سمعان. يُقال إنه كان أحد تلامذة المسيح. بولس: بولس الطرسوسي ويعرف عند المسيحيين بأنه بولس الرسول أو القديس بولس، هو أحد قادة الجيل المسيحي الأول وينظر إليه

إلى القول بأنه كتب ما بين ٦٥ م وعام ٧٠ م. ويرى القديس «يوحنا الذهبي الفم»^(١٠٨) أنه كُتِبَ في مصر، بينما نادى البعض بأنه كُتِبَ في روما»^(١٠٩).

كما جاء أيضًا في الترجمة اليسوعية: «إن الإنجيل الثاني ألف بين السنة ٦٥ والسنة ٧٠م، أما صلة الكاتب بتعليم «بطرس» فهو أمر عسير التحديد. إن عبارة بابياس^(١١٠) (لسان حال بطرس) غير واضحة. ولكن المكان الذي يشغله بطرس يدل على كلام شاهد عيان... وهناك سؤال لم يلق جوابًا: كيف كانت خاتمة الكتاب؟ من المُسَلَّم به على العموم أن الخاتمة كما هي الآن (١٦ : ٩ - ٢٠) قد أُضيفت لتخفيف ما في نهاية الكتاب من توقف فجائي في الآية ٨. ولكننا لن نعرف أبدًا هل فُقدت خاتمة الكتاب الأصلية أم هل رأى مرقس أن الإشارة إلى تقليد التراثيات في الجليل في الآية لا تكفي لاختتام روايته»^(١١١).

لذلك فالسؤال المطروح هو: أين الوحي الإلهي في إنجيل مرقس؟ وفيما نقل عنه بإنجيل متى وإنجيل لوقا حينما استخدماه كمصدر لكتابتهما؟

البعض على أنه ثاني أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد المسيح نفسه. لم يقابل المسيح في حياته، ومن بعد المسيح إلى منتصف سنة ٥٠ من الميلاد أسس العديد من الكنائس في آسيا الصغرى وأوروبا. يتناول ما يقرب من نصف سفر أعمال الرسل حياة بولس وأعماله، كما وضعت رسائله من ضمن محتوي الكتاب المقدس).

(١٠٨) يوحنا ذهبي الفم أو يوحنا فم الذهب: (٣٤٧-٤٠٧ م)، كان بطريك القسطنطينية واشتهر كقديس ولاهوتي. عُرف باليونانية بـ «ذهبي الفم» لفصاحته. ويُعتبر يوحنا ذهبي الفم قديسًا لدى جميع الطوائف المسيحية.

(١٠٩) الإنجيل بحسب مرقس، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مار جرجس بسبورتنج، ١٩٨٤، ص ٦. (كاهن له العديد من المؤلفات منها تفسير الكتاب المقدس).

(١١٠) القديس بابياس: أسقف هيرابوليس بآسيا الصغرى (حوالي سنة ٨٠-١٦٠ م)، وقد جاء عنه أنه قال عن مرقس أنه لسان حال بطرس الرسول، وفُهمت العبارة أنه كان تلميذًا لبطرس أو المترجم له، ولكن بأي حال كاتب إنجيل مرقس ليس من تلامذة المسيح وهناك خلاف حول شخصيته، والشهادات التي تأتي عن شخصيته متأخرة بحوالي ١٠٠ عام عن زمن الكتابة.

(١١١) الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، دار المشرق، م سابق، ص ١٢٤. (هناك خلاف حول نهاية إنجيل مرقس).

٢. إنجيل متى:

الموسوعة البريطانية تحت عنوان العهد الجديد الأنجيل المتماثلة الإنجيل وفقاً لمتى:

«متى» استخدم تقريباً كل إنجيل مرقس بالإضافة لبعض المواد التي انفرد هو باستخدامها للكتابة. كُتِبَ هذا الإنجيل بعد سقوط أورشليم ما بين ٧٠ إلى ٨٠ ميلادية، بالرغم من أن الاسم «متى» كان من بين أسماء حوارى السيد المسيح الذي يعود على جامع الضرائب الذي كان اسمه «ليني» في إنجيل «مرقس» وأصبح تابعاً للمسيح، في إنجيل «متى» تغيير الاسم إلى «متى»، يتضح أن «متى» كان يعلن قانونية إنجيله من خلال هذه الطريقة، ولكن كاتب إنجيل «متى» مجهول على الأرجح^(١١٢).

جاء في الكتاب المقدس الترجمة اليسوعية: «أما المؤلف فالإنجيل لا يذكر عنه شيئاً، وأقدم تقليد كنسي (بايياس أسقف - هيرابوليس، في النصف الأول من القرن الثاني) ينسبه إلى الرسول «متى»، «لاوي». وكثير من الآباء (أوريغانيس وهيرونيمس وأبيفانيوس)^(١١٣) يرون ذلك الرأي، وهناك بعض المؤلفين الذين يستخلصون من ذلك أنه يمكن أن تُنسب إلى الرسول صيغة آرامية أو عبرية لإنجيل «متى» اليوناني.

لكن البحث في الإنجيل لا يثبت هذه الآراء دون أن يبطلها مع ذلك على وجه حاسم. فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه^(١١٤).

(١١٢) الموسوعة البريطانية، م سابق، جزء ١٤، ص ٩٧٥ وجزء ٧، ص ٩٥٤/٩٥٦.

(١١٣) أوريغانوس (أوريغانس): كان من أبرز أوائل آباء الكنيسة المسيحية. توفي في ٢٥٤م. له العديد من المؤلفات، يُلقب بالعلامة.

هيرونيمس: المعروف باسم «جيروم»، وقد سبق التعريف به.

إبيفانيوس: (المتوفى سنة ٤٠٣م) أسقف سلاميس في قبرص في نهاية القرن الرابع الميلادي، والذي يعد قديساً وأباً من آباء الكنيسة عند الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية.

(١١٤) الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، م سابق، ص ٣٥.

جاء في التفسير الحديث للكتاب المقدس: «أجمع معظم الدارسين المعاصرين على أن إنجيل متى كُتب خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن الأول، والأسباب الرئيسية التي جعلتهم يحددون التاريخ بأنه ليس قبل عام ٨٠ م تقريباً هي: ١. إنجيل مرقس لم يكتب قبل عام ٦٥ م تقريباً، كما هو مفترض بوجه عام، وأن القديس متى اتخذ إنجيل مرقس كأحد مراجعه (١١٥).

وجاء أيضاً: «وإجماع الآباء على نسبة الإنجيل إلى الرسول متى يصبح ضعيفاً عندما ندرك أنه من غير المؤكد أن أقدم من يفترض أنهم شهود لهذا الاعتقاد لا يساندونه البتة... فما هو الدليل المستمد من الإنجيل ذاته؟ إنه لا شك، كسائر الأناجيل، عمل غير معروف كاتبه من حيث إنه لم يأت في النص ذكر لاسم كاتبه» (١١٦).

كتب الدكتور وليم باركلي: «نجد أن هناك أسباباً تحملنا على الاعتقاد بأن بشارة مرقس هي أقدم البشائر الموجودة، وأن المادة الموجودة في بشارة متى، وبشارة لوقا مستقاة من بشارة مرقس كأساس لهما (١١٧).

٣. إنجيل لوقا:

الموسوعة البريطانية تحت عنوان العهد الجديد الإنجيل وفقاً للوقا: «إنجيل لوقا» هو الثالث في ترتيب الأناجيل القانونية الأربعة، وهو متصل مع سفر «أعمال الرسل» وموجه من «لوقا» لنفس الشخص «ثاوفيلوس». «ثاوفيلوس» هذا ربما يكون شخصاً رومانياً يخاطبه «لوقا» بدرجة من الاحترام أو هو مثال للمسيحي المهدب الذي يوجه له «لوقا» إنجيله، إنجيل «لوقا» يسمى «إنجيل التاريخ» ولكن المعلومات

(١١٥) التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، دار الثقافة، ١٩٩٠، مصر، ص ١٨/١٩.

(١١٦) المصدر السابق، ص ٢٣.

(١١٧) تفسير الدكتور وليم باركلي، أستاذ العهد الجديد، دار الثقافة، ١٩٩٠، مصر، المجلد الأول، ص ١٧. (الدكتور وليم باركلي من كبار المفكرين والباحثين في العالم المسيحي، وأستاذ العهد الجديد في جامعة جلاسجو باسكتلندا سابقاً، توفي ١٩٧٨).

الموثقة لا يمكن الحصول عليها منه لأن مصادر «لوقا» لم تكن مصادر تاريخية بل كانت تعتمد على التقاليد والأخبار المنقولة! وثلاث إنجيل «لوقا» تقريباً مقتبس من إنجيل «مرقس»، لا توجد قصاصات لبابياس بشأن «لوقا»، ولكن في أواخر القرن الثاني الميلادي، صرحت التعاليم (بطريقة مبهمّة) أن «بولس» هو الضامن (الكفيل) لتعاليم إنجيل «لوقا». إنجيل «لوقا» يعود تاريخ كتابته لسنة ٨٠ بعد الميلاد... «ولا توجد دلائل على مكان كتابته إلا أنه من المحتمل أن تكون كتابته تمت خارج فلسطين وذلك لعدم دقة معلومات الكاتب الخاصة بجغرافية المنطقة» (١١٨).

كما جاء في الكتاب المقدس؛ الترجمة اليسوعية: «ويبدو أن المؤلف ينتمي إلى العالم الهلنستي (اليوناني) بلغته وبعده من الميزات التي سبق ذكرها، وغالباً ما تبين للنقاد عدم معرفته لجغرافية فلسطين ولكثير من عادات هذا البلد. وهناك تقليد شاهد عليه ايريانوس الذي عاش في أواخر القرن الثاني (أي بعد الكتابة بأكثر من ١٠٠ عام!)، يقول هذا التقليد أن كاتب الإنجيل الثالث هو لوقا الطبيب الذي ذكره بولس.... ولكن هذا الدليل ليس قاطعاً... أما علاقته ببولس، فلسنا نجد في الإنجيل ما يساعدنا على كشفها سوى بعض الألفاظ» (١١٩).

كما جاء في التفسير الحديث للكتاب المقدس: «لقد اقترحت ثلاث تواريخ تتعلق بكتابة هذا الإنجيل وهي: حوالي عام ٦٣، أو ما بين ٧٥ و ٨٥ م، أو أوائل القرن الثاني! (١٢٠).

❖ مصادر إنجيل «متى» ومصادر إنجيل «لوقا»:

جاء في كتاب: «تاريخ الكتاب المقدس»: «ومع أن إنجيل متى يأتي في أول العهد الجديد كما وصل إلينا، فإن إنجيل مرقس هو على الأرجح أول إنجيل كُتب».

(١١٨) مترجم من: الموسوعة البريطانية، م سابق، جزء ١٤، ص ٩٧٦، وجزء ٧، ص ٥٥٤ / ٥٥٥.

(١١٩) الكتاب المقدس؛ الترجمة اليسوعية، م سابق، ص ١٨٥.

(١٢٠) التفسير الحديث للكتاب المقدس، م سابق، ص ١٣.

كما يبدو أنه كان المصدر الأهم لإنجيلي متى ولوقا، ولا أحد يعرف على وجه اليقين من كتب هذا الإنجيل رغم ان اسم مرقس كان موجوداً في عنوان الإنجيل في أقدم المخطوطات التي وصلتنا. وليس هناك ما يدل على أي مرقس هو المقصود، فاسم مرقس كان اسماً شائعاً في القرن الأول»^(١٢١).

جاء في كتاب: «تاريخ الكتاب المقدس»: «الأرجح هو أن متى كان أول إنجيل يصل إلينا بعد إنجيل مرقس، وقد استخدم إنجيل متى إنجيل مرقس كنقطة بداية لإنجيله، فقد استخدم في إنجيله معظم إنجيل مرقس، وأحياناً أعاد كتابته، وكثيراً ما كرر كل كلمة بكلمة».

وقد استخدم لوقا - مثله مثل متى - الكثير من إنجيل مرقس مع إضافة مادة من عنده. ومثل متى، يضيف لوقا قصة طفولة الرب يسوع، ولكنه يختلف عن متى فيما يرويهِ من قصص وفي وجهة النظر»^(١٢٢).

٤. إنجيل يوحنا:

يقول معجم الكتاب المقدس: «منذ بداية عهد الدراسة النقدية الحديثة، نشأ خلاف حول إنجيل الحواري يوحنا فيما يتعلق بهوية المؤلف، مكان تأليفه، أصوله، خلفيته اللاهوتية، وقيمه التاريخية»^(١٢٣).

جاء في الكتاب المقدس؛ الترجمة اليسوعية: «وليس لنا أن نستبعد استبعاداً مطلقاً الافتراض القائل بأن يوحنا الرسول هو الذي أنشأه، ولكن معظم النقاد لا يتبنون هذا الاحتمال. فبعضهم يتركون تسمية المؤلف فيصفونه أنه مسيحي كتب باليونانية

(١٢١) تاريخ الكتاب المقدس، ستيفن م. ميلر، م سابق، ص ٧٥.

(١٢٢) المصدر السابق نفسه.

(١٢٣) مترجم من: معجم مفسري الكتاب المقدس، ج ٢، مطابع آينغدون، ص ٩٣٢.

في أواخر القرن الأول في كنيسة من كنائس آسية حيث كانت تتلاطم التيارات الفكرية بين العالم اليهودي والشرق الذي اعتنق الحضارة اليونانية. وبعضهم يذكرون يوحنا القديم الذي ذكره بايباس. وبعضهم يضيفون أن المؤلف كان على اتصال بتقليد مرتبط بيوحنا الرسول (١٢٤).

كتب الدكتور القس فهيم عزيز أستاذ العهد الجديد: «ولكن من هو الذي كتب إنجيل يوحنا؟ هذا السؤال صعب والجواب عليه يتطلب دراسة واسعة غالبًا ما تنتهي بالعبارة «لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل، فالرأي انقسم على وجه العموم إلى قسمين، القسم الأول: يقول إن يوحنا الرسول الذي كان تلميذًا للمسيح مع أخيه يعقوب ابني زبدي هو الذي كتب هذا الإنجيل. القسم الثاني: هو أن يوحنا لم يكتب هذا الكتاب ولا بد أن شخصًا آخر غيره هو الذي كتبه. ولكل من هذين الفريقين من العلماء حججه وبراهينه» (١٢٥).

جاء في كتاب: «تاريخ الكتاب المقدس»: «ومرة أخرى ليس من يعرف من كتب هذا الإنجيل» (١٢٦).

الملخص حول الأناجيل الأربعة:

أ. إنجيل مرقس أول الأناجيل كتابة، والكاتب مجهول ولم يكن من تلاميذ المسيح أو من شهود العيان على الوقائع.

ب. متى ولوقا ويوحنا مجهولون، وقد اقتبس كل من متى ولوقا من إنجيل مرقس، ولم يكن أي من كتبة الأناجيل من تلاميذ المسيح أو من شهود العيان.

(١٢٤) الكتاب المقدس؛ الترجمة اليسوعية، م سابق، ص ٢٨٧.

(١٢٥) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، م سابق، ص ٥٤٦.

(١٢٦) تاريخ الكتاب المقدس، ستيفن م. ميلر، م سابق، ص ٧٦.

٥. سفر أعمال الرسل:

كاتب سفر أعمال الرسل هو نفسه كاتب إنجيل لوقا، والكتاب يغلب عليه السرد التاريخي لبعض تنقلات بولس وتبشيره بالنصرانية حسب اعتقاد بولس.

٦. رسائل بولس:

في العهد الجديد هناك ١٤ رسالة منسوبة إلى «بولس» منهم الرسالة إلى العبرانيين، والتي هي مثار جدل منذ القرن الثاني الميلادي. وسوف نتحدث عنها في موضوع منفصل، وحسب أقوال علماء الكتاب المقدس فإن بولس ليس هو كاتبها والكاتب مجهول.

يتبقى ١٣ رسالة منسوبة لبولس، يقول العلماء أن ٧ رسائل منهم مؤكدين أنهم لبولس، ولا شك في أن بولس كتبهم. بينما هناك ٦ رسائل هناك شك في نسبتهم لبولس - البعض يقول ربما تلميذ متأثر بتعاليمه - ربما.... ربما.

الرسائل المشكوك في نسبتها إليه هي: (الرسالة إلى أفسس وكولوسي وأهل تسالونيكي الثاني)، والرسائل الرعوية الثلاث (تيموثاوس الأولى وتيموثاوس الثاني وتيطس). جاء في الموسوعة البريطانية تحت عنوان (بولس، الرسول، القديس): «لا توجد مصادر عن حياة «بولس» غير العهد الجديد.. المصدر الرئيسي هو رسائله، فرسالته لرومية والأولى والثانية لكورينثوس وإلى غلاطية هما في الواقع حقيقتان. أغلب العلماء أيضًا يتقبلون الرسالة إلى فيليبي وتسالونيكي الأولى والرسالة إلى فيلمون. بينما تنقسم الآراء حول الرسالة إلى أفسس وتسالونيكي الثانية وكولسي. أما الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثي والرسالة إلى تيطس، فيعتقد الكثير من العلماء أنهما كتبتا بعد زمن بولس (١٢٧).

من هو بولس؟

عمل بولس على إلغاء شريعة موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ودعواه أن الإنسان ينجو بالإيمان المجرد بدون عمل، وفي هذا يقول في رسالته إلى (غلاطية ٢: ١٦ - ٢١): «إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنّا نحن أيضًا بيسوع المسيح لتتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس؛ لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما...، فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحببتي، وأسلم نفسه لأجلي، لست أبطل نعمة الله؛ لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب».

ومما يجدر ذكره أن (بولس) لما وسّع نطاق دعوة المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لتشمل جميع الناس واجه عقبة كبيرة، وهي عدم قبول الوثنيين للشرائع الموسوية، وتصور أنه لا يمكن أن تنجح الدعوة بينهم مع وجود الشريعة، فقرر إلغائها، ويذكر سفر أعمال الرسل: أن هذا أولاً، تمّ بمطالبة من (بولس) ودعوة منه، ثم قبله بعد ووافق عليه سائر التلاميذ، وقرروا ألا يُلزم الناس بشيء من الأمور الواجبة عند بني إسرائيل، سوى الامتناع عن الذبح للأصنام، وعن أكل الدم، والمخنوق، والامتناع عن الزنا^(١٢٨).

ومن الكتابات المنسوبة إليه في العهد الجديد التي تظهر أنه لا يكتب بالوحي الإلهي: يصف رؤيته للمسيح في روايتين متناقضتين:

(أعمال ٢٦: ١٤): «فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية: شاول شاول لماذا تضطهدي؟ صعب عليك أن ترفض مناخس».

(١٢٨) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، م سابق، ص ٣٥٧؛ وينظر سفر أعمال الرسل ١٥: ٢٨.

(أعمال ٩: ٧): «وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً».

(أعمال ٢٢: ٩): «والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني».

يعترف بولس في رسالة أنه يعطي رأيه الشخصي:

(كورنثوس الأولى ٧: ٢٥): «وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ، وَلَكِنِّي أُعْطِي رَأْيًا كَمَنْ رَحِمَهُ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا». (٢٦): «فَأَطْنُ أَنْ هَذَا حَسَنٌ».

يعترف بولس في رسالة أنه يكذب، ولكن كذبه من أجل ازدياد مجد الله.

(رومية ٣: ٧): «فإنه إن كان صدقُ الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أَدَانُ أَنَا بعدُ كخاطيء؟». وضع بولس رسائله الشخصية وتحياته لأفراد الكنائس ضمن محتوى الكتاب المقدس:

(رومية ١٦: ٣): «سَلِّمُوا عَلَيَّ بِرِسْكَالًا وَأَكِيلًا الْعَامِلِينَ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.... سَلِّمُوا عَلَيَّ أَبِيثُوسَ حَبِيبِي الَّذِي هُوَ بَاكُورَةٌ أَخَائِيَّةٌ لِلْمَسِيحِ...»

وكذلك في: (٢ تيموثاس: ٤): «الرَّدَاءَ الَّذِي تَرَكْتُهُ فِي تَرُوسَ عِنْدَ كَارِثُسَ أَحْضِرْهُ مَتَى جِئْتُ، وَالْكِتَابَ أَيْضًا وَلَا سِيَّمَا الرَّقُوقَ». (١٩): «سَلِّمُ عَلَيَّ فِرِسْكَا وَأَكِيلًا وَبَيْتَ أُنِسِيفُورُسَ».

٧. الرسالة إلى العبرانيين:

الرسالة إلى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية، هما صاحبتا الجانب الأكبر من الرفض ومن الجدل في تاريخ العهد الجديد، وواجه ضمهما لقانون العهد الجديد الكثير من الرفض والمشاكل والخلافات.

جاء في مقدمة الكتاب المقدس (الطبعة اليسوعية)، وفي مقدمة ترجمة الملك جيمس الإنجليزية: «إن مؤلف سفر العبرانيين غير معروف. يقترح مارتن لوثر أن بولس هو المؤلف. قال ترتليان إن سفر العبرانيين إنما هو رسالة كتبها برنابا. يظن كل من أدولف هارناك ورندل هاريس أنه قد كُتب من قبل بريشيل (أو بريسكا). يقترح ويليام رمسي أنه قد كتبه فليس،... يعتقد يوسيبوس أن بولس قد كتبه، إلا أن أوريجن لم يؤيد نسبه لبولس» (١٢٩).

كتب الدكتور وليم باركلي: «نجد أن الرسالة إلى العبرانيين يحوطها الغموض وتكتنفها الأسرار. صدق «سكوت» (أستاذ العهد الجديد) في قوله: «إن الرسالة إلى العبرانيين من وجوه كثيرة هي لغز العهد الجديد» وعندما نتساءل: متى كُتبت؟ ولمن كُتبت؟ ومن كتبها؟ لن نجد أمامنا إلا الحدس والتخمين» (١٣٠).

كتب القس فهيم عزيز: «السؤال الثاني من هو كاتب الرسالة؟ هو أصعب الأسئلة جميعاً، وهو الذي يتعلق بمؤلف الرسالة، ولقد انقسم العلماء إلى فريقين:

الفريق الأول:

ينسبها لبولس، وأهم من فعل ذلك هم علماء مدرسة الاسكندرية.

والفريق الثاني:

ينكر نسبتها لبولس، وينسبها إلى أشخاص مختلفين، فمنهم من نسبها إلى

(١٢٩) ينظر: الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، م سابق، ص ٥٨٥-٦٨٦. ترتليان (ترتليانوس): (نحو ١٦٠ إلى ٢٢٠ م) مؤلف أمازيغي مسيحي مبكر، وأول من كتب كتابات مسيحية باللغة اللاتينية؛ برنابا: أحد تلامذة المسيح؛ أدولف هارناك: لاهوتي ألماني، توفي ١٩٣٠؛ جيمس رندل هاريس: أستاذ في الكتاب المقدس، إنجليزي، توفي ١٩٤١؛ بريشيل أو بريسكا: جاء ذكرها في سفر أعمال الرسل؛ وليام رمسي: أستاذ في العهد الجديد، اسكتلندي، توفي ١٩٣٩؛ فيليس: أحد تلامذة المسيح؛ يوسيبوس (يوسابيوس القيصري): (٢٦٠-٣٤٠م)، مؤرخ مسيحي. أصبح أسقف قيصرية فلسطين عام ٣١٤م، له كتاب باسم: «تاريخ الكنيسة» تُرجم للعربية؛ أوريجن: سبق التعريف به.

(١٣٠) إكليمنديس: واحد من أبرز معلمي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، توفي بين عامي ٢١١ و ٢١٥.

اكليمندس^(١٣١)، أو بولس أو آكيلا وبريسكيلا أو لوقا وغير ذلك^(١٣٢).

الدكتور وليم إدي، في شرح الرسالة إلى العبرانيين كتب: «فنقول إننا لا نعرف الكاتب وعدم معرفتنا إياه لا تأثير له في تفسير الرسالة ولا في اعتبارنا إياها كلام الله^(١٣٣)» ولا تعليق!

٨. رسائل يوحنا:

هناك ثلاث رسائل بالعهد الجديد باسم يوحنا، ويقال بأن يوحنا كاتب إنجيل يوحنا (وهو غير المعروف، والذي من المحتمل أن يكون قسًا عاش في أفسس في نهاية القرن الأول الميلادي، والذي لقبه يوسابيوس (في كتابه) بالقس يوحنا، حسب شهادة بعض الآباء)^(١٣٤).

جاء في الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية: «إن رسائل يوحنا، الأولى والثانية منهما على أقل ما يقال، لا تحتوي شيئاً يعبر عن ظروف إنشائها وهوية كاتبها..... يكاد يكون ثابتاً أن كاتب الرسائل الثلاث واحد.... معرفة هوية الكاتب على بساط الريح، فقد خالف ما فعل بولس، فلم يذكر اسمه قط، وفي أول الرسالتين الثانية والثالثة وصف نفسه بأنه الشيخ^(١٣٥)».

(١٣١) تفسير الدكتور وليم باركلي، دار الثقافة، ١٩٨٧، مصر، الرسالة إلى العبرانيين، ص ١٢.

(١٣٢) المدخل إلى العهد الجديد، م سابق، ص ٦٨٣. يُنظر أيضاً الرسالة إلى العبرانيين في: الخلفية الحضارية للعهد الجديد، م سابق؛ ومدخل إلى الكتاب المقدس، م سابق؛ ودراسة في الرسالة إلى العبرانيين، الأب ألبير فانوا اليسوعي، دار المشرق، لبنان، ٢٠٠٦.

(١٣٣) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، وليم إدي، مركز الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣، الجزء ٨، شرح العبرانيين إلى الرؤيا، ص ٦.

(١٣٤) يُنظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، تعريب القس مرقس داود، مكتبة المحبة، ١٩٧٩، (٣: ٣٩: ٢ || ٤)، ص ١٧٥.

(١٣٥) الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، م سابق، ص ٧٦٠ / ٧٦١ بتصرف.

٩. رسالتا بطرس:

هناك رسالتان في العهد الجديد باسم بطرس، إحداهما وهي رسالة بطرس الثانية هي أضعف محتويات العهد الجديد، وقد لاقت العديد من الصعوبات حتى يتم ضمها لقانون العهد الجديد، فتاريخ كتابتها يُرجح أنه في القرن الثاني الميلادي.

رسالة بطرس الأولى:

بعض أهل الاختصاص شكوا في صحة نسبة الرسالة إلى بطرس (١٣٦).

رسالة بطرس الثانية:

لا يبدو أن الكاتب ينتمي إلى الجيل المسيحي الأول، والرسالة متأخرة عن رسالة يهوذا، وقد جعل تاريخها في العقود الأخيرة من القرن الأول. ولما كان لا يسوغ الإفراط في تأخير رسالة مشبعة على هذا النحو بالتقاليد اليهودية المسيحية، يسوغ اقتراح السنة ١٢٥ تاريخاً لإنشاء الرسالة، وهو تاريخ ينفي عنها نسبتها المباشرة إلى بطرس (١٣٧).

كتب القس فهيم عزيز عن رسالة بطرس الثانية: « هذه الرسالة التي تُنسب إلى الرسول بطرس واجهت من المعارضة ما لم يواجهه أي سفر آخر في العهد الجديد، فنادرًا ما يظهر دارس بروتستانتية يوافق على نسبتها للرسول» (١٣٨).

١٠. رسالة يهوذا

كتب القس فهيم عزيز: « يذكر المؤلف عن نفسه أنه يهوذا عبد يسوع المسيح وأخو يعقوب، وهو يبني سلطته على أنه أخو يعقوب، فلا بد أن يعقوب هذا كان شخصاً

(١٣٦) الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، م سابق، ص ٧٣٦.

(١٣٧) الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، م سابق، ص ٧٥٤.

(١٣٨) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، م سابق، ص ٧٤٣.

صاحب مركز سام في الكنيسة، وغالبًا هو يعقوب أخو الرب! وأسقف أورشليم....
ومع ذلك فقد أنكر كثير من العلماء نسبة هذه الرسالة ليهوذا أخي يعقوب» (١٣٩).

١١. رسالة يعقوب

كتب القس فهميم عزيز: « من هو كاتب الرسالة؟ يقول هو «يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح!» ويصف نفسه أنه معلم من المعلمين. ولكن جو الرسالة يوحي أنه شخص له سلطان خصوصاً في الأوامر التي يصدرها للعالم المسيحي. فمن هو يعقوب هذا؟ هذا الاسم كان شائعاً جداً في الكنيسة الأولى واليهودية، ويمكن أن يدل على كثيرين من المسيحيين. ولكن العنوان بساطة العنوان في ذكر الاسم يعقوب يدل على أنه كان شخصاً معروفاً في الكنيسة العامة، وإذا فتشنا العهد الجديد نجد أن هناك شخصين أو ثلاثة بهذا الاسم» (١٤٠).

١٢. سفر الرؤيا

تم ذكر بعض ما جاء في سفر الرؤيا عند الحديث عن رسائل يوحنا بالأعلى، ونضيف استشهداً واحداً للاختصار:

جاء في التفسير الحديث: «كاتب السفر: لمارتن كيدل (أستاذ في العهد الجديد) قول شهير عن صعوبة وعدم جدوى مناقشة موضوع الكاتب الحقيقي للكتابات المعروفة باسم القديس يوحنا في العهد الجديد، إذ يقول: «الحقيقة أنه يستحيل تماماً أن نقرر من هو الكاتب الحقيقي لما ورد من كتابات في العهد الجديد منسوبة للقديس يوحنا» (١٤١).

(١٣٩) المصدر السابق، ص ٧٥٨-٧٥٩.

(١٤٠) المصدر السابق، ص ٧١١.

(١٤١) التفسير الحديث للكتاب المقدس، مصدر سابق، سفر الرؤيا، ص ٢١. مارتن كيدل: أستاذ إنجليزي في العهد الجديد ومؤلف لكتاب عن رؤيا يوحنا في ١٩٥٢.

❖ الخلاصة:

لا يعرف غالبية كتبة أسفار العهد الجديد، فمن حوالي ٢٧ سفرًا لا يوجد يقين إلا في ٧ رسائل لبولس الذي لم ير المسيح، ولم يعرف الأنجيل، ولم يستشهد بأي إنجيل من الأنجيل؛ حيث إنها كُتبت متأخرة عنه.

١١. التعريف بالإسلام

الإسلام لغةً:

هو الاستسلام والانقياد والخضوع لله تعالى (١٤٢).

والإسلام اصطلاحًا:

هو الدين السماوي الخاتم، الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء، وبعث به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ لهداية الثقلين الإنس والجن، وتوحيده سبحانه وتعالى توحيدًا خالصًا في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإذعان لمشيئته عن رضا واختيار، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وإقامة حدوده، من خلال إخلاص العقيدة، والتمسك بمكارم الأخلاق، ومراقبة الله في العبادات؛ وذلك إقامةً لأركان الإسلام الخمسة، وإعمالًا بأركان الإيمان الستة، وتمسكًا بجوهر الإحسان (١٤٣).

وأصل دين الإسلام وأساسه هو: توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له، والاستسلام له وحده.

(١٤٢) يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني الزبيدي، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٣٨٥-١٤٢٢ هـ: (٣٢٢ / ٣٧١).

(١٤٣) ((يُنظر، مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٤: (٥ / ٢٣٩)؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ: (١ / ٢٢).

وهذا الأصل هو الإسلام الذي بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وأخبر الله تعالى بأن الإسلام بمعناه العام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين:

• فقال تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

• وقال عن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

• وقال عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

• وقال عن حواري عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وأخبر الله تعالى بأن الدين الوحيد الحق والمقبول عند الله هو دين الإسلام، وما عداه فباطل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وأمر الله تعالى جميع الإنس والجن باتباع دين الإسلام، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالإسلام هو دين الله الذي بعث به جميع المرسلين من أولهم نوح إلى آخرهم وخاتمهم محمد ﷺ، وهو الذي كان عليه أبونا آدم، فإن الله بعثه لنفسه وذريته نبياً على شريعة علمه إياها، وشرعها له، فاستقام عليها وذريته، حتى بعث الله نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأما تفصيل شرائع الأنبياء فقد تختلف من نبي لآخر، كما قال الله تعالى:
﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فجاء الإسلام كشرعية خاتمة؛ ليكتمل ما سبقه من الشرائع تكميلاً مهيمناً وناسخاً؛ إذ إن القرآن الكريم نزل مصدقاً لما سبق من الكتب السماوية، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولهذا كان من سمات الإسلام: أنه يتسم بالعالمية والشمولية والواقعية والايجابية، وتحقيق التوازن في كل شيء، وهو دين الاتصال المباشر بالله فلا كهنوت في الإسلام الصحيح ولا توسل، وهو دين تحقيق المصالح المتجددة، وتأكيد الأخوة الإنسانية والمساواة، والنهي عن التواكل، وإرساء قواعد الحق والعدل والمساواة والإخاء والتعاون والشورى، وتأمين حقوق الإنسان، وتأكيد العمل، والأمان لكل فرد، وهو دين احترام كرامة الإنسان، والنهوض بأدمية المرأة، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، والأمر بالوفاء بالعهود والعقود، واحترام حقوق غير المسلمين، وهو دين العلم ونبد الخرافة والجهل، ودعوة المسلمين إلى التمسك الأبدي بعقيدتهم، وعدم نقضها بأي ناقض من نواقض الإسلام (١٤٤).

بدأت بعثة النبي محمد ﷺ في العام ٦١٠ ميلادي، وانتشر الإسلام في كافة أنحاء الأرض ولا يزال هو الدين الأكثر انتشاراً ونمواً.

يبلغ عدد المسلمين في العالم في العام ٢٠٢٤، ما يقرب من ٢ مليار مسلم، بنسبة ٢٥.٨٪ من عدد سكان العالم.

ومن المتوقع في العام ٢٠٥٠ أن يتساوى عدد المسلمين مع عدد المسيحيين قبل أن يتخطى عددهم في العقود التالية. وتأتي الزيادة المتوقعة حسب الدراسات الغربية نتيجة زيادة عدد الداخلين في الإسلام من الأديان الأخرى، وذلك مع زيادة عدد الخارجين من المسيحية كما جاء في الباب الأول - الفصل الأول.

❖ مصادر الإسلام:

يرجع المسلمون في تشريعاتهم، وعقديتهم، وأخلاقهم، إلى مصدرين أساسيين، هما: كتاب الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وسنة رسوله محمد ﷺ.

أ. القرآن الكريم:

يُعد القرآن الكريم كلام الله المنزل على النبي ﷺ هو المصدر الأول للدين الإسلامي، فقد بين الله تعالى فيه كل شيء مما يحتاجه البشر، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] ويقول الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وجعله الله تعالى مصدرًا لهداية البشرية إلى الطريق الصحيح، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وهو الكتاب الوحيد الذي لم ولن يتعرض للتحريف؛ لذا فإن أحكامه هي الأحكام الصحيحة الدقيقة التي يجب على سائر المسلمين اتباعها، والعمل بها.

وهذا المصدر رباني؛ لأنه كلام الله تعالى الذي له الخلق والأمر، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهو أيضًا مصدر محفوظ من التحريف والتبديل، فقد تكفل الله تعالى بحفظه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، بينما الكتاب المقدس

بعهديه القديم والجديد لدى أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد تعرّض للتحريف والتبديل وانقطاع السند؛ لأن الله **جَلَّ جَلَالُهُ** لم يتكفل بحفظه، وإنما أوكل حفظه إليهم، فلم يحفظوه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] أي: بما طلب منهم أن يحفظوه.

ب. السنة النبوية:

ولما كان الاستنباط من القرآن الكريم لا يقتصر عليه وحده، وإنما يحتاج إلى الرجوع إلى السنة النبوية، كما يقول الإمام الشاطبي **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** «فعلى هذا لا ينبغي في الاستنباط من القرآن: الاقتصار عليه، دون النظر في شرحه وبيانه، وهو السنة» (١٤٥).

والسنة النبوية - في إحدى تعريفاتها - هي ما أضيف إلى الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، وهي المصدر الثاني للتشريع في الدين الإسلامي، حيث إنها بينت كثيراً مما جاء في القرآن الكريم مجملاً، أو عاماً، أو مخصوصاً.

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وقال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

والسنة النبوية وحي من الله إلى رسوله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، يقول - عليه الصلاة والسلام - : «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه» (١٤٦)؛ ولذلك وجب الإيمان بكل ما ثبت عن رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -، وتصديقه فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر.

(١٤٥) الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن عفان، ١٩٩٧: (٤/ ١٨٣).

(١٤٦) أخرجه أبو داود، ١٣/٧، برقم ٤٦٠٤، وصححه الألباني.

وقد صنّف علماء الإسلام كُتُبًا كثيرة جمعوا فيها السنة النبوية الصحيحة، وقدّموا اثنين منها على غيرهما، وأشادوا بهما لمكانتهما، وهما: صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

يقول الإمام النووي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «اتفق العلماء **رَحْمَهُمُ اللَّهُ** على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة. وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث» (١٤٧).

❖ وينبثق عن القرآن والسنة:

ج. الإجماع:

وهو اتفاق مجتهدي الأمة الإسلامية، في عصر من العصور، على حكم حادثة شرعية، بعد وفاة النبي ﷺ (١٤٨).

والإجماع إذا انعقد في مسألة كان دليلاً شرعياً قطعياً ملزماً، لا تجوز مخالفته أو نقضه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥].

فالله تعالى جمع بين مشاققة الرسول، واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين المحظور.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» (١٤٩).

د. القياس:

وهو في اصطلاح الأصوليين:

إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها، في الحكم الذي ورد به النص؛ لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم (١٥٠).

وقد ذهب جمهور العلماء إلى القول بحجية القياس، ومن أدلتهم: قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، وذلك في المآل الذي آل إليه بنو النضير؛ إذ أخرجهم الله بعد العز إلى الذل والمهانة، بتركهم حدود الله، والعبرة بعموم اللفظ،

(١٤٨) المستصفى، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣، ص ١٣٧؛ والواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء ابن

عقيل، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩: (٤٢/١).

(١٤٩) أخرجه الترمذي، ٣٩/٤، برقم ٢١٦٧، وصححه الألباني.

(١٥٠) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة، دار القلم، ص ٥٢.

فكل ذي بصر مطلوب منه أن يعتبر بالأحداث، وأن يستفيد من العواقب، فهذه الآية الكريمة دليل من أدلة القياس، ومعلوم أن القياس الصحيح دليل شرعي صحيح.

ومما يدل على حجية القياس الصحيح: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: إن أختي قد نذرت أن تحج، وإنها ماتت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟» قال: نعم، قال: «فاقض دين الله، فهو أحق بالقضاء» (١٥١).

فهذه هي مصادر الدين الإسلامي في أمور العقيدة والشريعة.

ويجب أن نلاحظ الفرق الهام بين القرآن والسنة من ناحية وبين غيرهما من المصادر من ناحية أخرى، فالقرآن والسنة هما أساس الشريعة، وهما اللذان جاءا بنصوص الشريعة المقررة للأحكام الكلية.

وأما بقية المصادر فهي لا تأتي بأسس شريعة جديدة، ولا تُقرّر أحكامًا كلية جديدة، وإنما هي طرق للاستدلال على الأحكام الفرعية من نصوص القرآن والسنة، ولا يمكن أن تأتي بما يخالف القرآن والسنة؛ لأنها تستمد منهما، وتستند إلى نصوصهما.

خاتمة الفصل الثاني:

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج استعراض التعريف بالديانات ومصادرها المقدسة:

١. أن هناك بعض الأديان ليس لها مؤسس أو تاريخ نشأة مثل الهندوسية والشتوية.
٢. بعض الأديان لا تعترف بالخالق سبحانه وتعالى، فبالتالي تعترف ببشرية مصادرها وعقائدها وتشريعاتها، مثل البوذية، والجينية، والتاوية.
٣. آمنت بعض الأديان بتعدد الآلهة مثل الهندوسية، والكونفوشيوسية، ومثل المسيحية التي صاغت هذا التعدد في الإيمان باللامعقول وهو أن كل من الثلاثة إله ولكنهم جميعاً إله واحد.
٤. اختلف العلماء في إطلاق وصف على الكونفوشيوسية بأنها دين أم مذهب فلسفي نظراً لانعدام حديثها حول الغيبات والطقوس والشرائع، بل حتى إطلاق عبارة (نظام أخلاقي) لا يستقيم ولا يسلم به وذلك اعتماداً على كثير من التشريعات لديهم تشوبها وتنقضها.
٥. نشأت السيخية حديثاً في الهند منبع الهندوسية متأثرة بتوحيد الله في الإسلام، فجمعت بين اعتقادين مختلفين، ولاقى هذا الجمع تشجيعاً ورواجاً من أجل السلم الاجتماعي في أحد أقاليم الهند.
٦. اتسمت بعض الأديان بالعنصرية الشديدة مثل الهندوسية واليهودية.
٧. اتسمت غالبية الأديان عدا الإسلام، بغموض وصعوبة أمور الاعتقاد، فحارت العقول فيما يستحيل فهمه أو إدراكه، وترك الأمر لرجال الدين ولكهنته يرشدون الاتباع ولم يجد العامة إلا التسليم بما يراه الكهنة ورجال الدين.

٨. اتسم الإسلام بوضوح المنهج ووضوح أسس الاعتقاد وبالعالمية فلم يختص بجنس واحد، وبالمعتقدات والتشريعات الظاهرة لعموم فهم البشر، وانفراده بشمولية لا تحتاج إلى تبديل وتحريف لتوافق متطلبات العصر.
٩. بعض الأديان لا تصرح بأن كتبها موحى بها من الخالق نظرًا لعدم اعتقادها بوجود خالق مثل: (البوذية || الجينية || التاوية)، أو لإيمانها بتعدد الآلهة وعدم حديثها عن أي غيبات أو تشريعات مثل: (الكونفوشيوسية).
١٠. بعض الأديان تأخر كتابها المقدس عن تاريخ نشأتها بأكثر من ألف عام، واحتوى كتابها المقدس على أساطير وقصص تاريخية خالياً من العقائد والتشريعات مثل (الشتوية).
١١. آمن الهندوس بقدسية مجموعة كبيرة من الكتب تخطت الستون كتاباً، لا يُعلم كاتبهم، واختلفت مخطوطاتهم، فتنوعت وتعددت آلهتهم، ونسبوا لآلهتهم الزواج والإنجاب والتجسد في صور أسماك وحيوانات وبشر ناسجين الأساطير حول روايات التجسد وملاحم الآلهة المتجسدة وهي في الحقيقة أقرب لقصص وأساطير البشر الخيالية.
١٢. فُقد الكتاب المقدس عند الزرادشت، ثم أُعيد تدوينه، ثم فُقد، ثم أُعيد تدوين بعضه، وضاعت مخطوطاته القديمة، فيعتمدون على مخطوطات لا تحتوي إلا على ما بقي من كتبهم، تعود تلك المخطوطات للقرن الرابع عشر الميلادي بينما كانت الديانة في القرن السادس الميلادي، أي أن المخطوطات يفصلها عن أصل التدوين ما يقرب من ٢٠٠٠ عام.

١٣. بالرغم من حداثة السيخية وحداثة كتابها المقدس، إلا أن كتابها لا يُعلم العديد من كتبه، فبالإضافة للمعلمين السيخ الذين كتبوا العديد من قصائده، إلا أنه اشترك العديد من الشعراء المجهولين والموسيقين في كتابة قصائد من قصائده، ولا يحتوي الكتاب على تشريعات تنظم حياة المجتمع.

١٤. بالرغم من إيمان المسلمين بأن الله تعالى أنزل التوراة على اليهود، إلا أننا لا نجد التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى، فالكتاب المقدس عند اليهود تعدد كاتبه وتردد وليس جزمًا في أغلب التخمينات، وجَهلوا العديد من الكُتَّاب فلم يعرفوهم، بينما نسبوا بعض الكتابات إلى أنبياء بلا سند متصل ولا دليل من مخطوطات مقبول.

فقد فُقدت المخطوطات في مراحل السبي المتكرر، وأعيدت كتابتها بعد الفقد بمئات السنين، وماتت اللغة العبرية، وأعيد إحيائها، واختلفت المخطوطات كثيرًا بين النص العبري من القرن التاسع الميلادي وبين النص المترجم إلى اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد (الترجمة السبعينية).

فلم يُحفظ الكتاب لا مشافهةً ولا تدوينًا، ولم تُحفظ اللغة العبرية بشكل مستمر على مر الزمان من موسى عليه السلام إلى وقت التدوين.

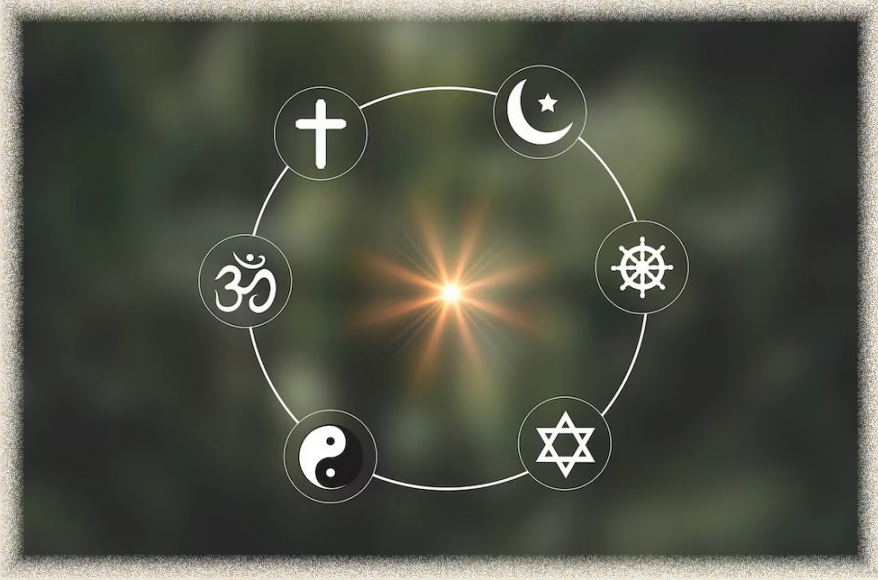
١٥. بالرغم من إيمان المسلمين بأن الله تعالى أنزل الإنجيل على المسيح عليه السلام، إلا أننا لا نجد إنجيل المسيح، بل نجد العهد الجديد الذي يجهل النصارى العديد من كتبه، وآمنوا به وقدسوه بناءً على اختيار وهوى بعض القدامى الذين لم يكونوا من تلاميذ المسيح عليه السلام.

ومع ذلك لا يمكن أن نجد في العهد الجديد أصول الاعتقاد النصراني واضحة المعالم مثل الثالوث، وتأليه المسيح كإله كامل مساوٍ للآب. كذلك لا يمكن أن نجد فيه تشريعات أو طقوس وشعائر، بل هي تشريعات أقرتها الكنائس والأباء والأوائل على اختلاف بينهم في أصولها وتفصيلها، وباتوا يقبلون في كتبهم ويبحثون عما يستندون إليه في هذه المعتقدات الباطلة متكلفين زاعمين وصولهم لدليل يسندهم وهم على ذلك ليسوا متفقين كما قال الله عنهم (ولا يزالون مختلفين).

١٦. في النهاية نجد أن الإسلام ديانة اتسمت بوضوح المعتقد، وأصولية المصادر المقدسة عندها، وتفردتها بحفظ مصادرها حيث كان الأصل في حفظه المشافهة والتلقي ثم بعد ذلك تمّ تدوينه. وقد استمرت اللغة العربية منذ نشأتها، واعتنى المسلمون الأوائل بلغتهم، وبحفظ كتابهم وتدوينه، وحفظ سنة نبيهم وتدوينها، فأصبحت كتبهم كاملة تامة لا تترك أمراً من أمور الاعتقاد إلى وضحته، ولا أمراً من أمور التشريع إلا فصلته وبيته.



الباب الثاني



(العقيدة) الغيبيات في الأديان

الفصل الأول

مفهوم الإله وصفاته في الأديان

الفصل الثاني

الشیطان في الأديان

الفصل الثالث

اليوم الآخر والثواب والعقاب في الأديان

الفصل الرابع

الغرض من الخلق في الأديان

تمهيد الفصل الأول

يُنسب إلى الله سبحانه وتعالى الخلق والملك والتدبير والحكم، لذلك وجب تنزيهه وعبادته بما يليق به، أي وجب توحيده في عبوديته بالاعتقاد أنه هو وحده الحاكم والقادر والخالق والرزاق والشافى والمعين، وتوحيده في ألوهيته بتوجيه كل أنواع العبادة له منفردًا بدون إشراك غيره في أي نوع من أنواع العبادة من صلاة ودعاء وصوم وحج واستغاثة، وتنزيهه في أسماء وصفاته بعدم تسميته إلا بما سمى به نفسه، وعدم وصفه إلا بما وصف به نفسه في وحيه إلى رسله عليهم السلام.

هكذا اعتقد في ديني، لكن السؤال الذي حرك في نفسي البحث هو: أهل كل الديانات المتبعة في العالم والمؤثرة لديها نفس التصور الذي يصب في فحوها فكرة منطقية وهي تعظيم الإله الخالق، ووصفه وذكر أفعال القداسة له سبحانه كما هو الحال عندي؟

كان هذا هو السؤال الذي يقف خلف هذا البحث، لذلك ستجد عرضًا في الصفحات المقبلة لموقف الأديان من الله (أو الإله المعبود عندهم) كما في مصادر الأديان، وكما يعتقدون في ديانتهم.... والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



❖ الفصل الأول: مفهوم الإله وصفاته في الأديان

١. مفهوم الإله وصفاته في الهندوسية:

من الصعب الحديث عن الإله وصفاته في الهندوسية، نظرًا لأن المصادر الكتابية الهندوسية تحتوي على كل من: إله واحد، وتعدد آلهة يتضمن الإله وزوجاته وأبناء الآلهة وأيضًا مخلوقات الإله من الآلهة التي تخلق بدورها، كما تحتوي المصادر الكتابية أيضًا على تجسّدات إلهية، ووحدة وجود للإله الواحد أو للآلهة المتعددة.

من خلال قصة الخلق ومن خلال الكتب المقدسة عند الهندوس، يتضح أنه يوجد في التفكير الهندوسي - فيما يختص بالإله - نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف؛ وهما نزعة الوحدانية ونزعة التعدد، وإن كانت نزعة التعدد أقوى وأكثر انتشارًا (١٥٢).

وقد كتب جوستاف لوبون: «تبدو الأناشيد الآرية متموجة بين أشد المبادئ الدينية اختلافًا، فتجد فيها عبادة قُوئى الطبيعة، وتجد فيها وحدة الوجود، وتجد فيها الشرك، وتجد فيها التوحيد. ولا شيء أصعب من وضع تقسيم لآلهة الآريين ووضع سلسلة لها، وأكثر الآلهة أو الرموز المذبذبة ذات الصفات والمقامات غير المستقرة على الدوام، فتجد الأساطير الويدية مملوءة بها، هي ما يأتي: إله النار «أغني»، وإله الشراب المختمر «سوما» الذي يحثه، ف«أغني» هو موجب الآلهة وهو موجب العوالم وهو موجب الحياة الكونية، و«سوما» يخلد الآلهة ويهب للناس القوة والنشاط، و«سوما» أوجب مثله، آلهة السماء والأرض، «إندرا» و«شنو»، و«سوما» حين اتّحد بـ

«أغني» صَوَّر السماء والكواكب ، وملك السماء «إندرا» هو من أكثر الآلهة ذكراً لدى الآريين، فهذا الإله محارب واقف على مركبة حرب كأنه زعيم عشيرة آرية ، ويجتمع حول الإله إندرا آلهة لا يحصيها عدُّ فتقاسمه سلطانه وتغلبه في الغالب، ومنها الآلهة التي تُعرف بالماروت، أي آلهة الزوابع والأعاصير والبروق وتوزيع الأمطار، والتي هي أولاد «رودرا» الذي هو أجمل إله والذي يرسل الصواعق ويحمي الأنعام ويشفي المرضى، ومن تلك الآلهة الذي يُعرف بـ «برهسبتي» الذي ينظّم الكون، ومنها الإله «ورونا» الذي ينظر إلى أعمال الناس ، والذي هو ملك السماء كالإله «إندرا»، والذي تصوره بعض أناشيد «الويدا» خاضعاً للإله «إندرا» هذا، وتصوره بعضها سائداً له، وتصوره بعض آخر منها مُتحدداً به ، ثم يجيء الإله «سُورِيَه»، الشمس، و«شنو» الذي يجوب الفضاء بثلاث خطوات، والذي قفز ذات يوم إلى الصف الأول من الآلهة بعد أن كان ذكراً خاملاً في الويدا. ويضاف إلى تلك الآلهة، الكثيرة التي لا فائدة من عدّها جميعها، أشخاص مجردة كـ «بوراندهي» «الرخاء»، و«أراماتي» «الإحسان»، و«مرتيو» «الموت»، إلخ. ا.هـ (١٥٣).

وهذا النص من كتاب «قوانين منو» يوضح بعضاً من العقيدة الهندوسية فيما يخص الآلهة: قوانين منو (١ : ٢٢): «ثم إن «براهما» خلق الآلهة العاملة على مختلف طبقاتها،...

وكذلك جاء في (بهاجافاد جيتا ٢ : ١٠): «إن جمع الآلهة لا يعرفون ولادتي، ولا الحكماء الكبار على الأرض، لأن جميع الآلهة تأتي مني وكذلك جميع الحكماء الكبار».

وجاءت بعض نصوص التعداد في الريح ويدا كما يلي:

(ريج ويدا، م ١، س ١٦٥ : ١٠): «أنا واحد ومستقل، أتمنى أن ينمو نشاطي وروعي وينتشر في كل مكان منذ ذلك الحين، جريئة وجريئة، كل أفعالي، أفعالها بكل عقلي وروحي. يا ماروتس، أبطال الرياح والعواصف، أنا مشرقة ولامعة، أنا إندرا، سيد قوتي. أنا عارف وأعرف ما أعرف. أينما أتقل، مهما حققت، أنا بالتأكيد أحكم».

(ريج ويدا، م ١، س ١٨ : ٤): «من المؤكد أن هذا الرجل الشجاع لا يعاني أبدًا من أي أذى أو جرح من قبل إندرا، رب الشرف، والبراهما رب الويدا، الرب كلي العلم في الكون، وسوما، سيد السلام والجمال والفرح، ودعوتهم إلى طريق العمل والشرف».

(ريج ويدا، م ١، س ١٨ : ٥): «براهما رب الويدا، رب الكون كلي العلم، أنت، سوما، رب الأعشاب والصحة، إندرا، رب الرياح والطاقة، وداكشينا، بكرم القرابين، لحفظ وحماية ذلك الرجل البطل من الخطيئة الذي هو في طريقه إلى العمل والتقوى عند الطلب من الآلهة»

(ريج ويدا، م ١، س ٢٤ : ١١): «فارونا، حاكم النجوم، الذي أشاد به واحتفل به الكثيرون، جئت إليكم أغني في عبادة ترانيم الألوهية، مقدمًا عطورًا مقدسة في قرابيننا بإيمان وإجلال. أيها الرب الرقيق والكريم، أعطنا نور الحياة هنا نفسها. لا تدع حياتنا تضيع»

(ريج ويدا، م ١، س ٣١ : ١٨): «آجني (أغني)، سيد النور والنار في القرابين، ينمو ويدعنا ننمو من خلال هذا الصوت الإلهي للويدا، وبكل ما نفعه ونحققه بقوتنا الروحية والجسدية أو بمعرفتنا وعملنا من أجل الألوهية. وجلب لنا ثروة شاملة، ووفر لنا ذكاء مقدسًا وخلقًا».

❖ الإيمان بالثالوث الإلهي

وصل فكر الكهنة الهنود حوالي القرن التاسع قبل الميلاد إلى إبراز هذه النتيجة التي تقرب من التوحيد، فقد جمعوا الآلهة في إله واحد، وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه إلى أن يهلكه ويرده إليه، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء، فهو «براهما» من حيث هو موجد، وهو «فشنو» من حيث هو حافظ، وهو «سيفا» من حيث هو مهلك (١٥٤).



ثالوث الآلهة الهندوسي (براهما وفشنو وسيفا).

٢. مفهوم الإله وصفاته في الزرادشتية:

اختلف المؤرخون والباحثون حول اعتقاد الزرادشتية في الإله، فذهب البعض إلى أن الزرادشتية ديانة توحيدية، بينما رأى البعض الآخر أن الزرادشتية ديانة ثنوية أي تقول بوجود إله للخير «أهورامزدا» وإله للشر «أهرمان» وهو الشيطان وذلك نظرًا

(١٥٤) أديان الهند الكبرى، م سابق، ص ٤٦، نقلًا عن

للصراع القائم في الزرادشتية بين إله الخير وإله الشر. ولا زالت هذه القضية موضوع جدال كبير، نظرًا للتناقضات الموجودة في مفهوم الألوهية عند الزرادشتية، وفيما يلي نعرض الآراء المختلفة لبعض الباحثين حول هذا الاختلاف الذي لم يُحسم:

يقول صاحب كتاب حكمة الأديان الحيّة: «وصفت الزرادشتية بدين ثنائي، ولكن الثنائية هذه نظرية أكثر من كونها حقيقة، لأنّ من تعاليم الزرادشتية أنّه بعد وقت موقوت سيدحر أهورامزدا، أهرمان ويتغلب عليه بمساعدة جميع الأخيار المجاهدين من أجل الخير، فتتحرر الدنيا أخيراً من الموت والشر وتُحكّم إلى الأبد من قبل أهورامزدا، وهكذا فإنّ الزرادشتية في نظرتها العالمية النهائية ديانة توحيدية» (١٥٥).

كما يقول صاحب كتاب الرحمن والشیطان: «مفهوم الثنوية الزرادشتية يقف في تعارض مع التعددية، ولكنه لا يتعارض مع الوحدانية، بل يتلازم معها... فأهورامزدا واحد ولا ثاني له في الألوهية» (١٥٦).

يقول أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام: «ويقول الأستاذ هوج: إنّ زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحداً، ومن الناحية الفلسفية ثنويّاً، ولعله يريد من قوله هذا أنّه من ناحية العقيدة الدينيّة كان يرى أنّ للعالم إلهاً واحداً، ولكن إذا تعرض لشرح فلسفة العالم، وما فيه من خير وشر يتطاحنان، وما إلى ذلك، فهو ثنوي، يرى أنّ في العالم قوتين» (١٥٧).

يقول الإمام الغزالي: «عبدوا النور الجامع لجميع أنوار العالم، وزعموا أنّه رب العالم والخيرات كلها منسوبة إليه، ثم رأوا في العالم شروراً فلم يستحسنوا إضافتها إلى ربهم تنزيهاً له عن الشر، فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة، وأحالوا العالم إلى النور والظلمة» (١٥٨).

(١٥٥) حكمة الأديان الحيّة، تأليف جوزيف كابر، ترجمة: حسين الكيلاني، مكتبة الحياة، بيروت، ص ٢٥٨.

(١٥٦) (١٣٧) الرحمن والشیطان، فراس السواح، دار علاء الدين، سوريا، ٢٠٠٠، ص ٨٢.

(١٥٧) (١٣٨) دراسات في الأديان الوثنية القديمة، د. أحمد علي عجيبة، دار الأفق العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ١١٨.

(١٥٨) يُنظر: الزرادشتية. الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة، د. جمشيد يوسف، مكتبة زين، بيروت، لبنان، ٢٠١٢.

كتب الدكتور الشفيح الماحي: «وعلى أيِّ حال فالعقيدة الزرادشيتية في الإله - كما بينها زرادشت لقومه - لم تصرح بوجود إلهين متكافئين في القوة، ومتصارعين في الوجود، وإنما صرحت فقط بوجود إله واحد متفرد بالخلق والتأثير، لا ينازعه أحد في ملكه، ولا شريك له في إلهيته، أمَّا وجود قوئ كالنور والظلام، والخير والشر، والحق والباطل، متضادة في أصل خلقتها، ومتنازعة في حركتها، وممتزجة في الوجود، فهي كما يقول زرادشت مبدأ موجودات العالم، ومن إمتزاجها وتنازعها خلق العالم، كما هو عليه، ولولم يكن هكذا ممتزجة ومتصارعة لما كان العالم، ولما كان للموجودات معنى، والله هو الذي أوجدها قوئ مستقلة في الوجود بالفعل والحركة، لحكمة وغاية رآها في إختلاطها وفي تركيبها وتنازعها» (١٥٩).

الزرادشتيون في العصر الحاضر يرفضون تهمة الثنوية، فيذكر صاحب كتاب تعاليم زرادشت وهو زرادشتي العقيدة أن وصفهم بالثنوية تهمة موجهة إلى الزرادشتية، وأخذ يستشهد ببعض النصوص حتى يثبت أن الثنوية لا تشكل جزءاً من العقائد الزرادشتية ومنها: «لقد علم أهورامزدا بعلمه الكلي، أن أهرمان موجود، وروح الشر لم يكن على علم سابق بوجود أهورامزدا» (١٦٠)، فليس معنى أن أهرمان إله أو أن وجود كائنات إلهية أخرى - في معتقدهم - يقف في مصاف الإله الأعلى المطلق، ومناوياً له (١٦١).

ص ١٢١ باختصار؛ نقلاً عن مشكاة الأنوار للغزالي: (ص ٨٩)، القاهرة: ١٩٦٤ م.

(١٥٩)(١٤٠) زرادشت والزرادشتية، د. الشفيح الماحي أحمد، جامعة الملك سعود، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية: ٢٠٠١، ص ٤٠٣٩.

(١٦٠)(١٤٢) الزرادشت تأريخاً وعقيدة وشريعة، خالد السيد محمد غانم، خطوات للنشر، الأردن، ٢٠٠٦، ص ١٤٧.

(١٦١)(١٤٢) أي أن وجود آلهة أخرى مع الله، لا ينفي وحدانية الله وتفرد بالألوهية، وهذه المعتقدات تتشابه مع الكثير من المعتقدات الهندوسية، حيث يؤمنون بالهة عاملة، وآلهة غير عاملة، وأنصاف الآلهة، وآلهة مخلوقة من آلهة أخرى.

بذلك فهم يؤمنون بأن أهورامزدا: «هو الإله المطلق في الزرادشتية الذي تفيض عنه كافة الموجودات والذي أبدع الكون... وهو الواحد الخالق الكبير، هو الذات التي لا بداية لها ولا نهاية، هو الروح الرحمانية، والقدرة الربانية، هو المُسبب الأول لكل الموجودات، الإله الأعلى والرب الكبير» والثنائية عندهم: «ليست إلا القول بأنه يوجد في الكون أصلان: أصل للخير وأصل للشر، وأنَّ الذي يجلب الشر هو أهرمان وهو الشيطان» (١٦٢).

ولا تزال إحدى المعضلات في الزرادشتية محل بحث ونقاش، وهي إن كان أهورامزدا هو الخالق لكل شيء، ولا يخلق إلا الخير، فمن خلق الشيطان؟

٣. مفهوم الإله وصفاته في الجينية:

اليانية «الجينية» في الأصل ثورة على الهندوسية، لذا فإنهم لا يعترفون بالهة الهندوس، ومن هنا سميت حركتهم بالحركة الإلحادية، فلا تعترف الجينية بالخالق العظيم لهذا الكون، لكنها تعترف بوجود أرواح خالدة، فالجينية ترفض فكرة وجود الله الخالق أو المرشد أو المدمر كما في الهندوسية التي اشتقت منها.

ولكن وفقاً للجينية، فإن أي إنسان وصل إلى حالة التقوى يعتبر إلهاً، وبذلك يمكن أن يكون هناك العديد من الآلهة، وهكذا، كان «ماهافيرا» (المؤسس) هو الإله لكنه لم يكن الإله الوحيد، بل كان هناك العديد من الآلهة الأخرى أيضاً.

الجينية تؤمن بالإله، ليس كخالق، بل ككائن كامل؛ فعندما يدمر شخص ما كل ما لديه من «الكارما» بالتقشف والعفة والزهد، فإنه يصبح روحاً متحررة تعيش في حالة نعيم مثالية في «موكشا» (تحرر - خلاص - انطلاق - نيرفانا) إلى الأبد.

وهذه الروح المُحررة تمتلك معرفة لا نهائية، ورؤية لا نهائية، وقوة لا نهائية، ونعيم غير محدود، وهذا الكائن الحي هو إله الجينية. لذا فإن كل كائن حي لديه القدرة على أن يصبح الإله، ومن ثم ليس لدى الجينيين إله واحد، لكن آلهة الجينية لا حصر لها وعددهم يتزايد باستمرار مع تحقيق المزيد من الكائنات الحية للتحرر (١٦٣).

٤. مفهوم الإله وصفاته في الكونفوشيوسية:

لا تحتوي كتب الكونفوشيوسية على غيبيات أو طقوس أو شعائر، فلم يذهب كونفوشيوس باتجاه الحديث عن أمور ما وراء الطبيعة، ولا بالبحث في نظام الكون وسننه، ولا اهتم ببحث الماديات، وإنما تركز اهتمام كونفوشيوس على الإنسان والأخلاق وأساليب الحكم.

وقد جمعت الديانة الكونفوشيوسية في فكرها الإلهي بين العديد من الصيغ والأنماط المتناقضة، فعلى الرغم من اعترافها بوجود إله مجرد، نجدها تقر تأليه البشر ويتمثل ذلك في عبادة الأبطال والأباطرة، بحجة أن لهم أنساباً إلهية مقدسة. وقد جمعت الكونفوشيوسية بين فكرة الوحدة، والثنائية والكثرة كما يلي:

١. تبدو الوحدة في إله السماء السرمدى الذي ترد عليه كل الموجودات.

٢. تتمثل الثنائية في دريين:

أولهما: علاقة إله السماء بإله الأرض، وتعاونهما في خلق الحياة.

وثانيهما: تبدو في تفويض إله السماء ابنه الحاكم (إله الأرض) في إدارة

شئون دولته.

(١٦٣) مترجم من:

Jainism An Introduction. Jeffery D Long. Published in 2009 by I.B.Tauris & Co Ltd.; & Jainism In 13 chapters. DR. M.R. GELRA. Published by CreateSpace. 2017. & Jainism I - Basics of Jainism (JES 102) - Jaina Education Series 2007 - 102.

ومترجم من: موقع المؤسسة الجينية، مفهوم الإله، مارس ٢٠٢٤

<https://www.jaina.org/page/ConceptofGod>

٣. أما الكثرة فتمثلها عبادة أرواح الأجداد والأجرام السماوية.

ونتيجةً لهذا الغموض والتناقض في مفهوم الألوهية في الكونفوشيوسية، نجد أن مصادر مثل الموسوعة البريطانية كتبت: « لا يوجد إله يُعبد في الكونفوشيوسية، على الرغم من ممارسة عبادة الأجداد، وعبادة وكونفوشيوس نفسه باعتباره المعلم الحكيم » (١٦٤).

✦ المعبودات في الكونفوشيوسية متعددة وهي كما يلي:

١. إله السماء «شانج تي» أو «تيان»:

يرد الكونفوشيون الحاكمية إلى إله السماء، ويعدون الحاكم أنه كبير الكهنة المفوض بحكم الأرض من قبله، أما المعلمون فهم بمنزلة الرهبان والكهنة الصغار، أما التلاميذ فهم بمنزلة الحواريين الذين يمثلون الطبقة الوسطى بين طبقة النبلاء والطبقة الشعبية، وهم جميعاً يعبدون إله السماء وإله الأرض وكونفوشيوس وأرواح الأجداد. ويتحدث كونفوشيوس في فقرات عديدة في كتاب «الحوارات» عن السماء معبود الصين الرئيس، «تيان» أو السماء، والسماء عند قدماء الصينيين لها معنيان مختلفان، فالسماء «تيان» هي: اسم مشترك بين «القبة الزرقاء المحيطة بالأرض» وبين «الإله»، وأسموها في الكتب القديمة بـ «الملك العلي»، واعتقدوا أن الملك العلي حي عليم قدير، يصرف السماوات والأرض وما بينهما، وتنفذ مشيئته في النفوس كما تنفذ في الكائنات.

أما عند كونفوشيوس، فيشير مصطلح «السماء» إلى قوة كونية معنوية غامضة لا تقهر، وهو بهذا يرفض النظر إليها بوصفها كائناً بشرياً، بل يشير إليها في موضع آخر

(١٦٤) مترجم من: الموسوعة البريطانية <https://www.britannica.com/topic/Confucianism>

وُنظِر: الكونفوشيوسية، د. ناصر بن فلاح الشهراني، م سابق، ص ٢٧-٦٠.

بوصفها كياناً عظيماً يتمتع بالإرادة القاهرة وقدرة الإبادة ويتميز بالغائية، ويخضع كل شيء في الكون لمشيئة السماء القادرة على كل شيء.

٢. إله الأرض (ابن إله السماء) «تين تزو»:

وهو المتحكم بتفويض من إله السماء في تنظيم العالم الأرضي، والمخول باختيار من ينوب عنه من الملوك والحكام الذين يقومون بدورهم بإعداد التقارير الخاصة بأحوال الممالك الأرضية وأخبار الزرع وتقديم القرابين لأرواح الأسلاف والإله الأعلى. ويرى الكونفوشيون أن الموجودات وليدة العلاقة الروحية القائمة بين إله السماء وإله الأرض وهي التي تمخض عنها كل الكائنات.

٣. الآلهة الخمسة:

ظهرت هذه الفكرة عقب موت كونفوشيوس وتأليهه، فقد اعتبره تلامذته إلهًا بجانب أربعة آلهة أخرى وهي إله السماء الأعظم، وإله الأرض، وأرواح الأجداد والأبطال، وآلهة الجبال والأنهار. وكانت القرابين تُقدّم لهم جميعاً خرافاً وثيراناً وخموراً وعطوراً، وأقيمت لهم تماثيل منصوبة في متحف العظماء.

٤. أرواح الأجداد:

من عقائد الصينيين أن الأرواح تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا، مع أسرهم ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديساً لهم ووفاءً لعهودهم وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم ويقدمون لهم القرابين.

٥. تقديس الأبطال:

تتميز فكرة عبادة البطل الصينية عن دونها من الديانات بأن البطل فيها ينال حظاً موفوراً من التقدير والتقديس والقرابين شأن الآلهة الكبار، ولا شيء يميزه عنهم

إلا أن عبادته مرهونة بوجوده، فسرعان ما يتحول عنه عبَّادُه إلى عبادة بطل آخر إذا انتهى عهده أو أفل نجمه (١٦٥).

٥. مفهوم الإله وصفاته في البوذية:

البوذية هي دين لا يتضمن الإيمان بإله خالق، أو أي كائن شخصي إلهي أبدي. وتنص التعاليم البوذية على أن هناك كائنات إلهية تُدعى «ديفاس» (تترجم أحياناً باسم «آلهة»)، وآلهة بوذية أخرى، والإله السماء. وتعلم البوذية أن أيا من هذه الآلهة ليس خالقاً أو كائناً أبدياً، على الرغم من أنها يمكن أن تعيش حياة طويلة جداً (١٦٦).

كتب داميان: «البوذية تُنكر وجود إله خالق، ورغم ذلك، فإنها تعترف بوجود كائناتٍ خارقةٍ للطبيعة مثل الآلهة والأرواح، لذا اقترح البعض الحاجة إلى تصنيفٍ جديدٍ يناسب البوذية وهو أنها دين «لا إلهي»، لكي تدخل البوذية تحت مظلة الأديان لا تحت مظلة الفلسفة» (١٦٧).

ويرى د. شلبي أن بوذا لا يُحرِّكُ ساكنًا، ولا يُبدي نظراً في الأمور الغيبية، ويضرب لذلك مثلاً: «ذات يوم سأله أحد تلاميذه: هل العالم أبديٌّ، أو له نهاية؟ فأجاب بوذا: لا قيمة للبحث في أبدية العالم، أو في نهايته، فأنا لم أت في هذه الدنيا؛ لكي أشرح هذه المسائل، بل جئتُ إليها؛ لكي أُبينَ السبيل إلى النجاة من هذه الحياة والآمها، وبناءً على ذلك، لا علاقة لي بهذا السؤال المذكور، ومن ثمَّ فإني أعتبره لا قيمة له» (١٦٨).

(١٦٥) الكونفوشيوسية، م سابق، باختصار وتصرف الصفحات من ٢٧-٦٠. وللمزيد: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارنندر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٣؛ والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥.

(١٦٦) مترجم من: هارفي بيتر، البوذية والتوحيد،

Harvey, Peter (2019). «Buddhism and Monotheism», p. 1. Cambridge University Press.

(١٦٧) البوذية، مقدمة قصيرة جداً، داميان كيون، م سابق، ص ١٧-١٩.

(١٦٨) أديان الهند الكبرى، م سابق، ص ١٦٨.

ومن ثمَّ ذَهَبَ البوذيون إلى أَنَّ الإنسانَ مسؤولٌ عن نفسه وعن مصيره، وأنَّ ليسَ للآلهة من الأمر شيء، فإمَّا أن يظلَّ الشخص مقيَّدًا بقيود هذا العالم، أو يتحرَّك من هذه القيود والشُرور، وأنَّ أيَّ شخص لا يستطيع أن يتغلَّب على رجل انتصَرَ على ذاته، حتَّى الآلهة لا يُمكنها أن تنتصرَ على رجل غلبَ نفسه.

٦. مفهوم الإله وصفاته في التاوية:

لا يوجد إله خالق للكون، له أسماء وصفات في التاوية. ولكن يؤمن التاويون بـ «التاو» الذي يعتبرونه مصدر الخلق، ولكن لا يؤمنون بتدخله في الخلق وتغيير الكون.

ويتضمن معنى «التاو» عند التاويين عدة مفاهيم في كلمة واحدة:

(١) مصدر الخلق.

(٢) النهائي.

(٣) لا يمكن وصفه ولا يمكن تحديده.

(٤) غير القابل للتسمية.

(٥) الكون الطبيعي ككل.

(٦) طريق الطبيعة ككل.

ويعرف التاويون التاو بصيغة النفي لا بصيغة الإثبات، فقد جاء في الكتاب المقدس عند التاويين (تاو تي تشينج ٢٥: ٥٦ - ٥٨): «هناك شيء بلا شكل، موجود قبل السماء والأرض، صامت وفارغ، قائم بنفسه لا يحول، شأنه الدوران بلا كلل، مؤهل لأمومة هذا العالم، لا أعرف اسمه فأدعوه التاو، لا أستطيع وصفه فأقول العظيم».

بالرغم من هذا فإن التاويين يستخدمون لفظ «الإله» للإشارة إلى التاو، وهم يقدسون تقليدياً «لاوتسو» باعتباره الإله الأول للتاوية وتجسيداً للتاو، ومع ذلك، لدى

التاوية العديد من الآلهة، معظمهم مستعار من ثقافات أخرى، وهذه الآلهة موجودة داخل هذا الكون وتخضع نفسها للتاو.

«العديد من الآلهة عند التاوية هم آلهة لدور معين، وليس أي منهم كائنًا إلهيًا شخصيًا وله ألقاب بدلاً من أسماء، وغالبًا ما تصف الكتب آلهة التاوية بأنها بيروقراطية سماوية تحاكي الإدارات العلمانية للإمبراطورية الصينية». (١٦٩).



الآلهة العظيمة الثلاثة عند التاويين

تقول المؤسسة التاوية على الانترنت: «أكثر الآلهة احترامًا في الديانة التاوية هي الآلهة الثلاثة البدائية، أي رب السماء البدائي، ورب الكنز السماوي، والرب السماوي للتاو، حيث يسكن رب السماء البدائي في عالم نقاء في جنة «تشينغ وي الخامسة والثلاثين»، وقيم رب الكنز السماوي في عالم النقاء العالي في جنة «يو يو الرابعة والثلاثين»، وقيم رب تاو السماوي في عالم النقاء الأعلى في جنة «دا تشي»

(١٦٩) مترجم من: إجابات عن الديانات، م سابق، ٣٧٢-٣٧٣؛ ودين الإنسان، فراس السواح، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٢، ص ٢٣٩-٢٤١؛ والتاوي تشينغ، إنجيل الحكمة التاوية في الصين، صياغة عربية للنص، شرح: فراس السواح، دار علماء الدين، دمشق، ١٩٩٨؛ وتاوي كينغ، لاو تسو، تقديم وترجمة: عبد الغفار مكاوي، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٢؛ ومترجم من: الإله عند التاويين، نقلًا عن: «بي بي سي» (مايو ٢٠٢٤):

الثالثة والثلاثين»، وتُعرف عوالمهم معًا باسم «العوالم المقدسة للعوالم الثلاثة الأصلية»، ويشار إليها أيضًا باسم «الجواهر الثلاثة». (١٧٠).

٧. مفهوم الإله وصفاته في الشنتوية:

الشنتوية في معتقدها لم تذهب إلى الإقرار بإله واحد، فليس لعقيدة التوحيد مكان عند الشنتو، بل هم يؤمنون بتعدد الآلهة والمعبودات «الكامي» (١٧١)، التي يقيمون لها المعابد والهياكل والتماثيل والأصنام ويقدمونها ويقدمون لها القرابين.

كتب د. سوكيو: «في الأساس، مصطلح الكامي هو تكريم للأرواح النبيلة والمقدسة، مما يعني الشعور بالعبادة لفضائلها وسلطتها. وجميع الكائنات لديها مثل هذه الأرواح، لذلك بمعنى ما، يمكن تسمية جميع الكائنات «كامي» أو اعتبارها «كامي محتملة»، ومع ذلك، نظرًا لأن المصطلح هو مصطلح شرفي، فليس من المعتاد تطبيقه على الأفراد أو الكائنات العادية» (١٧٢).

وقد وردت العديد من النصوص في الكتاب المقدس عند الشنتو (الكوجيكي) تحتوي على الاعتقاد بتعدد الآلهة في السماء وتداخلها وتفاعلها معًا في الخلق وذلك كما في النص الآتي: «كانت أسماء الآلهة التي ولدت في سهل السماء العليا عندما بدأت السماء والأرض هي (١) الإله السيد مركز السماء؛ والتالي، (٢) الإله الأعلى إله الولادة (الإنتاج)؛ والتالي، (٣) الإله العجيب إله النمو. كل هذه الآلهة الثلاثة

(١٧٠) المصادر السابقة نفسها؛ والآلهة، مترجم من: المؤسسة التاوية (مايو ٢٠٢٤):

<https://www.taoistfederation.org.sg/en/taoist-gods/>

(١٧١) سبق تعريف «الكامي» في الباب الأول-الفصل الثاني.

(١٧٢) مقارنة الأديان، الخطيب، م سابق، ص ٤٧٣ : ٤٧٥؛ ومترجم من: إجابات عن الديانات، م سابق، ص ٤٧٩ : ٤٨١؛

ومترجم من: الشنتو، طريق الكامي، د. سوكيو أونو.

وُلدت بمفردها...، وأما أسماء الآلهة التي ولدت بعد ذلك، كانت (١) الإله اللطيف، بجانب (٢) الإله السماوي الأبدي...، وأما الآلهة الخمسة في القائمة أعلاه هي آلهة سماوية منفصلة، فكانت أسماء الآلهة التي ولدت بعد ذلك هي الإله الدنيوي إلى الأبد؛ والتالي: إله حقل الغيوم، وكان هذان الإلهان بالمثل إلهين وُلدا بمفردهما...، ثم أسماء الآلهة التي ولدت بعد ذلك كانت الإله طين الأرض وزوجته...؛.... الإله «إيزاناجي» وزوجته «إيزانامي» أو الإله الأثنى...» (١٧٣).

٨. مفهوم الإله وصفاته في السيخية:

تعتبر السيخية توحيدية، ولا تعارض السيخية في تسمية الإله بمختلف اللغات واللهجات فهو: «الله أو الرب أو الإله بأي لغة»، وإن كان يرمز له في افتتاحية الكتب السيخية بلقب وليس باسم وهو «إيك أونكار» والذي يعني (الحقيقة العليا الواحدة)، ويعتبر هذا المصطلح أحد الركائز في الفلسفة السيخية.

وقد جاءت السيخية كمحاولة للتوفيق بين الإسلام والهندوسية، فأخذت من الإسلام توحيد الله تعالى، وأخذت من الهندوسية تناسخ الأرواح (تكرار المولد)، والإيمان بوحدة الوجود (بمعنى أن الله موجود في كل الكائنات).

وقد جاء في كتاب «سري جورو جرانث صاحب»، وصف للإله الواحد كما يلي: (١٧٨ : ٩): «هو وحده في العقل، هو وحده في كل مكان. إن الرب الكامل يتغلغل وينتشر في كل مكان، كل شيء لك، أنت الرب الخالق، ليس لديك نهاية أو حدود».

(١٧٣) يُنظر: كوجيكي، كتاب اليابان المقدس: جزء ١، ترجمة: د. محمد عزيمة، التلوين للنشر، سوريا: ٢٠٠٥؛ والنص بالانجليزية:

(٢٨٩: ٧): «الرب الواحد نفسه هو الوحيد، إن الرب السائد يتغلغل في كل شيء، لقد أتت المساحات العديدة للخلق من الواحد».

(٩٦٦: ١٠-١١): «هو نفسه خلق الكون، هو نفسه يشبعها، هو نفسه واحد وله أشكال عديدة، هو نفسه في الكل، وهو هو فوقهم. من المعروف أنه هو نفسه بعيد، وهو هو نفسه هنا، هو نفسه مستتر، وهو نفسه معلن».

(٢٥٠: ١١-١٢): «هو نفسه خالي من الشكل ومكوّن أيضًا، الرب الواحد بلا صفات، ومعه صفات، صِف الرب الواحد كواحد، وكواحد فقط، يا «ناناك»، هو الواحد، والأكثر».

٩. مفهوم الإله وصفاته في اليهودية:

أ. وحدانية الإله

اليهودية في الأصل دين توحيد، يوحد الإله سبحانه وتعالى، فقد جاءت العديد من النصوص في العهد القديم تؤكد على وحدانية الله؛ كما يلي:

١. (التثنية ٦: ٤): «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ».

٢. (التثنية ٣٢: ٣٩ - ٤٠): «انظُرُوا الْآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلَهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ. إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا إِلَى الْأَبَدِ».

٣. (أشعيا ٣٧: ١٦): «أنت هو الإله وحدك، لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السماوات والأرض».

ولكن بالرغم من وجود نصوص واضحة على وحدانية الله في العهد القديم، إلا أن العهد القديم يذكر أن اليهود تأثروا بالديانات الوثنية في فترات وعبدوا آلهة

الوثنيين، فقد جاء في دائرة المعارف الكتابية: «وكان للسنين الطويلة التي قضاها بنو إسرائيل في مصر أثرها عليهم، فقد فُتِنُوا بأوثانها (انظر يش ٢٤: ١٤، حز ٢٠: ٧ و ٨) مع أن الرب «صنع بألهتهم (آلهة مصر) أحكاماً» (عد ٣٣: ٤) (١٧٤).

ب. تخصيص الإله لئبي اسرائيل

يعتقد اليهود بأن الله - عز وجل - إله محلي خاص بهم، دون سائر الشعوب، فلم يعرفونه كإله للخلق أجمعين، وكثيراً ما تتردد عبارات في العهد القديم تدل على تخصيص الإله بهم، مثل: «إله العبرانيين»، «إله بني إسرائيل»، «إله إسرائيل»، «إله يعقوب»، وذلك كما في النصوص:

(خروج ٥: ١): «وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ وَقَالَا لِفِرْعَوْنَ: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ»

(خروج ٧: ١٦): «وَتَقُولُ لَهُ: الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ قَائِلاً: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي فِي الْبَرِّيَّةِ. وَهُوَ ذَا حَتَّى الْآنَ لَمْ تَسْمَعْ».

(خروج ٩: ١): «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي».

ويتضح من مدلول استخدام اللفظ في كل موضع من مواضعها: أن المقصود به هو (إله) اليهود وحدهم دون سائر الشعوب، وهم شعبه المختار (١٧٥).

ج. صفات لا تليق بالله تعالى عند اليهود والنصارى

نسب اليهود في كتبهم للإله العديد من الصفات البشرية التي لا تليق بالذات

(١٧٤) دائرة المعارف الكتابية، م سابق، حرف ع، عبادة الاوثان.

(١٧٥) جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم الجوزية، أ. سميرة عبد الله بناني، ط معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة،

الإلهية مثل النسيان والجهل، والعديد من الأفعال التي لا تليق بالله تعالى، مثل أمره لليهود بسرقة المصريين، وتعريته للعورات وتجسده في صورة إنسان ومصارعته ليعقوب عليه السلام وانتصار يعقوب عليه، وفيما يلي بعض الأمثلة مما جاء في العهد القديم عن الصفات التي لا تليق بالله تعالى:

١. الندم

نسب الكتاب المقدس لله تعالى صفة الندم، والندم لا يكون إلا عندما يسيء الشخص التصرف لأنه يجهل العواقب، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى الذي يعلم ما سيكون.

• (تكوين ٦: ٦): «فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ».
(٧): «فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ: الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمِ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. لِأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمَلْتُهُمْ».

• (خروج ٣٢: ١٤): «فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ».

• (صموئيل الأول ١٥: ٣٥): «وَالرَّبُّ نَدِمَ لِأَنَّهُ مَلَكَ شَاوُلَ عَلَى إِسْرَائِيلَ».

هذا بالرغم من وجود نص صريح في العهد القديم، يقول بأن الله لا يندم، كما يلي:

(العدد ٢٣: ١٩): «لَيْسَ اللَّهُ بِإِنْسَانٍ فَيَكْذِبُ، وَلَا كَبَنِي الْبَشَرِ فَيَنْدَمُ...؟».

٢. النسيان

يأتي النسيان بمعنيين:

المعنى الأول وهو المتعمد الذي يأتي بمعنى التجاهل مثلما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾

[الجاثية: ٣٤]، وجاء أيضاً في قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، فالنسيان هنا نسيان متعمد؛ بمعنى التجاهل.

المعنى الثاني وهو صفة نقص، فالشخص ينسى ويحتاج لمن يذكره بما نسيه، وقد نسبوا هذه الصفة لله تعالى في النصوص التالية:

• حتى لا ينسى الله عهده (حسب العهد القديم) مع نوح بألا يغرق الأرض مره أخرى بعد الطوفان، وضع الله قوسه في السحاب، حتى عندما يرى المطر هاتلاً يرى القوس فيتذكر الله أنه قد عقد اتفاقاً مع نوح بألا يغرق الأرض فيوقف الله المطر!:

(تكوين ٩ : ١١): «أَقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلَا يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضاً بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلَا يَكُونُ أَيْضاً طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الْأَرْضَ». (١٢): «وَقَالَ اللَّهُ: هَذِهِ عَلَامَةٌ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الْأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ». (١٣): «وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلَامَةً مِيثَاقِ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ». (١٤): «فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرَ سَحَابًا عَلَى الْأَرْضِ وَتَظْهَرَ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ». (١٥): «أَنِّي أَذْكَرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلَا تَكُونُ أَيْضاً الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِيُتْهَلَكَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ». (١٦): «فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ أَبْصَرَهَا لِأَذْكَرُ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ...».

• جاء في العهد القديم: أن الله تعالى عندما سمع صراخ بني إسرائيل، تذكر عهده معهم! كما في: (خروج ٦ : ٥): «وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُ أُنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَتَدَكَّرْتُ عَهْدِي».

٣. الضعف

فحسب العهد القديم، فإن الله قد خسر مباراة المصارعة مع يعقوب، وتوسل إلى يعقوب أن يترك رجله، إلا أن يعقوب المنتصر رفض أن يترك ربه حتى أملى عليه شروط المنتصر وانتزع البركة (النبوة)!، وذلك كما جاء في سفر (التكوين ٣٢: ٢٤): «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحَدَهُ. وَصَارَ عَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ». (٢٥): «وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَاخْلَعَ حُقَّ فَاخْلَعَ حُقَّ فَخَذَ يَعْقُوبُ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ». (٢٦): «وَقَالَ: أَطْلِقْنِي لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ: لَا أَطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». (٢٧) فَسَأَلَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ. (٢٨): «فَقَالَ: لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ». (٢٩): «وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَالَ: لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِّ اسْمِي؟ وَبَارَكُهُ هُنَاكَ». (٣٠): «فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَيْسَيْلَ» قَائِلًا: لِأَنِّي نَظَرْتُ اللَّهَ وَجْهًا لَوْجِهِ وَنَجَّيْتُ نَفْسِي».

٤. التعب والحاجة إلى الراحة

(تكوين ٢: ٢): «وَفَرَعَ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَ. فَاسْتَرَحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَ». (٣): «وَبَارَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَ اللَّهُ خَالِقًا». كذلك في (خروج ٣١: ١٧): «هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِلَامَةٌ إِلَى الْأَبَدِ لِأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَحَ وَتَنَفَّسَ».

يقول المؤمنون بالعهد القديم: إن المعنى توقف وليس استراح. والرد عليهم بأن الكلمة العبرية المستخدمة هي (شابات) بالعبرية، (سبت) بالعربية. وتعني التوقف بعد الإجهاد، واللفظ جاء في التراجم الإنجليزية [RESTED] بمعنى استراح وليس [STOPPED] بمعنى توقف، سواء في (سفر التكوين ٢: ٢) أو في (سفر الخروج ٣١: ١٧).

وقد نفى القرآن الكريم هذا، فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [سورة ق: ٣٨] (لغوب أي: تعب). يأتي هذا بالرغم من وجود نص صريح بالعهد القديم، يقول إن الله لا يتعب!، كما يلي: (إشعيا ٤٠: ٢٨): «الله لا يتعب ولا يكل».

١٠. مفهوم الإله في النصرانية

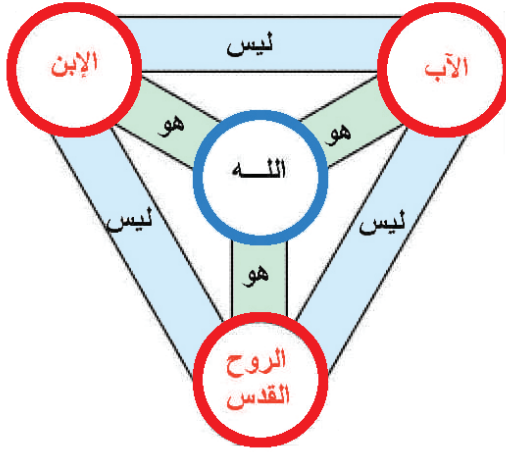
بالرغم من إيمان النصارى بالعهد القديم الذي يحتوي على نصوص وحدانية الإله تعالى، إلا أن النصارى آمنوا بثالوث إلهي، يتكون من ثلاثة أقانيم (أقنوم تعني شخص قائم بذاته)، وكل أقنوم من الثلاثة هو إله كامل، ولكن الثلاثة معاً هم إله واحد. والثالوث لا توجد له نصوص قديمة، فلم يُذكر لفظه في الأناجيل ولا في الرسائل التي اعتمدها ضمن العهد الجديد. كذلك الثالوث حاروا في فهمه حتى قال علماءهم أن فهمه فوق مستوى العقل البشري. بذلك يؤمن النصارى أن المسيح هو الله، أو هو أقنوم من الأقانيم الثلاثة الإلهية.

أولاً. مفهوم الثالوث في النصرانية:

يؤمن النصارى بأن الله واحد، ولكنه ثالوث، أو «مثلث الأقانيم»، وكل أقنوم من الثلاثة أقانيم هو إله (الله)، ولكن الثلاث أقانيم هم الله. ففي قانوني الإيمان النيقاوي، والنيقاوي القسطنطيني: «نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى. ووبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر،..... وبالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب (والابن)، الذي هو مع الآب والابن يُسجد له ويُمجّد، الناطق بالأنبياء»^(١٧٦).

(١٧٦) يُنظر إلى: عصر المجامع، كيرلس الأنطوني، مكتبة المحبة، مصر، ٢٠٠٢؛ واللاهوت المقارن «الجزء الأول»،

البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، ١٩٩٢.



الثالوث الإلهي كما تمثله المسيحية في كتبهم ومواقعهم.

أما عن اللفظ «أقنوم» ومعناها؛ فقد كتب القس بيشوي حلمي: «كلمة أقنوم هي كلمة سريانية، أطلقتها الآباء السريان الأولون في بداية المسيحية على كل من الآب والابن والروح القدس،..... وبكلمات بسيطة فإن الأقنوم هو من يقوم عليه الجوهر الإلهي، وبدونه يندم قيام الجوهر».... والأقنيم الإلهية أيضاً ليسوا صفات أو أسماء أو ألقاب لله، ولكن الأقنوم هو كائن حي حقيقي يتميز بخاصية ينفرد بها عن الأقنومين الآخرين... والأقنوم وإن كان يتميز عن الأقنومين الآخرين، إلا أنه غير منفصل عنهما في داخل الجوهر الإلهي الواحد الذي لهم، ولهذا فأحد تعريفات الأقنوم هو أنه شخص متمايز بغير انفصال»^(١٧٧).

ولا عجب أن نجد العديد من المعاني للفظ «أقنوم»، الذي من الممكن أن يعني شخص متميز ومنفصل تماماً، فقد كتب الراهب القس أنثاسيوس المقاري: «أقنوم» تعريب لكلمة السريانية «قنوما»، وجمعها «أقنيم». وكلمة أقنوم تفيد المعاني التالية:

(١٧٧) يُنظر: التوحيد والتلثيت، القس بيشوي حلمي، مراجعة وتقديم الأنبا بيشوي والأنبا موسى، مكتبة ديزاين أرت،

شخص - ذات - عين - حقيقة - جوهر - أصل - ماهية الشيء - طبيعة مفردة - كائن حي قائم بذاته (أي أنه يستمد أعماله من ذاته وليس من آخر). واختصت الكلمة بأقنوم الثالث القدوس الآب والابن والروح القدس» (١٧٨).

ولكن يعود المفسرون الذين استعانوا بلفظ «أقنوم»، ويقولون: «إن اللفظ لا يفي بالمعنى الذي يعبر عن حقيقة الله وحقيقة الثالث، فقد كتب اسكندر جديد: «ولا يعني المسيحيون بتعدد الأقانيم أن الله ثلاثة جواهر؛ لأن لفظ (أقنوم) لا يعني (جوهر). فالمراد هنا بالجوهر الذات الواحدة. أي أنه الوحدة اللاهوتية. والمراد بالأقنوم واحد من الآب والابن والروح القدس. ومع ذلك فكلمة أقنوم كسائر الألفاظ البشرية قاصرة عن إيضاح حقيقة إلهية وهي أن الله ثالث في الأقنومية، وواحد في الجوهر» (١٧٩).

بذلك فإنه حسب قوانين الإيمان التي تم وضعها في المجامع النصرانية، وأصبحت تمثل ركائز وأسس الإيمان النصراني؛ فإن الآب إله والابن إله والروح القدس إله، ولكنهم إله واحد. وأن هناك تمايزًا بينهم، ولكنهم من نفس الجوهر، وأن الأقانيم ليست صفات، بل هي كيانات أو أشخاص، ولكن الثلاثة أشخاص لهم جوهر واحد بالرغم من تمايزهم عن بعضهم!، وأن اللفظ «أقنوم»، قاصر عن إيضاح المعنى لأنه من الممكن أن يعني شخصًا قائمًا بذاته ولا يعتمد على الآخرين وليس جزءًا منهم.

مع ملاحظة أن اللفظ «أقنوم» لم يرد في العهد الجديد، ولم يعرفه المسيح ولا تلاميذ المسيح.

(١٧٨) معجم المصطلحات الكنسية، الراهب القس أناسيوس المقاري، الكنيسة القبطية، مطبعة دار نوبار، شبرا،

القاهرة، ط ٣، ج ١، ٢٠١١، ص ١٣٧.

(١٧٩) يُنظر: وحدانية الثالث، اسكندر جديد، الهداية، سويسرا.

❖ ثانياً: ما الذي قاله المسيح:

أقوال المسيح في العهد الجديد واضحة وكلها تشير إلى أن هناك من هو أعظم منه، أرسله وعلمه ويؤيده بالمعجزات ويستجيب له في الدعاء، ولم يذكر المسيح أبداً أنه إله أو أن الروح القدس إله، أو يذكر لفظ الثالوث أو الأقانيم التي اعتمدها في القرن الرابع الميلادي.

١. (لوقا ١٨: ١٩) فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ».

٢. (مرقس ١٢: ٢٩) فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلَ. الرَّبُّ إِلَهَنَا رَبُّ وَاحِدٌ».

٣. (يوحنا ٧: ١٦) أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «تَعَلِّمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي».

٤. (يوحنا ٥: ٣٠) أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَدَيُّونَتِي عَادِلَةٌ لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي

٥. (يوحنا ٥: ٣٧) وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي (...).

٦. (يوحنا ١٣: ١٦) الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ وَلَا رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ

٧. (لوقا ٤: ٤٣) فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَبَشِّرَ الْمُدُنَ الْأُخْرَى أَيْضًا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ لِأَنِّي لِهَذَا قَدْ أُرْسَلْتُ».

٨. (يوحنا ١٤: ٢٨) لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْآبِ لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي

٩. (يوحنا ٨: ٤٠) وَلَكِنَّكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِالْحَقِّ
الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ

١٠. (مرقس ٧: ٧) وَبَاطِلًا يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يَعْلَمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ).

١١. (يوحنا ١٧: ٢٠) قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لَا تَلْمِسِينِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي.
وَلَكِنْ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي
وَإِلَهُكُمْ»

١٢. (مرقس ١٣: ٣٢) وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلَا
الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلَا الْإِبْنُ إِلَّا الْآبُ).

١٣. وقال الله وهو يناجيه: (يوحنا ١٧: ٣) وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ
أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ).

١٤. وقال الله (يوحنا ١٧: ٤).... الْعَمَلُ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتَهُ).

١٥. وقال الله (يوحنا ١٧: ٨) لِأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتَهُمْ وَهُمْ قَبِلُوا
وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ وَأَمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي).

١٦. وقال الله وهو يناجيه: (يوحنا ١١: ٤١-٤٢) وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقٍ وَقَالَ:
«أَيُّهَا الْآبُ أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ
لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي).

١٧. وقال الله وهو يناجيه وهو يصلي (لمن يصلي؟): (متى ٢٦: ٣٩) ثُمَّ تَقَدَّمَ
قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ إِنْ أَمَكْنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ
الْكَأْسُ وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ». ٤٢.... ٤٢. وَصَلَّى قَائِلًا: «يَا
أَبَتَاهُ إِنْ لَمْ يُمَكِّنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ إِلَّا أَنْ أَشْرَبَهَا فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ».

١٨. وقال الله وهو على الصليب (حسب الكتاب المقدس): (مرقس ١٥ : ٣٤ وفي السَّاعَةِ النَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلَوي إِلَوي لِمَ شَبَقْتَنِي؟» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلَهي إِلَهي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟).

فالكلمات السابقة كلمات رسول الله وليست كلمات من الممكن نسبتها لله تعالى أو لإله، والجمل واضحة وصريحة ولا يصح نقضها إلا بتصريحات متعارضة واضحة، فلا يكون الرد على الواضح المحكم الصريح بألفاظ وأقوال متشابهة غير واضحة، كما لو كان المسيح عليه السلام عجز أن يصرح عن ألوهيته بوضوح، ثم صرح عن بشريته بكل وضوح وصراحة!

ما الذي كان يجب أن يقوله المسيح أكثر مما سبق لينفي ألوهيته ويؤكد بشريته وأنه نبي يسجد لله تعالى الذي أرسله؟

١١. مفهوم الإله في الإسلام:

مفهوم الإله والألوهية في الإسلام مفهوم واضح، لا لبس فيه، ولا غموض، ولا التباس، بل نجد سورة صغيرة من القرآن الكريم قد جمعت كل المعاني الموجودة في القرآن عن (الإله)، وهي سورة الإخلاص، أي: إخلاص الاعتقاد في وحدانية الله تعالى، وإخلاص العبودية له، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

فهذه الآيات تُثبت أن الله واحد، لا ثاني له، ولا شريك؛ وهو السيد على هذا الكون، ولم يكن له أصول من أب أو أم، فهو ليس مخلوقاً، وليس له فروع من أبناء وأحفاد، فهو متفرد، ليس بجزء ولا بعض ولا مركب، ولا أحد يماثله أو يساويه.

وكل سور القرآن تؤكد على أن الرسالات السماوية كلها، والأنبياء كلهم

يدعون إلى عقيدة واحدة لا اختلاف فيها، فيذكر القرآن أن دعوة الأنبياء كلهم لأقوامهم، والمتتبعين إليهم، منذ سيدنا نوح إلى محمد صلوات الله عليهم هي: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] وإنما كان الاختلاف بينهم في تفاصيل الشرائع (العبادات والمعاملات) كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فالوحدانية في الإسلام هي: ألا يكون هناك أي نوع من أنواع الشراكة في الألوهية، وبذلك تكون تعاليم الإسلام كلها مبنية على هذه الحقيقة، ويكون تصرف المسلم في فكره وسلوكه محكومًا بمقتضى هذه الوحدانية.

وعلى ذلك فالله واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، وواحد في حكمه، وواحد في إهيته (أي هو المستحق للعبادة فقط).

فالله إلهٌ واحدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهذه القضية تمثل التنزيه لله تعالى، ولكنه ليس تنزيهًا يصل بالإله إلى أن يكون فكرة مجردة، فيكون علة أولى، أو سببًا أول، كما يقول الفلاسفة، وإنما هو تنزيه يليق بجلاله، بحيث يتعد عن مشابهة الخلق، ويتعد عن فكرة وحدة الوجود التي يتساوى فيها الخالق والمخلوق.

فالتنزيه هنا هو تنزيه عن الشبيه أو المماثلة، وفي الوقت نفسه هو تنزيه إيجابي فعال، يُثبت لله الصفات الإلهية التي هي ميدان الربوبية، وعن طريقها تكون علاقة الإنسان بالله تعالى (١٨٠).

وأما المتصوفة المتفلسفة فيقولون بالحلول والاتحاد مع الله تعالى، وهذه تُعد من المذاهب الباطلة في دين الإسلام، والمتأثرة بالفلسفة، أو بمذهب الحلول عند المسيحية الذي طوره اللاهوتيون في الكنيسة الشرقية على أساس فكرة «اللوجوس» أو

«الكلمة» (LOGOS) والذي رأوا فيه أنه محاولة للتوفيق بين فكري التنزيه والتشبيه. (١٨١)

فالنظرة الأساسية والمركزية لدى المسلمين عن الله تعالى:

١. أنه الإله، ولا إله غيره، والإله هو المعبود وحده، فهو المستحق للعبادة والطاعة والخضوع والذل، وسائر العبادات.

٢. أنه الرب الخالق وحده لكل ما سواه من السماوات والأرض والجبال والشجر والإنس والجن والملائكة، وجميع المخلوقات.

٣. والمتصرف والمهيمن على جميع المخلوقات العلوية والسفلية.

٤. والذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

٥. وأنه لم يلد، ولم يولد (١٨٢)، ولم يتخذ ولدًا (١٨٣)، ولا صاحبة (١٨٤)، وليس كمثلها شيء.

٦. والذي له الكمال المطلق، والقدرة المطلقة، فلا يُعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء (١٨٥).

(١٨١) ينظر: المصدر السابق، ص ١٩٢، التصوف طريقًا وتجربة ومذهبًا، د. محمد كمال جعفر.

(١٨٢) بينما ينص قانون الإيمان النصراني عن الإله الابن أنه (المولود من الأب قبل كل الدهور).

(١٨٣) بينما يدعى كاتب العهد الجديد عند النصارى نسبة الولد لله كما في (رسالة بولس إلى غلاطية (٤: ٤): «ولكن لما جاء ملاء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس».

(١٨٤) يصرح الكاثوليك النصارى في كتبهم أن الله اتخذ العذراء زوجة له، ومن ألقاب العذراء عند الأرثوذكس

(عروس الإله) - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. ومع ذلك يُصرح الأرثوذكس أن الكاثوليك يُغالون في مريم

العذراء بدرجة تصل للعبادة؛ يُنظر: صلوات مقتطفة من كتب روحية، ط ٣، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،

١٨٧٢، ص ٢٩٤؛ والعذراء في اللاهوت الكنسي، صوم العذراء القديسة مريم، وعيد صعود جسدها إلى السماء،

الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، القاهرة، ط ١، ١٩٧٩، ص ٩، ١٤؛ وعقائدنا

المسيحية الأرثوذكسية، بيشوي حلمي، مراجعة الأنبا بيشوي والأنبا موسى، دار نوبار، مصر، ٢٠٠٧، ص ٣٩٣؛

واللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الأب سليم بستر، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢:

(٨٤/٤)؛ ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة محررين، دار الثقافة، مصر، ٢٠٠١: (٩١/١).

(١٨٥) بينما ينسب بولس لإله النصرانية عندهم صفة الضعف كما جاء في رسالته إلى (كورنثوس الأولي ١: ٢٥): «لأن

جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس».

٧. والذي يرزق عباده وحده، وإليه المرجع والمآب، فيحاسب الخلق على أعمالهم.
٨. وهو المشرع لعباده وحده، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].
٩. وهو العليم بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء.
١٠. وهو المحيط بكل شيء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار.
١١. وهو القريب من عباده، فهو أقرب إلينا من حبل الوريد، والمستجيب لمن دعاه وطلبه.
١٢. وهو الذي أرسل أنبياءه ورسله، وأنزل ملائكته بالكتب والبينات على أنه الإله الواحد الأحد الخالق لكل شيء، لا شريك له.

وقد جاء في العقيدة الطحاوية قول الإمام الطحاوي **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

«نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبید، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً...؛ ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثل شيء، وهو السميع البصير» (١٨٦).

(١٨٦) متن العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ، ص ٣١-٣٦.

خاتمة الفصل الأول:

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. بعض الأديان انكرت وجود إله خالق، فنادت بأزلية الكون، هذا بالرغم من اعترافها بوجود آلهة مثل (البوذية - الجينية).
٢. اتسمت التاوية بغموض فكرة الإله، ونسبت كل شيء إلى التاوا، الذي لم تصفه ولم تعتبره مسئولاً عن الخلق بإرادته، ولكنها اعتبرته في كل شيء ومنه كل شيء.
٣. بالرغم من عدم حديث كونفوشيوس عن الغيبيات، إلا أن الكونفوشيوسية آمنت بتعدد الآلهة (إله السماء - ابنه إله الأرض - كونفوشيوس - أرواح الأجداد).
٤. آمن الزرادشت بإله ضعيف ينازعه الشيطان في ملكه، وبينهما صراع ينافي تعظيم الإله وتوقيره، فتنوع إيمانهم بين الإيمان بالهين أحدهما خير لا يأتي منه إلا خير، والآخر شرير يأتي منه الشر كله، وبين توحيد الإله بأنه سينتصر في نهاية الزمان على إله الشر ويكون هو الإله الأوحده.
٥. آمن الهندوس بالعديد من الآلهة وزوجاتهم المؤلهة، وانباءهم الآلهة، وتجسداتهم البشرية، بما ينافي تعظيم الإله (الالهة) ونسب الصفات البشرية من زواج وإنجاب لهم. استمر الهندوس في الإيمان بالتعدد الكبير للآلهة حتى اختزلوهم مؤخرًا إلى ثلاثة آلهة في واحد، متجاهلين آلهة مذكورة في كتبهم المقدسة الأقدم مثل الويدا (أندرا - أغني - سوريا... إلخ).

٦. آمن الشنتو بتعدد الآلهة في قصة الخلق، ثم تجاهلوا الآلهة وعبادتها وفي هذا نقص شديد في تعظيم الإله، وقدم الشنتو العبادة إلى «الكامي»، أي كل ما يعجز الإنسان على السيطرة عليه من ظواهر طبيعية وأرواح أجداد.
٧. آمن السيخ بالإله في المفهوم الإسلامي هرباً من تعدد الآلهة في الهندوسية، ولكنهم أضافوا بعض من العقائد الهندوسية مثل وحدة الوجود على صفات الإله فأصبح كل حي به شيء من الله، والله موجود في كل كائن حي، وفي هذا انتقاص عظيم لرب العالمين.
٨. آمن اليهود بإله واحد، ولكنهم اعتبروه ربهم وإلههم وحدهم، ونسبوا له العديد من الصفات البشرية مثل: الجهل، والضعف، والنسيان، بينما عظموا الشيطان وقدموا له القرابين مناصفة مع الله.
٩. خلافاً لفعل اليهود في أنسنة الإله، قام النصارى بتأليه الإنسان وابتدعوا ثالثاً استحال فهمه، ولم يجدوا له نصوصاً كتابية فيما بين أيديهم من كتب نسبت للوحي الإلهي بينما جهلوا كتابها البشر!
- أشرك بذلك النصارى لإيمانهم بالثالوث الإلهي باعتبار أن الأب إله والمسيح إله والروح القدس إله، وانتقصوا حق الله تعالى بتوجيه العبادة لغيره.
١٠. نزه الإسلام الإله بما يليق به سبحانه وتعالى، فلم يسميه إلا بما سمي به نفسه، ولم يصفه إلا بما وصف به نفسه بلا تأويل بإخراج الصفة عن معناها، أو تشبيهه بينه وبين مخلوقاته، أو تمثيل لصفة من صفاته، أو تعطيل لصفة من صفاته.

تمهيد الفصل الثاني

الصورة الذهنية لدى الكثيرين أن الشيطان هو مصدر الشر والإيذاء ونحو ذلك، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: «ما التصور نحو الشيطان في الديانات؟ وما المنهج الذي يلبي الاحتياجات البشرية لصد ورد شر الشيطان والحفظ منه»؟... حيث أن هذه حاجة ملحة لا ينفك عنها البشر... فأبي الأديان تلمي هذه الاحتياج؟

نقدم فيما يلي عرضاً عن الاعتقاد بالشيطان في الأديان وإيضاح الطرق والأساليب لتفادي شروره ودرءها عن البشرية.



❖ الفصل الثاني: الشيطان في الأديان

١. الشيطان في الهندوسية:

لا توجد في الهندوسية شخصية الشيطان كما في الإسلام والمسيحية واليهودية. ولفظ الشيطان والشياطين مذكور في كتبهم المقدسة كإشارة لقوى طبيعية مدمرة أو أشخاص شريرة أو حيوانات مفترسة.

ولكن في الهندوسية والديانات الهندية توجد كائنات «الأسورا» [ASURAS]، وهي فئة من الكائنات يتم وصفهم على أنهم عشائر تسعى للسلطة، يُطلق على أسورا الطيبين «أديتياس» [ADITYAS]، ويقودهم «فارونا» [VARUNA]، بينما يُطلق على الأشرار «دانافاس» [DANAVAS]، ويقودهم «فريترا» [VRITRA].

إحدى الملاحم الهندوسية ذكرت أشخاصًا وصفتهم بالشيطان (كوصف لسلوكهم) مثل «رافانا»، كما ذكر الجاموس كشيطان في ملحمة أخرى حيث قتلته «ديفي» بطلة الملحمة^(١٨٧).

وبالرغم من عدم وجود شخصية الشيطان في الهندوسية، فإن لفظ الشيطان والشياطين ذكروا في كتبهم المقدسة كإشارة لقوى طبيعية مدمرة أو أشخاص شريرة أو حيوانات مفترسة.

١. ذكر الشيطان والشياطين في «الريج ويدا» والآثار ويدا:

ذُكر الشيطان في «الريج ويدا»؛ حيث يجمعه الإله «أندرا» (إله العواصف أو الأمطار) كما يلي (ريج ويدا، م ٢، س ١٦ : ٩): «إنه ينبه الرجل الذي يتشاءب مع الكسل النائم، ويسكت المحرض، ويدمر السارق، ويقمع الشيطان المخيف، وفي

(١٨٧) يُنظر: الهندوسية مقدمة قصيرة جدًا، م سابق، ص ٥٥-٥٦، ٥٩-٦٠.

ظل حكمه، يحصل العامل الصادق على أجره من الذهب. هذه هي عمال الأداء التي أنجزها إندرا في نشوة سوما من أجل فرحة الناس.»

وذكر الشيطان كذلك في «الريج ويدا»، حيث يقمعه الإله «أجني» (إله النار) كما يلي: (ريج ويدا، م ٤، س ٦: ٦): «أجني، الرب المبارك بالنور والحب والعدل، الذي يأمر بالقوة والقوة الإلهية، مخيف، حقيقي إلى الأبد ويتجلى في مجموعة لا حصر لها من عالم التغيير، متساوٍ، لطيف وكريم عينك الذي من خلاله تراقب كل كائن حي، لا يمكن لقوى شريرة أن تغطي الظلام بالنور الذي لك، ولا يمكن لأي شيطان أو مدمر أن ينسب أي خطيئة أو تشويه أو تحيز لجسد القانون والعدالة.»

كما جاء ذكر الشيطان في «الريج ويدا» مضافاً إليه شر من الشرور مثل «شيطان الجفاف» أو «شيطان العاصفة» كما يلي (ريج ويدا، م ٨، س ٦: ١٤): «إندرا، عندما تضرب الصاعقة القوية على شيطان الجفاف وسحابة الإنكار، يتم الاحتفاء بك بصفتك سيد الاستحمام والعاطفة الإلهية.»

وذكر الشيطان كصفة للأشخاص الأشرار أو الحيوانات المفترسة كما في (آثار ويدا، ك ١٢، س ١: ٤٥): «... يا أمنا الأرض، أزيلى كل تلك الذئاب الشرسة، هي الدبية، وجميع الشياطين القاتلة التي تشكل خطورة على الناس.»

٢. الشيطان في الزرادشتية:

الزرادشتية نادت بالإلهين، إله الخير «أهورامزدا» خالق كل ما هو خير، وإله الشر «الشيطان - أهرمان» خالق كل ما هو شر.

حسب الزرادشتية فإن كل شر يأتي للأرض من فيضانات أو زلازل وأوبئة وغيرها سببه الشيطان «أهرمان»، والشيطان في صراع دائم مع الإله الخالق للخير

ومصدر كل الخير «أهورا مزدا»، وعند قيام الساعة سينتصر الإله الخالق على الشيطان. ولا تقدم في الزرادشتية أي طقوس أو قرابين أو عبادة للشيطان.

٣. الشيطان في الجينية:

ليس لدى الجينية شخصية شيطانية مثل تلك الموجودة في الإسلام والنصرانية واليهودية والتي ارتبطت ببداية خلق الإنسان، بل توجد أرواح شريرة كما في الهندوسية التي اشتقت منها (١٨٨).

٤. الشيطان في الكونفوشيوسية:

لم يأت ذكر للشيطان والشياطين في كتب الكونفوشيوسية.

٥. الشيطان في البوذية:

لا تعتقد البوذية بوجود الملائكة، ولكن تأتي في البوذية شخصية «مارا Mara» التي تعني شيطان الموت، وتصورها الكتابات البوذية بروح شريرة على شكل امرأة حاولت منع بوذا من الاستنارة واستعانت ببناتها الثلاثة وبشيطان آخر لذلك. وتسكن مارا في السماء القريبة لتغري البوذيين بملذات الحياة وتحاول صرفهم عن حياة الرهبنة وعن طريق تحقيق الاستنارة بتنمية الشعور الداخلي لديهم بحب ملذات الدنيا وتحقيق الرغبات الشريرة (١٨٩).

(١٨٨) مترجم من: موقع التعاليم الجينية مارس ٢٠٢٤:

<https://jainworld.com/>

(١٨٩) مترجم من: إجابات عن الديانات، ص ٣٤٨

The Handy Religion Answer Book, JOHN RENARD, VISIBLE INK PRESS, 2002.

وإنجيل بوذا، ترجمة عيسى سابا، مكتبة صابر، بيروت، ١٩٥٣، ص ٤٤؛ ومترجم من: بوذا وتعاليمه ص ١٨:

The Buddha and His Teachings, The Corporate Body of the Buddha Educational Foundation Taipei, Taiwan, 1998.

٦. الشيطان في التاوية:

لم يأت ذكر للشيطان في كتاب التاوية المقدس كشخصية مستقلة، ولكن جاء ذكر الأرواح الشريرة وهي أرواح الموتى المسيئين في حياتهم.

جاء في الكتاب المقدس في التاوية: «تاو تي تشينغ»: «احكم البلد العظيم كما تقلي الأسماك الصغيرة، من يحكم المملكة وفقاً للطريق سيجد أن الأرواح الشريرة تفقد قوتها، الأرواح الشريرة لن تفقد قوتها فحسب بل إنها لن تجرح أحداً من البشر». [الباب الثاني - ٦٠].

٧. الشيطان في الشنتوية:

لا يعتقد الشنتو في وجود الشيطان، ولكن يوجد اعتقاد في أرواح شريرة تشتت الإنسان وتبعده عن مسار الخير.

كتب الدكتور سوكيو أونو: «روح الانسان طيبة، وليس لدى الشنتو مفهوم الخطيئة الأصلية؛ فالإنسان بطبيعته صالح، والعالم الذي يعيش فيه صالح، هذا هو عالم كامى. والخطيئة والشر، بما في ذلك الكوارث والتلوث، كلها سببها الأرواح الشريرة التي يجب طردها. ومما يميز الخير والشر هو روح الإنسان، وهذا التمييز ممكن بمساعدة «كامى» (١٩٠).

٨. الشيطان في السيخية:

السيخية ليس لديها مفهوم عن الشيطان كما هو الحال بالنسبة للإسلام أو اليهودية أو النصرانية، فالشيطان في السيخية ليس شخصاً أو ملاكاً، بل هو ما يمثل النشاط الشرير للإنسان (١٩١).

(١٩٠) مترجم من: الشنتو، طريق الكامى، د. سوكيو أونو، م سابق، ص ١٧٤-١٧٦.

(١٩١) مترجم من: موقع: «تعلم الديانات» (السيخية) مارس ٢٠٢٤:

٩. الشيطان في اليهودية:

تأخر ذكر الشيطان في العهد القديم. ففي التوراة لم يكن الشيطان هو الذي أغوى حواء بالأكل من الشجرة المحرمة بل كانت الحية هي صاحبة الغواية وذلك كما جاء على لسان حواء في سفر (التكوين ٣: ١٣): «أغوتني الحية، فأكلت»، ثم نُقِرَّ التوراة أن العقاب كان للحية أيضاً (التكوين ٣: ١٤): «فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من بين جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، ومن التراب تأكلين طوال حياتك».

ولم يذكر الشيطان قط في سفر من أسفار التوراة قبل عصر المنفى إلى أرض بابل سنة (٥٨٦ قبل الميلاد) ثم كان ذكره فيها على الوصف لا على التسمية، فجاء مرة بمعنى الخصم في القضية، وجاء مرة أخرى بمعنى المقاوم في الحرب وأطلق مرة على الملك الذي تصدى لبلعام في طريقه لأنه كان بمعنى المعترض أو الخصم المقاوم ولم يذكر بصيغة العلم إلا في سفر (أخبار الأيام الأول ٢١: ١): «وَوَقَّفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ»

كذلك في قصة أيوب من نصوص العهد القديم؛ تمثل الشيطان في صورة الواشي الموغر للصدور ودخل مع الملائكة إلى الحضرة الإلهية، كما يلي: (سفر أيوب ١: ٦): ٦ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ (الملائكة) لِيَمْتَلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. ٧ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا». ٨ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عِبْدِي أَيُّوبَ؟ لَأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ،

يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ». ٩ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَلْ مَجَانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ؟
١٠ أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيِّجَتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ
يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الْأَرْضِ. ١١ وَلَكِنْ ابْسِطْ يَدَكَ الْآنَ وَمَسَّ كُلُّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي
وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». ١٢ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيْهِ لَا
تَمُدُّ يَدَكَ». ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ.

فابتدأت محنة أيوب عليه السلام بتسليط الشيطان عليه لامتحان تقواه وصبره
على ضربات المرض، والبلاء، والفقر، والحرمان. وكان الرهان بين الله والشيطان
على صبر أيوب ولما أتم أيوب صبره خسر الشيطان الرهان.

من أين أتى إبليس؟

يعطي سفر حزقيال الإصحاح ٢٨؛ صورة لوجود الشيطان في البداية كما خلقه الله
في الأصل ككروبيم^(١٩٢) مميز مفعماً بالحكمة والجمال، كما يصف السفر تمرده وسقوطه.
(حزقيال ٢٨: ١٢-١٦) «هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: كُنْتُ خَاتِمَ الْكَمَالِ، مُفْعَمًا
بِالْحِكْمَةِ وَكَامِلَ الْجَمَالِ. كُنْتُ فِي جَنَّةِ اللَّهِ عَدْنٍ، حِجَابُكَ كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ.....
وَمَسَحْتُكَ لِتَكُونَ الْكُرُوبِيمَ الْمُظَلَّلَ وَأَقَمْتُكَ عَلَى جَبَلِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ، وَتَمَشَّيْتَ بَيْنَ
حِجَارَةِ النَّارِ. كُنْتَ كَامِلًا فِي طُرُقِكَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقْتَ إِلَى أَنْ وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ. إِنَّمَا سَبَبُ
كَثْرَةِ تِجَارَتِكَ امْتِلَاءً دَاخِلَكَ ظُلْمًا، فَأَخْطَأْتَ. لِهَذَا أَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللَّهِ كَشْيءٍ نَجِسٍ،
وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكُرُوبُ الْمُظَلَّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ».

بذلك حسب العهد القديم، فإن الله لم يخلق الشيطان بوضعه الآن، ولكن
بعدهما سقط هذا الكروب الممسوح وطُرد من السماء أصبح هو الشيطان. فقد خلقه
الله أولاً مفعماً بالحكمة والجمال.

(١٩٢) الكروب، ويسمى أيضاً: الكروبيم، أو والشاروبيم: ملائكة في حضرة الله حسب اليهودية والنصرانية.

❖ عبادة الشيطان «تقديم القرابين للشيطان»:

ادعى اليهود أن هارون عليه السلام كان يقسم القرابين على التساوي بين الإله (رب إسرائيل - يهوه) وبين «عزازيل» رب القفار أو الجني الذي يهيمن على الصحراء، وذلك كما في سفر (اللاويين ١٦: ٥) وَمِنْ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْخُذُ تَيْسِينَ مِنَ الْمَعَزِّ لِذَبِيحَةِ خَطِيئَةٍ، وَكَبْشًا وَاحِدًا لِمُحْرَقَةٍ. ٦ وَيُقَرَّبُ هَارُونُ تَوْرَ الْخَطِيئَةِ الَّذِي لَهُ، وَيُكْفَّرُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَيْتِهِ. ٧ وَيَأْخُذُ التَّيْسِينَ وَيُوقِفُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمْعِ. ٨ وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسِينَ فُرْعَتَيْنِ: فُرْعَةَ لِلرَّبِّ وَفُرْعَةَ لِعِزَازِيلَ. ٩ وَيُقَرَّبُ هَارُونُ التَّيْسِ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ. ١٠ وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعِزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيًّا أَمَامَ الرَّبِّ، لِيُكْفَرَ عَنْهُ لِيُرْسَلَهُ إِلَى عِزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.

❖ عبادة الشيطان للإنسان

لم يُسند اليهود الشرور إلى الشيطان لأنهم كانوا يتوقعون من الإله أعمالاً كأعمال الشيطان، وكان العمل الواحد عندهم ربما يُنسب تارة إلى الشيطان وتارة إلى الإله كما حدث في قضية إحصاء الشعب على عهد داود؛ فقد جاء في نص أن الشيطان هو الذي أغرى داود بإحصاء الشعب كما في سفر (أخبار الأيام الأول ٢١: ١): «وَوَقَّفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ».

ولكن في تناقض واضح؛ فإن في سفر آخر جاءت القصة بعينها مع البيان بأن الله هو الذي أمر داود وليس الشيطان؛ كما في (صموئيل الثاني ٢٤: ١): «وَعَادَ فحَمِي غَضَبَ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمُ دَاوُدُ قَائِلًا: امض وأحص إسرائيل ويهوذا».

* الخلاصة:

فكرة الشيطان عند اليهود هي فكرة غائمة ومرتبكة؛ ففي أقدم العهود لم يكن عند اليهود فارق بين خلائق الكائنات العلوية وخلائق الكائنات الأرضية من إنسانية وحيوانية، ولم يكن عندهم كذلك فارق بين هذه الخلائق وخلائق الشيطان. فكان الشيطان يحضر بين يدي الله مع الملائكة وكان الملائكة يهبطون إلى الأرض فيعاشرون بنات الناس، وكان «الإله» نفسه يمشي في ظل الحديقة ويأكل اللحم والخبز ويحب ريح الشواء ويغار ويحقد ويتنقم كما يفعل كل مخلوق من مخلوقاته في الأرض أو في السماء^(١٩٣).

١٠. الشيطان في النصرانية:

يعتقد النصارى في الشيطان بأنه عدوٌ وخصمٌ وشريكٌ، وقتالٌ، وكذابٌ، وقد جاءت هذه الأوصاف للشيطان في النصوص الإنجيلية التالية:

١. (العدو): حيث جاء في إنجيل (متى ١٣ : ٣٩): «العدو الذي زرع الزوان^(١٩٤)، هو إبليس».
٢. (الخصم): حيث جاء في (رسالة بطرس الأولى ٥ : ٨): «تعقلوا، وتنبهوا أن خصمكم إبليس، كأسدٍ يزأر، يجول باحثًا عن فريسة يتلعبها».
٣. (الشرير): حيث جاء في إنجيل (متى ١٣ : ١٩): «كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم، فيأتي الشرير، ويخطف ما قد زرع في قلبه هذا هو المزروع على الطريق».

(١٩٣) يُنظر: معجم الإيمان المسيحي، م سابق، ص ٤٧٩ / ٤٨٠. ويُنظر: دائرة المعارف الكتابية، م سابق، «إبليس» شيطان، جزء ١، ص ٣١ وما بعدها.

(١٩٤) الزوان: عشب سام يتعدر التفريق بينه وبين الحنطة في البداية، لكن الفرق يظهر بعد النضج، ينظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس، سعيد مرقص إبراهيم، المركز المصري للطباعة، مصر، ١٩٩٩، ص ٣٨٥.

٤. (القتال والكذاب): حيث جاء في إنجيل (يوحنا ٨ : ٤٤): «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا، ذاك كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق؛ لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب، فإنما يتكلم مما له؛ لأنه كذاب، وأبو الكذاب».

وإبليس عندهم هو مصدر الغواية والشر، وهو الذي حث يهوذا الأسخريوطي كي يتآمر على المسيح -عليه السلام-، ففي إنجيل (يوحنا ١٣ : ٢): «فحين كان العشاء، وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الأسخريوطي أن يسلمه».

✦ المغالاة في حقيقة الشيطان:

- صورة الشيطان في الأناجيل يشوبها الاضطراب الواضح، ففي الوقت الذي يُوصف فيه -كما سبق- بأنه: العدو، والخصم، والشرير، والقاتل والكذاب... إلخ، إلا أن تلك الصورة لا تلبث أن تتغير وتتبدل، بل تناقض ما سبق؛ وذلك عندما تضيء الأناجيل العديد من صفات القوة والعظمة والسلطان للشيطان، ومن تلك الصفات:
١. أنه رئيس هذا العالم: ففي إنجيل (يوحنا ١٢ : ٣١): «الآن دينونة هذا العالم، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً». وتكرر هذا الوصف في نصوص أخرى. مثل (يوحنا ١١ : ١٦) وَأَمَّا عَلَي دَيْئُونَةَ فَلَأَنَّ رَيْسَ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ (أي: أن دينونة هذا العالم، الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً).
 ٢. أنه إله هذا الدهر: فقد أعطت الأناجيل للشيطان مكاناً أعلى مما سبق، كما في (الرسالة الثانية لكورنثوس ٤ : ٤): «الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَدْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ».
 ٣. أن العالم كله له: كما جاء في (رسالة يوحنا الأولى ٥ : ١٩): «نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنْ اللَّهِ، وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشَّرِّيرِ».

٤. أن له سلطة الموت: حيث تتأكد تلك المكانة عندما تُعطي الأناجيل للشيطان سلطة الموت، فجاء في (الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٤): «إذن بما أن هؤلاء الأولاد متشاركون في أجسام بشرية من لحم ودم، اشترك المسيح أيضًا في اللحم والدم، باتخاذ جسمًا بشريًا، وهكذا تمكن أن يموت؛ ليقضي على من له سلطة الموت، أي: إبليس».

٥. الشيطان يمكن أن يتشكل في شبه ملاك من نور أو يتشبه بالمسيح أو أمه العذراء: (رسالة بولس الثانية إلى كرونثوس ١١: ١٤): «ولا عجب. لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور!».

٦. المسيح -عليه السلام- خضع للتجريب أمام الشيطان الذي بيده ملكوت العالم يهبه لمن يشاء: جاء في إنجيل (لوقا ٤: ٦ - ٧): «وأراه ممالك العالم كلها في لحظة من الزمن، وقال له: أعطيك السلطة على هذه الممالك كلها، وما فيها من عظمة، فإنها قد سُلمت إليّ، وأنا أعطيها لمن أشاء، فإن سجدت أمامي تصير كلها لك».

ويعترف شراح الأناجيل بتلك المكانة والعظمة لإبليس، حيث تُقرّر دائرة المعارف الكتابية: أن الشيطان يشغل مركز قوة وسيادة في العالم الروحي، وهو في مركز عظيم لدرجة أن ميخائيل وجد فيه عدوًا جبارًا، وندًا قويًا؛ إذ إن الشيطان يحكم مملكة الشر التي تحوي عددًا ضخمًا من الملائكة أتباعه، كما استطاع الحصول على السلطة على الجنس البشري بالدهاء والاعتصاب (١٩٥).

١١. الشيطان في الإسلام:

تُطلق كلمة (شيطان) ويراد بها معنيان:

١. المعنى العام:

وهي بهذا المعنى تُطلق على كل من خالف أمر الله **جَلَّ وَعَلَا**، حيث عُرِف الشيطان بأنه: «كل عاتٍ متمرّد من الجن والإنس والدواب» (١٩٦).

٢. المعنى الخاص:

إنّ كلمة شيطان تدل على مخلوق محدد معروف، خُلق من نار، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]، وكان بين الملائكة، وليس منهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: تمرد على أمر ربه، وأبى السجود لآدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، فاستحق اللعنة والطرده، ووجبت له ولأتباعه النار، وقد جعله الله تعالى فتنة لبني آدم، وعدوا لهم، وأنظره الله إلى يوم الدين، وأعطاه وسائل الإغواء والتحرش ببني آدم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَفْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٤ - ٤٣].

وقد وردت قصة الشيطان أو (إبليس) في العديد من سور القرآن الكريم وآياته، ويبيّن لنا القرآن الكريم طبيعة العلاقة بين الشيطان وبني آدم القائمة ومنذ اللحظة الأولى على العداوة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

ومن هنا جاء التعريف الخاص للشيطان: إنه العدو المعنوي الأعزل إلا من سلاح الوسوسة والإغواء والتحريش والإيقاع، فيقهر الناس بقوة شهواتهم، ويخضعهم بسلطان أنانيتهم.

خاتمة الفصل الثاني :

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. لا توجد في الهندوسية شخصية الشيطان كما في الإسلام واليهودية والنصرانية، ولكن اضطرب مفهوم الشيطان عندهم حيث أُطلق لفظ الشيطان على بعض الكائنات الاسطورية || الأسور||، وعلى الأرواح الشريرة، وعلى قوى الشر، وعلى الأشرار، وكذلك على الحيوانات المفترسة.
٢. لم يأت أي ذكر للشيطان والشياطين في الكونفوشيوسية التي لم تتعرض لأي غيبيات، كذلك لا يوجد إيمان بالشيطان أو الشياطين في السيخية رغم تأثر هذه الديانة بالإسلام..
٣. بعض الديانات لا تؤمن بالشيطان والشياطين، ولكن تؤمن بوجود أرواح شريرة (أرواح موتى كانت مسيئة في حياتها) مثل الجينية والشتوية والتاوية.
٤. لا تؤمن البوذية بالملائكة، ولكنها آمنت بوجود شخصيات شيطانية تحاول اغراء البوذيين عن الوصول إلى الاستنارة (التي وصلها بوذا فأصبح مستنيراً || أي عارفاً).
٥. تأخر ذكر الشيطان في اليهودية، وآمن اليهود في كتابتهم المتأخرة بعد موسى عليه السلام أنه كان ملكاً مقرباً من الله قبل سقوطه وطرده من السماء، وغالى فيه اليهود حتى أنهم كانوا يقدمون له القرابين مناصفة مع الله تعالى، واتهموا نبي الله هارون بأنه كان يُقسم القرابين بين الله وبين الشيطان.

٦. تتناقض كثيراً صورة الشيطان في النصرانية، فمع إيمانهم أنه مصدر كل شر ووصفهم له بالعدو والخصم والشريئ، والقتال، والكذاب، إلا أنهم وصفوه بأنه: إله هذا الدهر، وأنه: لرئيس هذا العالم، وأنه: إله سلطة الموت، وأنه: لمن الممكن أن يتشكل في شكل ملاك من نور، كما ادّعوا أن للشيطان الملك يوبه لمن يشاء حيث ادّعوا أنه اختطف المسيح (وهو الإله المتجسد عندهم)، وطلب منه أن يسجد له، وفي المقابل يعطيه الشيطان ممالك الأرض!

٧. جاء مفهوم الشيطان في الإسلام واضحاً، فهو العدو المعنوي الأعزل إلا من سلاح الوسوسة والإغواء والتحريش والإيقاع، فيقهر الناس بقوة شهواتهم، ويخضعهم بسطان أنانيتهم، فلا سلطان مادي له عليهم، ولا يستطيع أن يهبهم ملكاً أو مجدداً. وقدّم الإسلام بمنهجه المتكامل طرق التعامل مع إغواء الشيطان والتخلص من محاولاته المستمرة لصرف الناس عن الدين الحق وعن كل خير في حياتهم الدنيا، وذلك بالاستعاذة منه أي طلب المعونة من الله تعالى للتخلص من وسوسته وإغرائه، والحفاظ على الشعائر، وكثرة ذكر الله تعالى.



تمهيد الفصل الثالث

كثير من الناس ينبغي بعضهم على بعض، وقضية العدل والقصاص تشغل الكثير من البشر وتؤرقهم، مما أخضع كثير من المفكرين للبحث وتطوير العدالة وطرقها، ومع ذلك كله فقد قصرت إرادة وقدرة البشر على بلوغ العدل المطلق، والسؤال الذي يتبادر للأذهان هو: «هل حوت مصادر الديانات ما يسدّ هذا الاحتياج بتشريعات واعتقادات قادرة على غرز أمر المحاسبة والثواب والعقاب والفصل بين البشرية بما يشرح صدورهم ورضًا وراحةً وطمأنينة؟»

في هذا البحث نقدم للقارئ الكريم نبذة عن اعتقاد الأديان المختلفة في اليوم الآخر والثواب والعقاب آمليين هداية الله إلى سواء السبيل.



الفصل الثالث: اليوم الآخر والثواب والعقاب في الأديان

١. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الهندوسية:

أ. البعث.

الهندوس لا يؤمنون بالبعث غير أنهم يقولون إن هناك فناءً عامًا يرجع بعدها الناس إلى الدنيا مرة أخرى بقالب جديد، وعندهم مصطلح يسمى 'مها برلاي' وتعني الدمار الشامل للعالم؛ وذلك عندما تتلاشى الآلهة (غير الإله الأعلى) مع البشر جميعًا، ويقوم الإله «براهما» بإعادة خلق الكون في بداية كل «فترة زمنية إلهية»^(١٩٧). وبعد الدمار الشامل يعيد الإله خلق الدنيا مرة أخرى، ويتكرر ذلك ملايين المرات^(١٩٨).

ب. الثواب والعقاب.

الاعتقاد الهندوسي بالثواب والعقاب مبني على عدة عقائد أخرى وهي كالتالي:

١. الإنسان يحصل على ثوابه وعقابه في الدنيا. (عقيدة الكارما).
٢. إن لم يستوف الإنسان ثوابه وعقابه في الدنيا، فبعد وفاته تُبعث روحه مرة أخرى في إنسان آخر أو يبعث كحيوان أو حشرة، وذلك لكي يستوفي جزاءه. (عقيدة تناسخ الأرواح).
٣. إن بقيت الروح صالحة في دورات تناسخية متعاقبة وترقت بالولادة في طبقات اجتماعية أعلى ووصلحت، لم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد فيحصل لها النيرفانا (النجاة) من الجولان، وتتحد الروح بالخالق أو مع الخالق في جناته (عقيدة النيرفانا).

(١٩٧) الفترة الزمنية الإلهية تعادل ٤ مليار و ٣٢٠ مليون سنة، يُنظر: «منو سمرتي»، ترجمة إحسان حقي، م سابق، ص ٣١-٣٢.

(١٩٨) يُنظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، م سابق، ص ٦٢٣ / ٦٢٤؛ والهندوسية وتأثير بعض الفرق الإسلامية بها، أبو بكر محمد زكريا، دار الأوراق الثقافية، جدة، ١٤٣٠هـ، ١١٦٦-١١٦٧.

وبذلك يمكننا القول إن الهندوسية لا تؤمن بيوم القيامة، ولا بوجود دينونة في الآخرة، ذلك بالرغم من وجود بعض النصوص التي تبين نعيم الجنة وعذاب الجحيم (التي سيأتي ذكرها)، إلا أن الاعتقاد الرئيسي الهندوسي بالثواب والعقاب أنهما يحدثان في الدنيا، سواء في حياة الشخص، أو في حياة ثانية تعيشها روحه في شكل إنسان أو حيوان أو حشرة. لذلك فإن أكبر غاية وهدف للهندوسي هو انطلاق روحه لتمتج مع الخالق ولا تعيد الولادة لتعود مرة أخرى في الدنيا.

ج. الجنة والنار في الهندوسية.

يوجد في الكتابات الهندوسية القديمة أنه عندما تتخلص الروح وتصعد، يكون أمامها ثلاثة عوالم:

١. إما العالم الأعلى: عالم الملائكة.
٢. وإما عالم الناس: مقر الأدميين بالحلول مرة أخرى في جسد آخر أو حيوان أو حشرة.
٣. وإما عالم جهنم: وهذا لمرتكبي الخطايا والذنوب، وليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم.

وقد جاء في «بهاجافات جيتا» (الباب الثاني) حث للمحارب «أرجونا» (شخصية أسطورية في الهندوسية) على المعركة، وأن الجنة هي جزاء الاستشهاد: (٣٢): سعداء هم الكشاثريا، يا بازتا (أرجونا) الذين يجدون، ودون أي جهد، معركة مثل هذه، إنها باب مفتوح إلى الجنة..... (٣٧) باستشهادك، ستدخل الجنة؛ وبانتصارك مجدك في الأرض؛ لذلك قم يا ابن كونتي، وتأهب للحرب.

وجاء في «شرائع مانو» عن النعيم بعد الموت: (٥: ١٦٠): «فالمراة التي تبقى عفيفة بعد موت زوجها، تذهب كذلك إلى النعيم كما ذهب هؤلاء وإن لم تعقب

ولداً». (٥ : ١٦١): «إن المرأة التي تنكث عهدها بعد زوجها الأول بغية الحصول على الأولاد لا تحمد في هذا العالم وتخسر قرب زوجها منها في النعيم».

وجاء كذلك في «شرائع مانو»: (٧ : ٨٩): «إن الملوك الذين يسعون في الحرب ليقتل كل منهم الآخر، ويقاتلون بشجاعة وإقدام ولا يولون الأدبار يذهبون إلى النعيم». (سواء قتلوا في الحرب أو ماتوا بعد ذلك)

وجاء أيضاً عن الحساب بعد الموت في «شرائع مانو»: (١٢ : ١٨): «ثم بعد أن ينال عقاب سيئاته التي ارتكبها... يقترب نقيًا طاهرًا من العظيمين (بهوت آكما) و(بشترجية)». (١٩): «إن هذين الاثنين يراقبان بلا كلل أو ملل حسنات وسيئات الأرواح المنفردة بما يسبب لها النعيم أو العذاب في هذه الحياة أو الحياة الثانية». (٢٠) «إن الروح الذي يعمل الصالحات ينال النعيم في الملكوت الأعلى». (٢١) «وأما من يرتكب السيئات في غالب الأحيان؛ فإنه ينال عقابه بعد الموت من (يم)». (٢٢) «بعد أن تنال الأرواح عقابها من (يم) وتصبح نقية طاهرة يعود كل واحد منها إلى ما يناسبه من العناصر الخمسة» (لتصبح مخلوقًا جديدًا في حالة أفضل أو أسوأ مما سبق نتيجة لأعماله).

كما جاء عن التناسخ: (١٢ : ٥٤): «إن مرتكبي الذنوب المهلكة يخلقون كما سيأتي بعد أن يقاسوا العذاب جراء سيئاتهم أعوامًا كثيرة في أماكن أليمة».

وهناك حث ألا يكون مطلب الإنسان دخول الجنة، ولا النجاة من النار، وإنما يكون الحصول على (النيرفانا «موكشا») أي الخلاص النهائي، والاندماج في الإله (براماتما «براهما»)، لأن التناسخ وتكرار الموالد عند الهندوس ليس سوى عقاب لمن لم يستطع الاندماج في الإله وهو أقصى درجات السعادة عند الهندوس.

٢. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الزرادشتية:

توجب الزرادشتية الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب وميزان الأعمال والصراف والجنة والنار، على وجه يشابه شيئاً مما يقرره الإسلام بخصوص اليوم الآخر.

فتقرر عقائدهم أن الساعة ستقوم أثر حادث فلكي، وذلك أن كوكباً سيصطدم مع الأرض، فتميد بالناس، وتخر الجبال هدأً، وتذوب العناصر، ويصهر النحاس، ويسيل إلى جهنم، ويفنى أهرمان «الشیطان» وأنصاره من الشياطين، ويُغسل الناس ثلاثة أيام في منصر النحاس فيجده الصالحون برداً وسلاماً، ثم بعد ذلك يجمع أهورامزدا الخلائق، ويمدهم بحياة جديدة ويجازيهم بأعمالهم^(١٩٩). مما يدل على أنها بقايا لرسالة سماوية.

وفي يوم البعث كما تقول مصادر العقيدة الزرادشتية، ترد إلى كل إنسان روحه ومعها كتاب الحياة الذي سجل فيه ملائكة أهورامزدا كل ما قاله وما فعله من يوم بلوغه سن التكليف إلى يوم مماته^(٢٠٠).

وتبدأ المحاسبة، ويقوم بحساب الخلائق حسب المعتقدات الزرادشتية الملائكة الثلاثة الذين ينتمون إلى الدرجة الثانية (يازاتا) وهم ميثرا، سروش، ورشنو^(٢٠١)، وذلك بالطبع تحت إمرة وسلطان أهورامزدا.

(١٩٩) ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ١٩٦٤، ص ١٤٩؛ والزرادشتية تاريخاً وعقيدة وشرعية، خالد السيد محمد غانم، خطوات للنشر، الأردن، ٢٠٠٦، ص ١٧١/١٧٢؛ والأديان دراسة تاريخية مقارنة، د. سعدون الساموك، ود. رشدي عليان، جامعة بغداد، العراق، ١٩٧٦، ص ١٢٨/١٢٩؛ والأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، مصر، ١٩٨٥، ص ١٨٨.

(٢٠٠) زرادشت والزرادشتية، د. الشفيق الماحي، م سابق، ص ٤٨.

(٢٠١) الزرادشتية تاريخاً وعقيدة وشرعية، م سابق، ص ٣٠٢.

كما يؤمن الزرادشتيون بالجنة والنار، والخلود فيهما، ويؤمنون بأن الجنة والنار هما لا تنتظر الروح بعد الموت انتظاراً لليوم الآخر، وكذلك فإنهما داران للخلود بعد أن توزن الأعمال.

٣. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الجينية:

لا تعتقد الجينية باليوم الآخر، وتعتقد بأن الثواب والعقاب يكون في الدنيا عن طريق تكرار المولد «التناسخ» حتى يصل الإنسان إلى التحرر أو الانطلاق. ومع ذلك يؤمنون بالجنة والنار، فالنار يعذب فيها الأشرار قبل عودتهم في صورة أقل من صورتهم التي كانوا عليها إلى حياة ثانية، بينما الجنة هي التي يصل إليها من يتغلب على شهواته ورغباته في الحياة، أي: يتغلب على «الكارما».

٤. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الكونفوشيوسية:

الاعتقاد باليوم الآخر والثواب والعقاب غير موجود في الكونفوشيوسية، فهم يعتقدون بأن الأرواح تبقى لتعيش مع أسرتها، وأن الثواب والعقاب يحدثان في الدنيا. ولم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار، ولا عقاب، ولا ثواب، ولقد أخذ كونفوشيوس كل هذه العقائد ولم يزد عليها، فلم يؤمن باليوم الآخر، ولم يفكر في الحياة بعد الموت، بل كان همه إصلاح الحياة الدنيا (٢٠٢).

ويروى أن أحد تلاميذه سأله عن مآل الأرواح بعد الممات فقال: «لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات؟! ولم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات؟!» (٢٠٣).

(٢٠٢) يُنظر: الكونفوشيوسية، موقفها من الإسلام وموقف الإسلام منها، عبد العزيز بن عمر بن عبد الله القنصل، مجلة الأصول والنوازل: ٢٠١٢م، ص ٥، ٩، ١١٧، والكونفوشيوسية، د. ناصر بن فلاح الشهراني، م سابق، ص ٢٣٦. (٢٠٣) الكونفوشيوسية في الصين، دراسة تحليلية، عالية بنت صالح القرني، مجلة كلية دار العلوم: ٢٠١١، ع ٦٠، ص ٣١٧؛ ومحاورات كونفوشيوس ١١: ١٢، ترجمة محسن فرجاني، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٠، ص ١٠٠.

٥. اليوم الآخر والثواب والعقاب في البوذية:

الاعتقاد باليوم الآخر وبالثواب والعقاب في اليوم الآخر غير موجود في البوذية؛ فهم يعتقدون بإعادة المولد وتكراره في حالة أفضل أو أقل درجة من الحالة التي كان عليها الإنسان في حياته الأخيرة. ولا تؤمن البوذية بجنة دائمة أو جحيم دائم، ولكنها تماشيًا مع التناسخ، يُعتقد أن البوذي بعد الموت سوف يولد من جديد في واحد من ستة عوالم، اعتمادًا على الكارما (سلوكه الشخصي وقدرته على التغلب على رغباته الشريرة) الخاصة به.

وتلك العوالم الستة بالترتيب هي: عالم الآلهة - عالم الإنسان - عالم الأرواح الشريرة - عالم الحيوانات - عالم الأشباح - عالم الجحيم. ويمكن الانتقال من عالم إلى آخر بناءً على الأعمال التالية التي يقوم بها في عالمه الجديد^(٢٠٤).

٦. اليوم الآخر والثواب والعقاب في التاوية:

الاعتقاد باليوم الآخر، والبعث، والثواب والعقاب فيه، والجنة أو النار بعده غير موجود في التاوية وهو أمر لا لبس فيه عندهم، فالمحسن، يزداد عمره في صحة جيدة، والمسيء ينقص عمره ويصاب بالأمراض في الدنيا.

كما اختلفت وتعددت مفاهيم التاوية حول الحياة بعد الموت تأثرًا بالديانات الصينية الأخرى والديانات الهندية، كذلك تنوعت الاعتقادات بين: أن الأرواح تبقى لتعيش مع أفراد أسرتها كما في الكونفوشيوسية، وبين التناسخ كما في الهندوسية، وبين الاتحاد بالتاوية بعد الموت للمحسنين منهم.

(٢٠٤) للمزيد: مقدمة قصيرة جدًا، داميان كيون، م سابق.

كذلك لا يوجد أي ذكر للجنة والنار في كتاب التاوية المقدس «تاوتي تشينغ»، وقد تضاربت المفاهيم التاوية حول الحياة بعد الموت متأثرة بالديانات الأخرى القريبة منها (٢٠٥).

٧. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الشنتوية:

خلت الشنتوية من الاعتقاد باليوم الآخر، والاعتقاد بالحساب، والاعتقاد باللجنة والنار بعد الموت؛ فلا يوجد مفهوم للخلاص والنجاة في الشنتوية، فقط تحدثت الكتب الشنتوية أن الخلاص هو تعايشك مع الـ «كامي» في الدنيا، وليس تعايشك معه بعد الموت. كتب الدكتور سوكيو أونو: «لا يتعدى عالم كامي عالم الإنسان، ولا يحتاج الإنسان إلى السعي لدخول عالم إلهي متسامي لتحقيق الخلاص؛ إنه يسعى للخلاص من خلال جلب «الكامي» إلى العالم البشري، في الحياة اليومية للمنزل، والسوق، وتعاون الناس، ويختبر الإنسان «الكامي» في هذا العالم، ويتم تحقيق الخلاص في التطور المتناغم للعالم» (٢٠٦).

بينما تأثر بعض معتنقي الشنتوية بالأفكار البوذية في وجود حياة مثالية بعد الموت، بعد الاتحاد بالإله، حتى أن مقولة شهيرة نشأت بين أتباع الشنتوية وهي: «ولدت شنتو، وتموت بوذيًا»، فتكون البوذية قدمت فكرة المكافآت والعقوبات في الحياة الآخرة، وأصبح الموت والخلاص في الآخرة يعتبران من الأمور البوذية (٢٠٧).

(٢٠٥) مترجم من: إجابات عن الديانات، م سابق، ص ٣٧٨، ص ٣٨٥، ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٢٠٦) مترجم من: الشنتو، طريق الكامي، م سابق، ص ١٧٦.

(٢٠٧) مترجم من: مكتبة باثيوث، الخلاص عند الشنتو (أبريل ٢٠٢٤):

٨. اليوم الآخر والثواب والعقاب في المسيحية:

الاعتقاد باليوم الآخر غير موجود في المسيحية، فبالنسبة للمسيح: يجب اعتبار كل يوم هو يوم القيامة. وفي اعتقادهم أنه عندما يتوقف الجسد المادي عن العمل، ستعيد الملائكة الروح إما إلى دورة التناسخ أو ستمنح الروح الوصول إلى محكمة الرب. يعتقد المسيحيون أن الخلاص والنجاة في الدنيا يأتي من توحيد الله وحده، وعبادته حسب طريق المعلمين الجور، واتباع وصايا الجور وذلك بالقيام بالأعمال الصالحة والبعد عن الأعمال السيئة. ويحصل المسيحي على الخلاص باستمراره في الحياة مع الخالق (في قصر الرب أو جنة الرب) بعد موته، بينما يستمر المسيح في دورات متتالية من التناسخ.

٩. اليوم الآخر والثواب والعقاب في اليهودية:

الإيمان باليوم الآخر والقيامة والجنة والنار مضطرب عند اليهود، فقد كتبت العديد من الأسفار المقدسة عندهم، ولم يأت أي ذكر لليوم الآخر إلا في كتب أنبياء جاءوا بعد موسى عليه السلام بأكثر من ٧٠٠ عام.

فلا يوجد أي ذكر للجنة والنار واليوم الآخر في «التوراة» التي تضم الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون. وهناك أدلة كثيرة من (العهد القديم «الأسفار الخمسة الأولى») تدل على أن الجزء على الخير، أو العقاب على الشر دنيوي بحت، ومنها: سفر (التثنية ٢٨: ١ - ١٧): «وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك؛ لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أو صيكت بها اليوم، يجعلك الرب إلهك مستعليًا على جميع قبائل الأرض... مباركًا تكون في المدينة، ومباركًا تكون في الحقل... ومباركًا تكون في دخولك، ومباركًا تكون في خروجك».

أ. الإشارات إلى اليوم الآخر في كتب اليهود المقدسة:

أولاً. نصوص العهد القديم:

١. ما ورد في (سفر دانيال ١٢ : ٢): «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض، يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبدية».
٢. وفي (سفر الجامعة ١٢ : ١٣ - ١٤): «فلنسمع ختام الأمر كله: اتق الله، واحفظ وصاياها...؛ لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفى إن كان خيراً أو شراً».

ويؤكد الدكتور مصطفى حلمي، فيقول: «إنّ هناك اضطراباً وغموضاً في عقيدة اليهود في اليوم الآخر، فهي أقرب إلى الإنكار منها إلى الإقرار والإيمان، ويرجع ذلك إلى اختلاف النصوص الواردة عن الآخرة في التوراة» (٢٠٨).

ثانياً. نصوص التلمود:

جاء في التلمود: «إنّ الجنة مأوى الأرواح الزكية، لا يدخلها إلا اليهود، والجحيم مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه، سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين، وأنّ الجحيم أوسع من النعيم ستين مرّة» (٢٠٩).

ب. إنكار بعض الفرق اليهودية لليوم الآخر

تنكر بعض فرق اليهود كالصدوقيين قيام الأموات، وتعتقد أنّ العقاب والثواب يحصلان في الدنيا، وبعض فرقهم تعتقد أنّ اليوم الآخر هو ظهور المسيح المنتظر، وإقامة مملكة اليهود العالمية في الدنيا (٢١٠).

(٢٠٨) الإسلام والأديان دراسة مقارنة، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، مصر، ١٩٩٠، ص ١٧٧.

(٢٠٩) الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج، م سابق، ص ٦٨.

(٢١٠) ينظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، مجموعة مترجمين، دار الجيل، لبنان، ١٩٩٢، ١٦، (٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦). (فرقة الصدوقيين قديماً يتماثل أغلب اعتقادها مع الفرقة الإصلاحية في العصر الحديث، بينما فرقة الفريسيين يتماثل أغلب اعتقادها مع فرقة اليهود الأرثوذكس).

ويذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي: أنه لا يُوجد في فرقههم الشهيرة مَنْ يُؤمن باليوم الآخر، ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات، وتعتقد أنّ عقاب العصاة وإثابة المتقين: إنما يحصلان في حياتهم. وفرقة الفريسيين (اليهود الأرثوذكس حالياً): تعتقد أنّ الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض؛ ليشاركوا في ملك المسيح الذي يأتي آخر الزمان، فهم ينكرون بذلك البعث يوم القيامة^(٢١١).

١٠. اليوم الآخر والثواب والعقاب في النصرانية:

أ. اليوم الآخر في العهد الجديد

في نصوص الأناجيل الحالية ما يدل على ذلك، ومن تلك النصوص:

١. ما جاء في إنجيل (مرقس ٩: ٤٣-٤٨) وكذلك (متى: ١٨: ٨-٩): «وإن اعترتك يدك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان، وتمضي إلى جهنم إلى النار التي لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت، والنار لا تطفأ، وإن اعترتك رجلك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان، وتطرح في جهنم في النار التي لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت، والنار لا تطفأ، وإن اعترتك عينك فاقطعها خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان، وتطرح في جهنم النار، حيث دودهم لا يموت، والنار لا تطفأ».

فنصوص أناجيل العهد الجديد دلالاتها واضحة على البعث والمعاد في اليوم الآخر، إلا أنها لا ترقى أن تُقارن بما جاء في القرآن الكريم من نصوص المعاد في الوضوح والتكامل.

ب. زعم النصارى أنّ الدينونة للمسيح يوم القيامة:

يلاحظ أنّ مصطلح «الدينونة» الذي يرد كثيراً في الأناجيل والمصادر المسيحية

(٢١١) اليهودية د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، مصر، بدون تاريخ، ص ٥٠/٤٩.

الأخرى، هذا المصطلح يعني عندهم «حكم الله على الناس بحسب أعمالهم»، وحسب الرواية المسيحية، فإن الدينونة أُعطيت «ليسوع المسيح» فهو - عندهم - الديان الذي يقف أمامه جميع البشر؛ لكي يعطوا حساباً عن أعمالهم في الجسد خيراً كانت أم شراً، وهذه الدينونة عامة شاملة، وأحكامها نهائية قطعية، وبموجب تلك الأحكام يُدخل الأبرار إلى «أمجاد ملكوت الرب وأفراحها»، ويذهب الأشرار إلى «الظلمة الخارجية واليأس الأبدي»، وذلك كما جاء في إنجيل (يوحنا ٥ : ٢٢) «لأنَّ الآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ».

وهذا يتعارض مع نصين آخرين بالعهد الجديد؛ فقد قال بولس في (كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٤ - ٢٨): «وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة.. ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضا سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل». فحسب هذا القول فإن المسيح سيكون خاضعاً للآب يوم القيامة وليس دياناً للبشرية. والنص الآخر هو ما نُسب للمسيح - عليه السلام - في إنجيل (يوحنا ٥ : ٣٠): «أنا لا أقدر أن أفعل في نفسي شيئاً، كما أسمع أدين».

فالنصان السابقان يدلان على أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس بيده أمر يوم القيامة، كما يزعم النصارى بـ «أنَّ الآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ جَعَلَ الْقَضَاءَ كُلَّهُ لِلابْنِ». (٢١٢).

ج. الجنة والنار في العهد الجديد

ورد ذكر الجنة والنار بوضوح في كثير من نصوص الأناجيل، ومن ذلك:

(٢١٢) عقيدة الآخرة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دراسة مقارنة، د. حاتم جاسم محمد: مجلة جامعة تكريت، كلية التربية، قسم علوم القرآن، المجلد ٥، العدد ١٦، السنة الخامسة أب، ٢٠٠٩، ص ٢٦، بتصرف.

١. ما جاء في إنجيل (متى ٥: ٢٢): «وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقاً يكون مستوجب المجمع، ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم». وفي هذا النص إشارة واضحة إلى أن العذاب على الروح والجسد جميعاً.
٢. وفي إنجيل (لوقا ٢٣: ٤٢-٤٣): «ثم قال يسوع: اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك، فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس».

١١. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الإسلام:

أ. مفهوم اليوم الآخر في الإسلام:

اليوم الآخر: هو يوم القيامة، وقد ورد ذكر «القيامة» في سبعين موضعاً في القرآن، ويبدأ يوم القيامة بفناء عالمنا هذا فيموت كل من فيه من الأحياء، وتبديل الأرض والسموات، ثم يُنشئ الله النشأة الآخرة، فيبعث الله الناس جميعاً، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى، وبعد البعث يُحاسب الله كل فرد على ما عمل من خير أو شر، فمن غلب خيره شره، أدخله الله الجنة، ومن غلب شره خيره، أدخله الله النار.

وسمّي باليوم الآخر: لأنه لا يوم بعده، أو لا ليل بعده، فالإنسان له مراحل أربع: مرحلة في بطن أمه، ومرحلة في الدنيا، ومرحلة في البرزخ، ومرحلة يوم القيامة، وهي آخر المراحل؛ ولهذا سُمي اليوم الآخر، يسكن فيه الناس، أما في الجنة، وإما في النار.

ب. خصائص اليوم الآخر في الإسلام:

لليوم الآخر عدة خصائص، نذكر بعضها، ومنها:

أولاً: عِظَمَ ذَلِكَ اليَوْمِ، وَحَسَبْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤-٥]، وَذَكَرَ هَذَا الْوَصْفَ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا يَتَخِيلُونَ.

ثانياً: الرعب والفرع الذي يصيب الناس من هوله، فيذهل الناس، وتضع المرأة الحامل حملها، ويشيب الوليد، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

ثالثاً: انقطاع علائق الأنساب يوم القيامة؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

رابعاً: استعداد الكفار للافتداء بكل شيء في سبيل الخلاص من العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤].

خامساً: طول زمانه، حتى يظن الناس لطوله أنهم لم يعيشوا في الدنيا إلا ساعة من النهار، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

سادساً: تجلي الحقائق وانكشاف الغطاء، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٠: ٢٢].

سابعاً: تجلي رب العزة - سبحانه وتعالى - لعباده، وكلامه لهم كفاً، ليس بينه وبينهم ترجمان ولا حجاب؛ وقد أخرج البخاري في صحيحه: أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان» (٢١٣).

ثامناً: تجلي عدل الله المطلق في الحكم بين العباد، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ج. مفهوم الجنة والنار في الإسلام:

الجنة: في الإسلام هي دار الثواب الذي أعده الله لعباده الصالحين بعد الموت والبعث والحساب، مكافأة لهم، وهي دار الخلود والكرامة لهم، وفيها من النعيم المقيم الأبدي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وأعظم نعيم الجنة هو النظر إلى وجه الله الكريم، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣-٢٢] وفي الحديث قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله - تبارك وتعالى -: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عز وجل -» (٢١٤)، وفي رواية: ثم تلا قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (٢١٥).

(٢١٣) أخرجه البخاري، برقم ٦٥٣٩، ومسلم، برقم ١٠١٦.

(٢١٤) أخرجه مسلم، برقم ١٨١.

(٢١٥) المصدر السابق.

والنار: في الإسلام هي دار العقاب الذي أعده الله تعالى لأعدائه الكافرين؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١ - ١٣٣].

والجنة والنار من الأمور الغيبية التي لا تعلم كيفيتها، ولا حقيقتها، ولا ما فيها، إلا عن طريق الوحي المعصوم المتمثل: بالقرآن الكريم، والسنة النبوية فقط (٢١٦).

خاتمة الفصل الثالث:

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. آمنت بعض الديانات باليوم الآخر منها الديانات ذات الأصل السماوي، بينما أنكرته الأديان الوضعية التي أنكر بعضها وجود الإله من الأصل، بينما بحثت بعضها عن وسيلة لرد الظلم والمظالم عن العباد، ومعاينة الظالمين فوصلت بظنها إلى عقيدة تكرار المولد (التناسخ) حيث يولد المسيء في درجة أقل، ويولد المحسن في درجة أعلى حتى يصل إلى النجاة باتحاده بالخالق. فالثواب والعقاب في هذه الديانات دنيوي يحدث في حياة الشخص الحالية، أو في حياته التالية بعد الموت وإعادة مولده في صورة أخرى.
٢. لا تعتقد العديد من الديانات باليوم الآخر ولم يأت له أي ذكر في مصادرهم المقدسة مثل: الهندوسية والبوذية والجينية والتاوية والشتوية والكونفوشيوسية والسيخية وقد أقرت بعض البدائل لفكرة الثواب والعقاب بتكرار المولد (الهندوسية - البوذية - الجينية - السيخية)، أو بطول العمر أو قصره (التاوية)، بينما تجاهلت تشاره في آسيا موطن الزرادشتية.
٤. اضطرب ذكر اليوم الآخر عند اليهود فجاء في كتابتهم اللاحقة لزمان موسى عليه السلام بحوالي ٧٠٠ عام، فقد جاء في التوراة الحالية عند اليهود ما يفيد بأن الثواب والعقاب دنيوي يتمثل في زيادة الزرع والنسل للمحسنين، والأمراض والابتلاءات للمسيئين، بينما احتوت الكتابات الحديثة على بعض الإشارات لليوم الآخر والثواب والعقاب الآخروي، كما احتوى التلمود الذي كتبه الحاخامات في وقت أحدث (في حدود القرن الخامس الميلادي) على ذكر الجنة كماوى للمؤمنين من اليهود والنار كماوى لغير

- اليهود. ولا تزال فكرة الثواب والعقاب مضطربة في اليهودية نتيجة لنصوص التوراة التي تبين أن الثواب والعقاب لليهود ثواب وعقاب دنيوي (حسب التوراة) وأن جميعهم مآلهم الجنة خلافاً لغير اليهود (حسب التلمود).
٥. آمنت النصرانية باليوم الآخر، واعتبرته يوم مجيء المسيح وأطلقت عليه يوم الدينونة، واعتقد النصارى بأنه يوم قريب من زمن المسيح عليه السلام، وذلك لما نسب إلى المسيح في إنجيل (مرقس ٩ : ١): وَقَالَ لَهُمْ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللَّهِ قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ». وبالرغم من إيمان النصارى بالجنة والنار، إلا أن فكرة الخلاص نتيجة إيمانهم بالمسيح تعتبرها الكنائس كافية للظفر بالجنة والحياة الأبدية.
٦. أولى الإسلام عناية كبيرة بتوضيح مفهوم اليوم الآخر، وبيان خصائصه والعدل الإلهي المطلق في اليوم الآخر، ومآل العباد للجنة مثوبة لهم على أفعالهم الطيبة أو للنار عقاباً لهم على سوء عملهم، فقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]



تمهيد الفصل الرابع

التساؤل الذي اعتقد أنه مرّ على الكثيرين... ولم يكن سؤالاً عادياً بل سؤالاً ملحاً.. وهو: لماذا نحن هنا؟ لماذا خلقنا؟ ما الغرض من الخلق؟... والذي أجده أن هذا التساؤل لا يقبل إجابة غير مقنعة أو فكرة بسيطة لسبب بسيط وهو أن الخلق المشاهد عظيم فلا بد من أسباب تبرر هذا الخلق وتوضح الغرض منه.

لذلك سوف نحاول أن نجيب على هذا التساؤل: «ما الذي تقوله الأديان عن الغرض من خلق الانسان؟»، هل تتفق مع بعضها البعض أم تختلف؟ هل تقدم الأديان تصوراً مناسباً مقنعاً عن الغرض من الخلق يناسب هذا الخلق العظيم الهائل الواسع؟... والله ولي التوفيق والسداد.



الفصل الرابع: الغرض من الخلق في الأديان

١. الغرض من الخلق في الهندوسية:

هناك أكثر من رواية لقصة الخلق في الهندوسية، إحدى هذه الروايات تقول إن الإله كان يعيش وحيداً ولم يكن سعيداً بوحده فخلق الإنسان، كما في رواية «الأوبانيشاد - بريهادارانيكا - ١. ٤».... «براهما» الذي كان يعيش وحيداً وبعيداً في اللانهاية في نفس شخص يسمى بوروشا «PURUSHA»، ولكنه لم يكن سعيداً بوحده؛ فقرر أن يصنع شيئاً كما تقول الرواية، وبأطراف أنامله صنع «براهما» شيئاً هائلاً كبير الحجم يكاد يعدل جسمه «عملاقاً وعملاقةً تعانقا». وبذلك بدأ خلق الإنسان.

أسباب أخرى لخلق الإنسان جاءت في «قوانين مانو»، ولكن ارتبطت بالعنصرية الاجتماعية أو الطبقية في المجتمع الهندوسي فأشادت بخلق طبقة البراهمة كما يلي:

(١ : ٣١ إلى ١ : ٣٤) ولسعادة العالم، خلق «براهما» «البراهمة» من وجهه، و«الكشترين» من ذراعيه، و«الويش» من فخذه، و«الشودر» من قدميه، ثم إن «براهما» شطر جسمه، وجعل شطراً في صورة رجل وشطراً في صورة امرأة، وخلق من تراو جهما رجلاً عظيماً يدعى «برات BRAT» (٢١٧) ، فاعلموا -أيها الأحبار - أن ذاك الشخص العظيم، بعد أن ارتاض وتعب، خلقني أنا لأكون خالق هذا العالم كله، فلما أردت أن أخلق العالم، ارتضت رياضات شديدة، وخلقت عشرة أحبار، جعلتهم آلهة هذا العالم..... (١ : ٨٧): ولصلاح هذا العالم وفلاحه، خلق الإله الأعظم براهما الفرق الأربع من وجهه وذراعيه وفخذه وقدميه. (٨٨) وقد عهد للبراهمة بقراءة الويدا

(٢١٧) هذان الشخصان اللذان خلقهما براهما هما: «سوايم بهومنو» وهو «منو» الأول، وزوجته «شترويا راني»، وأما الشخص العظيم ففيه اختلاف عند الهندوس فالبعض يقول: إنه «منو» صاحب هذا الكتاب وهذا مردود من الفقرة التالية، وآخرون يقولون إنه هو والد «منوجي» وخالقه وهو الأصح عندهم. المصدر السابق، ص ٢٠-٢١.

وتعليمه والقيام بأعمال يكيه لأنفسهم ولغيرهم وخصهم بإعطاء الصدقات وقبولها. (٨٩) وفرض على الكشترى خمسة أمور، وهي: المحافظة على الرعية ودفع الصدقات والقيام بأعمال يكيه وقراءة الويدا وعدم الميل إلى نعيم الدنيا. (٩٠) وفرض على الويش سبعة أمور، وهي: حفظ الحيوانات ورعيها وإعطاء الصدقات والقيام بأعمال يكيه وقراءة الويدا والإتجار والتعامل بالربا والاشتغال بالزراعة. (٩١) وفرض الإله الأعظم على الشودر أمرًا واحدًا وهو: أن يقوم بإخلاص تام بخدمة هذه الفرق الثلاثة. (٩٤): لقد خلق براهما البراهمة من وجهه ليحفظوا العالم وليرضوا الآلهة والأجداد.

أما هدف الإنسان في الحياة حسب الهندوسية فهو العمل الصالح من أجل النجاة والخلاص، والنجاة في الهندوسية لطبقة البراهمة هي قراءة «الويدا» وعمل الصالحات وتقديم القرابين، وبذلك يصلون إلى «النيرفانا» أي الاتحاد ببراهما الخالق. بينما الفلاح المؤقت في الهندوسية للطبقات الأخرى تأتي بحصولهم منها على ولادة تالية في طبقة أعلى، والفلاح يأتي بالأعمال الصالحة وقراءة «الويدا» والتقدمات، ويُستثنى «الشودر» من القراءة والتقدمات لأنه ليس عليهم واجبات دينية.

٢. الغرض من الخلق في الزرادشتية:

لا تذكر النصوص الزرادشتية الغرض من خلق الإنسان، ولكنها توجب الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب وميزان الأعمال والصراط والجنة والنار.

٣. الغرض من الخلق في الجينية:

لا تقدم الجينية أسبابًا لخلق الإنسان ولا توضح الغرض منه، وهي لا تعترف بوجود خالق من الأساس، فالحياة من وجهة نظر الجينيين تعاسة مستمرة وشقاء متصل، ونعيمها زائل والعيش فيها باطل، وسبيل النجاة فيها في التخلص منها والانفكاك عنها،

غير أن ذلك لا يتأتى بيسر وسهولة، بل هو طريق طويل من المجاهدات والتششف والزهد حتى يبلغ الراهب مرحلة يحق له فيها أن يتخلص من حياته انتحاراً؛ فالانتحار عندهم وسيلة للتحرر من هذه الحياة وقسوتها، كما أنه جائزة لا تتاح إلا للرهبان الذين اتبعوا النظام الجيني في مجاهدة النفس ومغالبة الشهوات.

٤. الغرض من الخلق في الكونفوشيوسية:

لم تذكر النصوص في الكونفوشيوسية أي شيء يتحدث عن الخلق، ولكنها تعرضت لواجب الإنسان في الحياة، فقد ركزت الكونفوشيوسية على أن واجبات الإنسان في الحياة هي السمو الأخلاقي والوسطية والاعتدال في الأمور مما يجعل السماء في استقرار وانسجام، وذلك كما جاءت النصوص التالية من كتاب الحوارات وكتاب الوسطية والاعتدال:

(٧: ٦): قال كونفوشيوس: «اعلم أن أحسن الطرق هو طريق الحق، وأن أرسخ المبادئ جميعها هو ما قام على التراحم والإنسانية، وأن أفضل ما يسلي به الرجل نفسه من لهو عفيف أو يشغل حسه به من متعة راقية، هو أن يمارس الفنون الستة الأصلية». (يقصد: الموسيقى، الرماية، آداب المجاملات، الفروسية، الآداب القديمة، علم الحساب).

(١٤: ٢٣): قال كونفوشيوس: «لا يعز المرء إلا إذا اشتغل قلبه بمبادئ العدل والإنسانية والمثل العليا، ولا يذل إلا إذا جعل المنفعة والتربح والثراء الفاحش جل همه».

جاء في نص القطعة الخامسة من كتاب الوسطية والاعتدال: «إذا بذل الإنسان أقصى جهوده في الاهتداء بالوسطية والاعتدال سعياً وامتثالاً، تستقرّ السماوات والأرض بفضلها في مقامهما انسجاماً، وتنمو كل الكائنات بينهما بفضلها ازدهاراً».

٥. الغرض من الخلق في البوذية:

البوذية هي دين لا يتضمن الإيمان بإله خالق، أو أي كائن شخصي إلهي أبدي، لذلك لا تتضمن البوذية تفسيراً للخلق والغرض منه، بل تتصور البوذية أن الحياة هي مجموعة من الآلام التي يجب الالتزام بالتعاليم البوذية للتخلص منها.

٦. الغرض من الخلق في التاوية:

لا تقدم النصوص التاوية قصة الخلق، ولا تقدم نصوصاً تتحدث عن خلق الإنسان أو الغرض من الخلق، أو الواجبات والتكاليف على الإنسان في الحياة.

٧. الغرض من الخلق في الشنتوية:

لا تقدم الشنتوية تعريفاً للإنسان ودوره في الحياة والغرض من الخلق.

٨. الغرض من الخلق في المسيحية:

لا تقدم المسيحية أسباباً لخلق الإنسان، ولكنها تحدثت على أن مهمة الإنسان على الأرض هي الوصول إلى السلام والحياة السعيدة التي تتناغم مع ما حولها من مجتمع ومن طبيعة.

٩. الغرض من الخلق في اليهودية:

ذكرت نصوص قليلة في العهد القديم سبب خلق الإنسان، وأظهرت أن الله تعالى خلق الإنسان لمجد وعظمة الله، ولكي يعمل الإنسان في الأرض، ويعبد ويسبح الله تعالى، فمن تلك النصوص:

أ. سفر (إشعيا ٤٣: ٢١): «هذا الشعبُ جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي. يُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِي»

ب. سفر (التكوين ٢: ١٥): «وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنِ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا».

ومن أسباب اضطراب مفهوم الآخرة عند اليهود عدم وجود نصوص تُظهر الغرض الرئيسي من الحياة وأنها دار اختبار لما يأتي بعدها من جنة أو نار.

١٠. الغرض من الخلق في النصرانية:

التزمت النصرانية بنصوص العهد القديم فيما يخص الخلق، إلا أنه نتيجة إيمانها الصريح باليوم الآخر والجنة والنار؛ فإن بعض النصوص أوضحت أن الغرض من الحياة عبادة الله وتسيبحة والعمل لإعلاء كلمته، ويتضح ذلك من النصوص التالية:

أ. (الرسالة إلى كولوَسِّي ١: ١٦): «الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ»

ب. (الرسالة إلى أفسس ١٠: ٢): «لأننا نحنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللَّهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا».

ج. (الرسالة إلى رومية ٨: ٣٠): «وَلأنَّه قَدْ خَلَقَنَا وَبَرَّرَنَا وَفَدَانَا وَأَتَى بِنَا إِلَى الْحَيَاةِ لِكَيْ يُمَجِّدَنَا»

د. (الرسالة إلى رومية ١٤: ٨): «لأننا إن عشنا فللربِّ نعيشُ، وإن مُتْنَا فللربِّ نَمُوتُ. فإن عشنا وإن مُتْنَا فللربِّ نَحْنُ».

ويلاحظ أن المنقول من أقوال المسيح عليه السلام لم تتحدث عن الغرض من خلق الإنسان، بل كل ما ذُكر بالأعلى هي أقوال منسوبة لبولس في العهد الجديد.

١١. الغرض من الخلق في الإسلام:

الغرض من الخلق في الإسلام واضح بنصوص محكمة صريحة، فالله تعالى خلق الإنسان لعبادته، وإقامة أمره، وتحكيم شرعه، فمن حاد عن هذا الطريق فقد استحق عقاب الله، ومن امتثل فقد استحق النعيم المقيم الذي وعد الله به عباده، وهذه حقيقة دلت عليها النصوص الصريحة، والعقول الصحيحة.

فالله تعالى هو الذي خلق هذا الإنسان، وهو الذي يأمره: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وبين سبحانه الحكمة من خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك: ٢].

وأنكر سبحانه على من يظن أو يدعي أنه خلق عبثاً، فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

لذلك فإن المؤمن يدرك أن الحكمة من خلقه الابتلاء والامتحان، وأن
أدوات الامتحان هي كل ما في هذه الدنيا، ومدة الامتحان هي حياته على الأرض،
ومكان الامتحان هو الأرض دار الزوال، فإذا انتهى زمن الامتحان أخذت منه أدوات
الامتحان، وأخرج من قاعة الامتحان، ليحصل على نتيجة ما قدم في حياته الدنيا ويظفر
بالجنة أو يُخزى في النار.

خاتمة الفصل الرابع:

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. انكرت بعض الأديان مثل: (الجينية والبوذية) وجود خالق، فبذلك امتنعت الإجابة عن سؤال «ما هو الغرض من الخلق؟» فالحقيقة أن عجزهم عن الإجابة هو فرع لعجز أكبر وهو من الخالق لهذا الكون العظيم؟
٢. لم تتعرض بعض الأديان للغرض من الخلق مثل: (الشتوية والتاوية والكونفوشيوسية والزرادشتية والسيخية)، وهذه سمة من سمات الأديان الوضعية التي تعجز عن وضع تصور كامل للخلق وأسبابه وتفتقر إلى التشريعات والأحكام.
٣. في روايتين عن أسباب الخلق في المصادر الهندوسية المقدسة عندهم، جاء سبب خلق الإنسان في أولهما أن الخالق لم يكن سعيداً في وحدته فخلق الإنسان، بينما جاء السبب في الثانية أنه لسعادة العالم خلق الانسان بمختلف طبقاته الاجتماعية.
٤. جاء في نصوص اليهودية المقدسة عندهم، بأن الله تعالى خلق الإنسان لمجد وعظمة الله، ولكي يعمل الإنسان في الأرض، ويعبد ويسبح الله تعالى.
٥. التزمت المسيحية بالغرض من الخلق في النصوص اليهودية، ولكن أضافت بعض النصوص في العهد الجديد أوضحت أن الغرض من الحياة عبادة الله وتسبيحه والعمل لإعلاء كلمته.
٦. الغرض من الخلق في الإسلام واضح بنصوص محكمة صريحة، فالله تعالى خلق الإنسان لعبادته، وإقامة أمره، وتحكيم شرعه، والعبادة في الإسلام هي كل ما يحبه الله تعالى من قول أو فعل، فالعبادة لا تقتصر على الطقوس

والشعائر بل تمتد لكل ما يحبه الله من صدقة أو ذكر أو حسن المعاملات أو بر الوالدين وصلة الرحم أو الإحسان للآخرين أو الدعوة لله تعالى وغيرها من أعمال أمر الله تعالى بها.

كما أوضحت النصوص الإسلامية العديدة على أن الحياة عبارة عن فصلين، الأول هذه الحياة الدنيا وهي دار ابتلاء واختبار، ثم الفصل الثاني وهي حياة آخروية بعد حساب وجزاء، فهذه الفكرة أولى لها الإسلام أهمية كبرى وجاءت بنصوص عديدة في المصادر الإسلامية لتحصل على حجمها المناسب لقدر الخلق بكثرة الإيراد وعدد الأساليب.

تفوقت وتعالى النصوص الإسلامية الخاصة بقضية الخلق على سائر الديانات التي اتسمت بالقصور الشديد في عرضها أو تفسيرها.



الباب الثالث



العلاقات الاجتماعية في الأديان

الفصل الأول

العلاقات الإنسانية في الأديان



الفصل الثاني

مكانة المرأة في الأديان



الفصل الثالث

الزواج والطلاق في الأديان

تمهيد الفصل الأول

المتقرر أن الإنسان اجتماعي بطبعه، والسؤال عند علماء الاجتماع هو: هل أولت كل الأديان العناية الكافية للعلاقات الإنسانية في المجتمعات ليسودها الإخاء والشداد والتراحم ونحو ذلك؟.... هل أولت الديانات المنتشرة في العالم اهتمامًا كافيًا ببر الوالدين، وصلة الأرحام والمعاملة الطيبة مع الجيران وغيرها من معاملات تشدد قوة المجتمع وتبني أسسه الاجتماعية وتزيد الترابط بين أفرادها؟.... فأبي الأديان تلبية هذه الاحتياجات الهام لصحة المجتمع؟

نقدم فيما يلي رصدًا عن العلاقات الإنسانية في مصادر الديانات، والذي يعكس اهتمام الأديان بتقوية تلك الروابط الاجتماعية.



الفصل الأول: العلاقات الإنسانية في الأديان

١. العلاقات الإنسانية في الهندوسية

أ. بر الوالدين

حضت الهندوسية على بر الوالدين، وخاصة الأم، حيث جاء في شرائع مانو: (٢: ١٤٤): الأم أعظم من الأب بألف مرة، والأب أعظم من معلم الوريد بمئة مرة. (٢: ٢٢٧): على التلميذ أن يقوم على خدمة الأبوين والأستاذ، بما يرضيهم، وبذلك ينال ثواب عبادته كلها. (٢٢٨) إن إطاعة هؤلاء الثلاثة هي خير العبادات. (٢: ٢٣٢): يفوز المرء في هذا العالم بقيامه على خدمة أمه.

ب. صلة الرحم

أوصت الهندوسية بالأقارب وحسن التعامل معهم، وأولت الهندوسية عناية خاصة بالخالة والخال، أكثر من العم والعممة، فقد جاءت النصوص من كتاب «قوانين مانو» كما يلي:

(٢: ١٣٥): إن كل من العلم الديني وأداء الطقوس المذهبية، والعمر، والقربة، والمال، كل ذلك خليق بالتعظيم والإجلال إلا أن الأول فالأول أفضل مما يليه.

(٢: ٢٠٥): وعلى التلميذ أن يعظم أقاربه ويوقر كل من يربيه ومن ينهيه عن القبائح ويهديه إلى الخير.

(٤: ١٧٩): وعليه ألا يتشاجر مع برهمن... ولا مع أستاذه أو خاله أو ضيفه أو أحد المتعلقين به أو مع صبي أو شيخ أو مريض أو عالم أو مع اقربائه من أسرة أبيه أو اقربائه من أسرة أمه أو من أسرة زوجته. (١٨٠) أو مع أمه أو

امرأة من أقاربه أو مع أخيه أو ابنه أو زوجته أو بنته أو غلمانه. (١٨١) إن من يجتنب مخالصة هؤلاء ينجو من كل الذنوب.

ج. التعامل مع الجيران

لم تأت في الهندوسية أوامر وتشريعات خاصة بالجار إلا فيما يخص وجوب دعوته في الأفراح والأعراس. فقد جاءت النصوص من كتاب قوانين مانو كما يلي:

(٨: ٣٩١): إن البرهمن الذي لا يدعو جاره بالجانب والجار الذي يليه إلى دعوات الأفراح والأعراس التي يدعى إليها عشرون رجلاً، بينما كلاهما جدير بأن يدعى، يعاقب بغرامة مالية....

د. رعاية الأيتام

لا توجد في الهندوسية نصوص تخص رعاية الأيتام، إلا النص الوحيد الذي يوصي بأن على الملك حفظ إرث القاصر حتى ينتهي من مرحلة التلمذة ويصل سن الرشد. ولكن الهندوسية سمحت بالتبني، بأن يعرض الأيتام أنفسهم على رجال ليتخذوهم أبناءً لهم. فقد جاءت النصوص من كتاب قوانين مانو كما يلي:

(٨: ٢٧): على الملك أن يحفظ إرث القاصر حتى يرجع من دار استاذة أو يبلغ الرشد.

(٩: ١٧٨): إن من فقد أهله بموتهم أو تركه أهله من غير سبب فذهب وعرض نفسه على رجل آخر ليكون له أباً ويكون هو ابنه فإن هذا الولد يسمى سويمدت. أي العارض نفسه.

٢. العلاقات الإنسانية في الزرادشتية (المجوسية)

التعاليم الزرادشتية القديمة لم تحتو على تفاصيل الأحكام أو فقدت تلك التعاليم، ولكن التقاليد الزرادشتية اهتمت بالأسرة وبتماسكها، واعتبر تكوين وإنشاء الأسرة واجباً مقدساً، ولكن التفاصيل الخاصة ببر الوالدين وصلة الرحم والعناية بالجيران ورعاية الأيتام غير موجودة في نصوصهم. ولكن بوجه عام فإن التعاليم الدينية الزرادشتية على الثلاثية الأخلاقية، «الفكر الصائب، والقول الطيب والعمل الصالح».

٣. العلاقات الإنسانية في الجينية (اليانية)

لا توجد نصوص من الكتب المقدسة عند الجينيين تخص بر الوالدين أو صلة الرحم أو حقوق الجيران، أو نصوص تخص الأيتام ورعايتهم، وفضل تربيتهم وكفالتهم.

بل ترك الأمر للعادات الاجتماعية، وللتقاليد الموروثة عن الهندوسية التي نشأت منها الجينية، والتي تحض بشكل عام على توقير الأبوين واحترام الأقارب، خاصة الأجداد وكبار السن منهم.

٤. العلاقات الإنسانية في الكونفوشيوسية

حضت الكونفوشيوسية على حسن التعامل مع الوالدين والأقارب، فقد جاءت بعض النصوص من كتاب الحوارات كما يلي:

(١: ٢): قال يوزي «أنبغ تلاميذ كونفوشيوس»: هناك صنف من الناس يشني تمجيداً لأبيه وأمه، احتراماً لأهله وأخوته... هادئ لين الطبع أمام أهله..... وإن أطيب ما أثمرت الفضائل جميعاً: احترام الوالدين وإكبار الأخوة والأشقاء.

(١٨ : ١٠): قال «جوكونغ» لولده: «إياك ومخاصمة ذوي رحمك...»
وأثنت الكونفوشيوسية على حسن الجيرة والجار الطيب كما جاء في النصين
التاليين من كتاب الحوارات:

(٤ : ١): قال كونفوشيوس: «ليس أفضل من السكنى بجوار جار طيب
النفس، كريم الخلق، فمن غفل عن ذلك، فقد تناءت عنه الحكمة، وتزاور
عنه الرشاد».

(٦ : ٥): قال كونفوشيوس: «يستحب في السعادة ثلاث: «لذة الفن والموسيقى،
متعة ذكر فضائل الناس، ورضا العيش في جوار أهل الخير».
لكن لم تأت أي نصوص في الكونفوشيوسية تتحدث عن الأيتام ورعايتهم.

٥. العلاقات الإنسانية في البوذية

الأسرة البوذية غير مترابطة. فللبوذية علاقة معقدة ومتعددة الأوجه مع الأسرة
والحياة الأسرية والخطابات العائلية.

تركز البوذية على مسار رهباني يتضمن نبذ جميع الروابط العائلية باتباع
النموذج المثالي لبوذا نفسه، الذي تخلّى عن والديه وزوجته وابنه من أجل العمل
نحو الهدف النهائي للبوذية. وهكذا، فإن العديد من النصوص البوذية تتميز بخطاب
تنازلي قوي ومناهض للأسرة حيث تُصوّر الأسرة كمصدر أساسي للارتباط والوهم
والمعاناة.

لذلك لا توجد في البوذية أي نصوص تتحدث عن بر الوالدين وصلة الرحم أو
رعاية الأيتام أو حقوق الجيران، بل ترك هذا الأمر للعادات الاجتماعية (٢١٨).

(٢١٨) مترجم من: مكتبة «ويلي» (البوصلة) على الانترنت، أبريل ٢٠٢٤:

٦. العلاقات الإنسانية في التاوية (الطاوية-الداوية)

لا توجد أي نصوص أو تعاليم في التاوية حول الأسرة وتربية الأبناء، وواجبات الأب والأم، أو واجب الأولاد نحو أبيهم وأمهم.

فالمعتقدات التاوية حول العلاقات الأسرية تربطها العادات والتقاليد، وتستند إلى مبدأ أنه يجب على المرء أن يعيش حياة سلمية وينشرها مع العائلة.

لذلك لا توجد في التاوية أي نصوص تتحدث عن صلة الرحم أو رعاية الأيتام أو حقوق الجيران، بل ترك هذا الأمر للعادات الاجتماعية (٢١٩).

٧. العلاقات الإنسانية في الشنتوية

لا يوجد في الشنتوية مؤسس وتعاليم وأحكام وتشريعات، لذلك لا توجد أي نصوص أو أوامر أو تشريعات فيما يخص الوالدين والأقارب والجيران ورعاية الأيتام، بل ترك الأمر للعادات الاجتماعية التي تحض على السلامة النفسية في التعاملات وعدم إزعاج الكامي وذلك بالنقاء وحسن التعامل في المجتمع (٢٢٠).

٨. العلاقات الإنسانية في السيخية

أ. بر الوالدين وصلة الرحم

لا توجد نصوص في السيخية تخص بر الوالدين ورعايتهم، ولا نصوص تخص واجب صلة الرحم، ولكن ارتبطت علاقات الأسرة وعلاقات الأقارب في السيخية بالعادات والتقاليد الاجتماعية.

ومترجم من: مراجع أكسفورد، أبريل ٢٠٢٤:

<https://www.oxfordbibliographies.com/display/document/obo9780195393521-/obo-9780195393521-0201.xml>

ومترجم من: الموسوعة (الأديان) - الأسرة في البوذية، أبريل ٢٠٢٤:

<https://www.encyclopedia.com/religion/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/family-buddhism-and>

(٢١٩) يُنظر: التاوية في فصل: «حفظ الأمانة وذم الخيانة».

(٢٢٠) يُنظر: الشنتوية في فصل: «حفظ الأمانة وذم الخيانة».

وقد ذمت النصوص المقدسة السيخية من يتعلقون بالمال والثروات وينسون أقاربهم، وذلك كما جاءت ترجمته من كتاب «سري جورو جرانت صاحب»: «يكتسبون الخيول الجميلة والفيلة والعربات المزخرفة من أنواع كثيرة. إنهم لا يفكرون بأي شيء آخر، وينسون كل أقاربهم (٩: ٤٢ - ١٠).

ولكن في نفس الوقت اعتبرت النصوص السيخية المقدسة أن العلاقة مع الله أفضل من العلاقة مع الأقارب وأنهم لن ينفعوا الإنسان في النهاية غافلة على أن بر الوالدين وصلة الرحم ورعاية الأيتام وغيرها من أعمال خير؛ هي من طرق التقرب إلى الله تعالى.

فقد وردت نصوص في «سري جورو جرانت صاحب» تقول إن الله هو الأب والأم وأن الأقارب لن ينفعوا بشيء كما في النصوص التالية:

١. «أنت أبي وأنت أُمي. أنت قريبي، وأنت أخي» (١٣٠: ١٢ - ١٣).
٢. «الأب، والأولاد، والزوج، والأم وجميع الأقارب - لن يكونوا مساعدين لك في النهاية. فتخلصوا من الشر والشر والفساد. اترك هذه وراءك، واجعل روحك تتأمل في الله» (٢٣: ١٦ - ١٧).
٣. «الرغبة الجذابة في الثروات (مايا) تدفع الناس إلى الارتباط عاطفياً بأطفالهم وأقاربهم وأسرهم وأزواجهم. ينخدع العالم وينهب بالثروات والشباب والجشع والأنانية. لقد دمرني عقار الارتباط العاطفي، كما دمر العالم كله. يا حبيبي ليس لي أحد سواك» (٦١: ٩ - ١٠).

ب. التعامل مع الجيران ورعاية الأيتام

لم تأت نصوص واضحة تتحدث عن حقوق الجار في المسيحية، ولكن حسب تعاليم المسيحية يجب أن يعامل جميع البشر بلطف ورحمة سواء كانوا جيرانك أو أي شخص آخر، فقد جاء في «سري جورو جرانث صاحب»: «أظهر اللطف والرحمة لجميع الكائنات، وأدرك أن الرب يسود في كل مكان؛ هذا هو أسلوب حياة الروح المستنيرة. (١٢: ٥٠٨).

ولا توجد أي نصوص في الكتاب المقدس عند السيخ تتحدث عن رعاية الأيتام، وفضل تلك الرعاية، بل تعتمد رعاية الأيتام في المجتمعات المسيحية على التقاليد والعادات الاجتماعية وعلى النصوص التي تحض على مساعدة الآخرين كافة، كما يسمح بتبني الأطفال كسلوك اجتماعي.

٩. العلاقات الإنسانية في اليهودية

أ. بر الوالدين

جاءت بعض النصوص القليلة في العهد القديم تحض على بر الوالدين منها:

١. سفر (الخروج ٢٠: ١٢): «أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ» .

٢. سفر (سفر التثنية ٥: ١٦): «أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ، لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ، وَلِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ» .

٣. سفر الأمثال (٢٢: ٢٣): «اسمع لأبيك الذي ولدك ولا تحتقر أمك إذا شاخت» .

ب. صلة الرحم

جاءت العديد من النصوص تحض على المعاملة الحسنة والطيبة للأقارب، واتسمت هذه النصوص بالعنصرية فنهت عن عمل أفعال بعينها مع الأقارب فيما يعطي تصريحًا بعملها مع غير الأقارب أو مع الأغيار، ومن تلك النصوص:

١. سفر (الخروج ٢٠: ١٦): «لَا تَشْهَدُ عَلَيَّ قَرِيبَكَ شَهَادَةً زُورٍ».
٢. سفر (الخروج ٢٠: ١٧): «لَا تَشْتَهِي بَيْتَ قَرِيبِكَ. لَا تَشْتَهِي امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلَا عَبْدَهُ، وَلَا أُمَّتَهُ، وَلَا نَوْرَهُ، وَلَا حِمَارَهُ، وَلَا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ».
٣. سفر (اللاويين ١٩: ١٣): «لَا تَغْضِبْ قَرِيبَكَ وَلَا تَسْلُبْ، وَلَا تَبِتْ أُجْرَةَ أُجِيرٍ عِنْدَكَ إِلَى الْغَدِ».
٤. سفر (اللاويين ١٩: ١٥): «لَا تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ. لَا تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مَسْكِينٍ وَلَا تَحْتَرِمُ وَجْهَ كَبِيرٍ. بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ لِقَرِيبِكَ».
٥. سفر (اللاويين ١٩: ١٨): «لَا تَتَّقِمُ وَلَا تَحْقِدُ عَلَيَّ أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ».

ويلاحظ أن النصوص السابقة جاءت في صور النهي، ولم تأت أوامر ترغب في أعمال صلة الرحم وتظهر فضلها، كذلك لم تأت أوامر بصلة الرحم للأقارب مثل العم والعمة والخال والخالة وأسرههم، كذلك جاءت كلها فيما يخص اليهود كعنصر وشعب، لا غيرهم.

ج. التعامل مع الجيران

لم تأت وصايا على الجار في العهد القديم إلا نصًا وحيدًا في سفر (الأمثال ٢٧: ١٠): «لَا تَتْرُكْ صَدِيقَكَ وَصَدِيقَ أَبِيكَ، وَلَا تَدْخُلْ بَيْتَ أَخِيكَ فِي يَوْمِ بَلِيَّتِكَ. الْجَارُ الْقَرِيبُ خَيْرٌ مِنَ الْأَخِ الْبَعِيدِ»

والنص لا يحتوي توصية على الجار، بل ما يظهر منه هو الاعتماد على النفعية من الجار القريب التي تفوق نفعية الأخ البعيد.

د. رعاية الأيتام

وردت العديد من النصوص في العهد القديم تأمر بالإحسان إلى اليتيم، والنهي عن الإساءة إليه، ومن هذه النصوص:

١. ما جاء في سفر (الخروج ٢٢: ٢٢-٢٣): «لا تسئ إلى أرملة ما، ولا يتييم، إن أسأت إليه، فإني إن صرخ إليّ أسمع صراخه».

٢. وفي وصف الآلهة الباطلة في سفر (نبؤة باروخ): «لا ترحم أرملة، ولا تحسن إلى يتييم». والمعنى أن الآلهة الباطلة لا تعتني بالأرامل والأيتام».

٣. في سفر (الأمثال ٣١: ٨): «افتح فمك لأجل الأخرس في دعوى كل يتييم».

٤. جاء مدح الله في سفر (التثنية ١٠: ١٨): «الصانع حق اليتيم، والأرملة، والمحب الغريب؛ ليعطيه طعامًا ولباسًا».

٥. في سفر (إشعيا ١٧: ١): «تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقتصوا لليتييم، حاموا عن الأرملة».

٦. في سفر (التثنية ٢٧: ١٩): «ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة. ويقول جميع الشعب: آمين».

ويظهر النص الأخير أن هناك حقًا لليتييم والأرملة يفصل هذا الحق في العديد من النصوص، فنجده في موسم الحصاد وغيرها.

١٠. العلاقات الإنسانية في النصرانية

أ. بر الوالدين

إضافة إلى النصوص الواردة في العهد القديم، جاءت بعض النصوص القليلة في العهد القديم تحض على بر الوالدين منها:

١. (الرسالة إلى أفسس ٦: ١-٣): «أَيُّهَا الْوَالِدُ، أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي الرَّبِّ لِأَنَّ هَذَا حَقٌّ، «أَكْرِمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طَوَالَ الْأَعْمَارِ عَلَى الْأَرْضِ».

ولكن يروي لنا العهد الجديد موقفين للمسيح عليه السلام مع أمه السيدة مريم يتطرق الشك لصحتهما نظرًا لما فيهما من غلظة وسوء أدب مع الأم؛ والنصان هما:

١. إنجيل (يوحنا ٢: ٣-٤): «وَلَمَّا فَرَعَتِ الْخَمْرُ، قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: «لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ»، قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلكِ يَا امْرَأَةً؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ».

٢. إنجيل (يوحنا ١٩: ٢٦): «وَرَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَإِلَى جَانِبِهَا التِّلْمِيذَ الْحَبِيبُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِأُمَّهُ: «يَا امْرَأَةً، هَذَا ابْنُكَ».

ففي النصين ينادي لمسيح عليه السلام أمه بلفظ «امرأة»، وفي النص الأول يقول لها مالي ومالك. ولا توجد أي نصوص في العهد الجديد تُظهر بر المسيح بأمه، وكذلك لم تحتو الكتب النصرانية المعتمدة على سيرتها بعد المسيح عليه السلام.

ب. صلة الرحم

لا توجد أي نصوص في العهد الجديد تخص الأقارب وتحث على صلة الرحم وفضلها، إلا النص الوحيد في رسالة (يعقوب ٢: ٨): «فَإِنْ كُنْتُمْ تُكْمَلُونَ النَّامُوسَ الْمُلوَكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». فَحَسَنًا تَفْعَلُونَ»

فلا توجد أي أقوال منسوبة للمسيح عليه السلام عن الأقارب وصلة الرحم.

ج. التعامل مع الجيران

لم تأت وصايا على الجار في العهد القديم إلا نصًا وحيثًا في سفر (الأمثال ٢٧: ١٠): «لَا تَتْرُكْ صَدِيقَكَ وَصَدِيقَ أَبِيكَ، وَلَا تَدْخُلْ بَيْتَ أَخِيكَ فِي يَوْمِ بَلِيَّتِكَ. الْجَارُ الْقَرِيبُ خَيْرٌ مِنَ الْأَخِ الْبَعِيدِ».

والنص لا يحتوي توصية على الجار، بل ما يظهر منه هو الاعتماد على النفعية من الجار القريب التي تفوق نفعية الأخ البعيد.

د. رعاية الأيتام

العهد الجديد لم يذكر أحكامًا خاصة باليتامى، تُبين حقوقهم المادية والمعنوية، بل كل ما جاء في هذا المضمار هو النص في (رسالة يعقوب ١: ٢٧): «الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب، هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم». والنص السابق لم يأت ضمن نصوص الأناجيل ويُنسب قوله للمسيح عليه السلام.

والسبب في ذلك: أن العهد الجديد استقى معظم قوانينه وتشريعاته من العهد القديم، وخاصة من التوراة، وقد صرح المسيح نفسه بقوله في إنجيل (متى ٥: ١٧ - ١٨): «لا تظنوا أنني جئتُ لأنقض الناموس، أو الأنبياء ما جئتُ لأنقض، بل لأكمل، فإنني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل».

١١. العلاقات الإنسانية في الإسلام

الإسلام شريعة متكاملة لم تترك خيرًا إلا وأوصت به ولم تترك شرًا إلا

ونَهت عنه.

أ. بر الوالدين

تشكل حقوق الوالدين في الرسالة الإسلامية بكل ما يرتبط بها من أمور تابعة لها، أو مترتبة عليها قضية إنسانية مهمة، بل جعلت منها محورا رئيسا وأساسا متينا، في العلاقات البينية في الأسرة المسلمة، وعدتها من أفضل الأعمال التي يقوم بها المسلم بعد عبادة الله عز وجل، فقال عز من قائل في محكم كتابه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفي المقابل اعتبر عقوق الوالدين، والإساءة إليهما، كبيرة من أكبر الكبائر، بل قرنها مع الإشراف بالله وقاتل النفس، ورتب عليها أشد الجزاء، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (أكبر الكبائر الإشراف بالله، وقاتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال: وشهادة الزور) (٢٢١).

وتأكيدا لحقهما جعل الله - عز وجل - شكره قرينا لشكر الوالدين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِضْلُهُ فِي غَمِّينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]، وفي جعل الشكر لهما مقترنا بالشكر لله دلالة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدّها وجوبا. وعكس ذلك فقد جعل الله عز وجل الشرك قرين العقوق لهما، كما جاء في الحديث السابق عن رسول الله ﷺ. ولقد نهى الله عز وجل عن نهرهما بأدنى الكلمات، وهي (أف)، في قوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ونقل السيوطي عن الديلمي أن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لو علم الله شيئاً من العقوق أدنى من (أف) لحرمه» (٢٢٢). ولقد أتى بر الوالدين في المرتبة الثانية بعد الصلاة، في محبة الله، لما رواه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها، قال: ثم أي، قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي، قال: الجهاد في سبيل الله» (٢٢٣).

والوالدان هما مفتاح الجنة للابن، فبرهما يدخل الجنة وبخاصة من أدرك أبويه عند الكبر، لما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة» (٢٢٤).

ولقد قدم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برهما على الجهاد في سبيل الله، الذي هو ذروة سنام الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد» (٢٢٥).

فتلك أمثلة قليلة مختصرة عن التشريع الإسلامي السمح فيما يخص الوالدين وبرهما.

(٢٢٢) الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ: (٥/٢٥٨).

(٢٢٣) صحيح البخاري، ٥٩٧٠.

(٢٢٤) صحيح مسلم، ٦٥١١.

(٢٢٥) صحيح البخاري، ٣٠٠٤.

ب. صلة الرحم

صلة الرحم تعني الإحسان إلى الأقربين وإيصال ما أمكن من الخير إليهم ودفع ما أمكن من الشر عنهم. وقطيعة الرحم تعني عدم الإحسان إلى الأقارب، وقيل بل هي الإساءة إليهم، وصلة الأرحام واجبة في الجملة، وقطعها حرام، والأدلة على ذلك:

أولاً: من الكتاب

١. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]
٢. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]
٣. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

ثانياً: من السنة

١. عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «الرَّحِمُ شِجْنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ» (٢٢٦).
٢. عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ، يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكَ» (٢٢٧).

(٢٢٦) صحيح البخاري، ٥٩٨٨، ومسلم ٢٥٥٤. وشجنة، أي: شعبة متصلة.

(٢٢٧) صحيح البخاري، ٥٩٨٧.

٣. قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (٢٢٨).

٤. عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَّهَا» (٢٢٩)، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِصِلَةِ قَاطِعِ الرَّحِمِ، وَقَاطِعِ الرَّحِمِ فَاسِقٌ، وَقَدْ أَمَرَ بِصِلَتِهِ، وَجُعِلَتْ هِيَ الصَّلَةُ الْمَطْلُوبَةُ شَرَعًا.

٥. عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ جَهَارًا غَيْرَ سِرًّا: إِنَّ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ سَأَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا» (٢٣٠)، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ هُمُ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالصَّلَاحِ، وَأَنَّ ذَوِي الْأَرْحَامِ يُوَصَّلُونَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانُوا.

ج. التعامل مع الجيران

أوصت التعاليم الإسلامية بحسن معاملة الجار سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، ومنحت حقوقًا وواجبات على المسلم تجاه جيرانه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

(٢٢٨) صحيح البخاري، ٦١٣٨.

(٢٢٩) صحيح البخاري، ٥٩٩١.

(٢٣٠) صحيح البخاري، ٥٩٩٠.

وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» (٢٣١)، كما قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (٢٣٢).

وقد نهى رسول الله عن إيذاء الجار، فقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» (٢٣٣).

كما قال ﷺ: «ما زال يُوصيني جبريلُ بالجارِ، حتَّى ظننتُ أنه سيُورثُهُ» (٢٣٤).

فتلك جوانب مختصرة فيما يخص وصايا التعاليم الإسلامية بحسن التعامل مع الجار وتأدية حقوقه والبعد عن كل ما يؤذيه.

د. رعاية الأيتام

حث الإسلام على توفير الرعاية والعناية باليتامى، وغمرهم بالحب والمودة والسكينة، فكان الإسلام أكثر الأديان تأكيداً وتشريعاً لحقوق اليتيم، والحث على رعايته، والإحسان إليه، حتى صار ذلك مظهرًا عظيمًا من مظاهر الرقي الحضاري الذي بدأ مع اللحظات الأولى التي تنزلت فيها آيات القرآن الكريم، ليشع نورها في العالمين، على يد النبي اليتيم محمد ﷺ، فكان في ذلك بعثًا للأمل لكل يتيم أن يبدع ويتحدى العوائق، ويتجاوزها إلى كثير من النجاحات العظيمة التي تنتظره، وصارت لنا روائع وسجلًا حافلًا في رعاية الأيتام.

(٢٣١) صحيح البخاري، ٦٠١٨.

(٢٣٢) الترمذي، ١٩٤٤؛ والسلسلة الصحيحة، الألباني، ١٠٣.

(٢٣٣) صحيح البخاري، ٦٠١٦.

(٢٣٤) صحيح البخاري، ٦٠١٤.

وقد تجلّى ذلك في الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الكثيرة التي تحث على ضرورة الاهتمام بهم ورعايتهم، ومنها: قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول النبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» (٢٣٥)، وقال ﷺ: «اللهم إني أحرص حق الضعيفين: اليتيم والمرأة» (٢٣٦).

ويمكن بيان بعض من الوصايا الإسلامية لرعاية اليتيم في النقاط التالية:

١. حق النفقة:

يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ويقول تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد تدرج التشريع الإسلامي في مسألة الإنفاق على اليتامى، فإن كان هؤلاء اليتامى ذوي مال فلينفق عليهم ولي الأمر من مالهم، وإن لم يكن لهم مال لزم الإنفاق على العصبه، كالأجداد والأعمام... إلخ؛ وذلك لأن هؤلاء جميعاً لما كان لهم حق الميراث، كان عليهم حق النفقة، بل والكفالة أيضاً، وفي حالة فقر العصبه، وجب على الإمام القيام به من بيت مال المسلمين، فإن لم يفعل الإمام، وجب ذلك على المسلمين، الأخص بهم، فالأخص (٢٣٧).

(٢٣٥) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٥).

(٢٣٦) أخرجه ابن ماجه برقم: (٣٦٧٨)، وحسنه الألباني.

(٢٣٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م: (٣/ ١٦٨).

٢. حق الإطعام:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٢ - ١٦]، ويقول تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ * الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، فهذه الآيات تحثُّ على إطعام اليتيم (في كل حين، وليس في أوقات معينة، كما في العهد القديم عند اليهود، كما سبق ذكره) وجعلت ذلك من الأعمال العظيمة التي هي سبب لدخول الجنة.

وإنما اقتصر الإطعام على هذه الفئات الثلاث؛ لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم، فإن المسكين عاجزٌ عن الاكتساب لما يكفيه، واليتيم مات من يعوله، ويكتسب له، مع نهاية عجزه بصغره، والأسير لا يملك لنفسه نصراً، ولا حيلةً (٢٣٨).

وقد يدخل اليتيم تحت مسمى الفقير والمسكين، فيكون له مثل نصيبهما في الصدقات، وفي الزكاة.

٣. كفالة اليتيم:

حثَّ الإسلام على كفالة اليتيم، ورتب عليها الأجر العظيم، وهو دخول الجنة، والقرب من النبي ﷺ، حيث يقول: «كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى (٢٣٩).

ولعل الحكمة في كون كافل اليتيم يُشبه في دخول الجنة، أو شَبَّهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي، أو منزلة النبي ﷺ؛ لكون النبي شأنه أن يُبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم، فيكون كافلاً لهم، ومعلماً ومرشداً، وكذلك كافل اليتيم

(٢٣٨) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ: (٩/ ٣٧٥).

(٢٣٩) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٣).

يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه، بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه، ويحسن أدبه، فظهرت مناسبة ذلك (٢٤٠).

يقول النووي رَحِمَهُ اللهُ: «كافل اليتيم القائم بأمره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية، وغير ذلك، وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه، أو من مال اليتيم بولاية شرعية» (٢٤١).

وقوله: «له أو لغيره» أي: يكون قريباً له كجدّه، وأمّه، وجدته، وأخيه، وأخته، وعمه، وخاله، وعمته، وخالته، وغيرهم من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبياً.

٤. حفظ ماله:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وهكذا جاء هذا النهي في القرآن الكريم مرتين وبنفس الصيغة تأكيداً على حق اليتيم في حفظ ماله من الضياع، وعدم التعدي عليه، وأيضاً جاء ذلك في سياق الكلام على ما يسميه المفسرون بالوصايا أو المحكمات العشر.

كما جاء وعيد شديد من الله تعالى لمن يأكلون أموال اليتامى ظلماً، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]

(٢٤٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: (١٠ / ٤٣٧).

(٢٤١) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، م سابق: (١٨ / ١١٣).

خاتمة الفصل الأول:

نلخص هنا للمقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. حضت المصادر الهندوسية في تعاليمها على بر الوالدين، وأشارت باقتضاب إلى أهمية صلة الأرحام وإلى دعوة الجار للولائم، ولكنها لم تبدي أي اهتمام بالأيتام أو تحض على رعايتهم إلا نصاً يوصي الملك بحفظ إرثه، كذلك أشارت المصادر الهندوسية إلى تبني الذكور منهم لمن فقد إنجاب الذكور، ولم تُشر إلى الفتيات من الأيتام. يتضح منذ ذلك أن أحكام المصادر الهندوسية لا تكفي لناء مجتمع يتميز بعلاقات إنسانية متينة على كافة المستويات والأصعدة البشرية التي يحتاجها المجتمع.
٢. المصادر الزرادشتية القديمة لا تحتوي على أحكام وتشريعات تخص العلاقات الإنسانية، أو ربما فقدت تلك التعاليم نتيجة لفقدان الكتاب المقدس عند الزرادشت عدة مرات، حتى أن أقدم مخطوطة يعتمد عليها الآن تعود للقرن الرابع عشر الميلادي أي بعد نشأة الزرادشتية بحوالي ٢٠٠٠ عام، ولا تحتوي المخطوطة إلا على أجزاء مما بقي من كتابهم.
٣. بعض الديانات لم تتعرض للعلاقات الاجتماعية فاتخذ اتباعها العرف الاجتماعي في بلادهم منهجاً لهم نتيجة للقصور التشريعي في مصادرهم المقدسة وذلك مثل الجينية والشتوية والتاوية والسيخية. يؤدي هذا القصور التشريعي في تقدير أي ناظر للديانة أن تلك الديانات لا تملك حلاً ولا تقدم مشاركة على مستوى القيم والأفكار لكي تساعد وتحسن مستوى العلاقات الإنسانية في مجتمعاتها.

٤. لا توجد في البوذية نصوص مقدسة تحض على بر الوالدين ولا على الترابط الأسري، والتعاليم اللاحقة للبوذية أهملت بر الوالدين وكانت ضد ترابط الأسرة، فقد ترك بوذا أسرته ليتسك في الغابات فأصبح قدوة ومثالاً. كذلك لا توجد نصوص في البوذية تخص الأيتام ورعايتهم. بذلك فإن هناك قصور كبير في الجانب الاجتماعي والعلاقات الإنسانية في المصادر البوذية المقدسة، مما يعيق بناء مجتمع مترابط.

٥. نظرًا لاهتمام الكونفوشيوسية بكثير من الفضائل الأخلاقية، فقد حثت على بر الوالدين واحترام الأقارب والجيران، ولكنها لم تشر أي إشارة إلى الأيتام ورعايتهم. لذلك فإن الفكرة الشهيرة بأن الكونفوشيوسية نظام أخلاقي متكامل، هي فكرة هشة، فالكونفوشيوسية عالجت فقط بعض المشاكل الأخلاقية، ولكنها تركت البعض الآخر للأهواء الشخصية والأعراف الاجتماعية.

٦. حثت النصوص اليهودية على بر الوالدين والأقارب ورعاية الأيتام، ولم توص بالجار بل ذكرت أن الجار القريب نفعه أفضل من الأخ البعيد.

٧. جاء نص وحيد في العهد الجديد للنصارى يحث على بر الوالدين، بينما لم تأت أي نصوص تخص صلة الرحم أو رعاية الأيتام أو الإحسان إلى الجار، واعتمدت المواعظ النصرانية الخاصة بذلك على نصوص الكتاب المقدس اليهودي (العهد القديم) الذي يعتبرونه مقدسًا وموحي به من الله، وملزما في كثير من أحكامه لهم (لم يلتزموا بأحكام العهد القديم في الختان، وأكل الخنزير، والطلاق... إلخ).

٨. جاءت العديد من النصوص والأحكام في الإسلام تحض على بر الوالدين وتبين الفضل الكبير لهذا العمل، كما وردت العديد من النصوص تخص صلة الرحم وترغب فيه، والعديد من النصوص تخص رعاية الأيتام ومنزلة القائم برعايتهم، والعديد من النصوص التي تخص الإحسان إلى الجار.

الملاحظ أنه لا توجد مقارنة بين اهتمام التشريعات الدينية المختلفة وتشريعات الإسلام فيما يخص العلاقات الإنسانية، فلم يترك الإسلام أي عمل يقوم على تقوية الروابط الاجتماعية وعلى التراحم والمودة إلا أمر به، ولم يترك أمرًا يؤدي إلى الفرقة أو الكراهية بين أفراد المجتمع إلا ونهى عنه، حتى أن الإسلام تميز عن اليهودية بالبعد عن عنصرية اليهود واعتبار نسلهم هو النسل الأنقى والمحبب لله تعالى، وكذلك تميز الإسلام بالبعد عن تعاليم الكهنوت النصراني باعتبار أن رجال الكهنوت طبقة عالية مختلفة عن باقي الشعب.



تمهيد الفصل الثاني

مكانة المرأة في الأديان هي قضية من القضايا التي تحظى باهتمام واسع من النساء خاصة ومن الجمعيات والمؤسسات المدنية نظرًا لأنها تخص ما يقرب من نصف المجتمعات، بالإضافة إلى انتقاص وضع المرأة في العديد من الأديان وتعرضها للظلم والاضطهاد.

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: "هل أولت كل الأديان العناية الكافية بالمرأة ومنحتها التشريعات الكافية لما يناسب ظروفها، وبما يتناسب مع متطلبات الأسرة والمجتمع بوجه عام؟"، ولماذا أكثر دول العالم المتحضر يسعون لإيجاد تشريعات تُسدّ هذا الاحتياج والمطلب البشري الضروري؟ فهل خلت مصادر العديد من الأديان من التشريعات المناسبة للمرأة بوجه خاص وللمجتمع بوجه عام؟

نقدم فيما يلي عرضًا عن موقف الأديان من المرأة وقضاياها مثل مكانتها في التشريعات وأحكام الميراث وغيرها من أمور من المصادر المعتمدة عند الديانات.



❖ الفصل الثاني: مكانة المرأة في الأديان

مكانة المرأة في الأديان هي قضية من القضايا التي تحظى باهتمام واسع من النساء خاصة ومن الجمعيات والمؤسسات المدنية نظرًا لأنها تخص ما يقرب من نصف المجتمعات، بالإضافة إلى انتقاص وضع المرأة في العديد من الأديان وتعرضها للظلم والاضطهاد. فيما يلي نستعرض موقف الأديان من المرأة وقضاياها مثل مكانتها في التشريعات وأحكام الميراث وغيرها من أمور.

١. مكانة المرأة في الهندوسية

كتب جوستاف لوبون: «لا تجد كتابًا أقسى على النساء من كتب الهندوس، والهندوس لا يختلفون عن بقية الشرقيين في النظر إليهن، فالنساء عندهم مخلوقات ناعمات، ولكنهن متأخرات متقلبات يجب حجُّهنَّ لنيل وفائهن، وما صدر عن المشرع الرزين مَنُو، الذي تسود شريعته الهند منذ ألفي سنة فنقلنا بعضه مع بعض ما صدر عن علماء كثيرين ظهروا بعده بعدة قرون، يُثبت عدم تبدل رأي الهندوس في ذلك أصلًا» (٢٤٢).

أ. وصايا الزوج والابناء للعناية بالمرأة:

بالرغم من أن التشريع الهندوسي حرم المرأة من كثير من الأمور وحط من درجتها إلا أنه أوصى على العناية بها وإعطائها الكثير من الحقوق والرعاية، وذلك كما في النصوص التالية:

- **شرائع مانو (٣: ٥٥):** على أب الامرأة وأخيها وزوجها وإخوان زوجها توقيرها وتعظيمها. (٥٦) حيث تكون المرأة مبدجلة ومعظمة، تكون الآلهة هناك مسرورة، وحيث لا تكون كذلك، تكون الأعمال الدينية من عبادات

وتقدمات وغيرها عقيمة لا تثمر. (٥٧) إن الأسرة التي تعيش فيها المرأة معذبة، تفنى سريعاً. على الضد من الأسرة التي تكون فيها المرأة مسرورة، فإنها تزدهر وتحيا.

• **شرائع مانو (٧٥ : ٩):** على الرجل الذي تضطره أعماله إلى الأسفار أن يترك لزوجته قبل السفر مؤونة ما تحتاج إليه مدة غيابه لأن المرأة مهما كانت طاهرة ونقية تهوى وتضل إذا أعوزها الرزق.

• **شرائع مانو (٧٨ : ٩):** على الرجل أن يحتمل زوجته التي تكرهه سنة واحدة فلئن ثابت بعدها إلى رشدتها فهي نعمت، وإلا فله أن يجردها من كل أموالها ويمتنع عن اقترابها.

• **شرائع مانو (٦ : ٩):** إن حفظ الزوجة هو أعظم فرض على كل الفرق لذلك يجب على الرجل مهما كان ضعيفاً ألا يقصر في حفظها.

ب. وصايا للزوجة:

• **شرائع مانو (١٤٧ : ٥):** يجب على المرأة وهي صغيرة أو شابة أو مسنة ألا تعمل عملاً ولو في دارها بمطلق إرادتها وحريتها. (١٤٨) بل يجب أن تكون في صغرها تابعة لأبيها، وفي صباها لزوجها، وإذا مات زوجها فلائنها. ولا تكون المرأة مطلقة الحرية قط.

• **شرائع مانو (١٥٤ : ٥):** فعلى المرأة المخلصة أن تحترم زوجها كالله ولو كان عاريًا من كل فضيلة وكان يميل إلى غيرها.

• **شرائع مانو (١٥٦ : ٥):** إن المرأة المخلصة التي تريد أن تتمتع بقرب زوجها منها بعد الموت، عليها ألا تفعل ما يمقته أو يغضبه سواء كان حياً أو ميتاً....

ج. جوانب سلبية للمرأة:

لا تمثل المرأة أي دور، وهي لا تصبح ذات شأن إلا بعد أن تصير أمًّا، فحينئذ تُحترم ولو ترملت (٢٤٣).

١. ميراث المرأة

١. منعت الهندوسية المرأة من أن ترث زوجها المتوفي، بل جعلت الميراث كله يؤول للأبناء وعلى الأبناء أن ينفقوا عليها. كما جعلت ميراث الابنة هو ربع ميراث أخوتها الذكور، وذلك حسب الفصل التاسع من **شرائع مانو**.

٢. أوصت الهندوسية بضرب الزوجات والابناء للتأديب:

شرائع مانو (٨: ٢٩٩): لا حرج بضرب الزوجة والابن والغلام والتلميذ والأخ الصغير بحبل أو قضيب من الخيزران إذا أذنبوا لتأديبهم. (٣٠٠) وليكن الضرب على الظهر فقط لا على الأعضاء الشريفة. ومن يفعل ذلك يرتكب إثم اللص.

٣. منعت الهندوسية تملك المرأة، وجعلت ما تكتسبه يؤول للزوج:

شرائع مانو (٨: ٤١٥): لا ملكية للزوجة ولا للابن ولا للغلام، بل كل ما يكسبونه هو ملك لمن يتمون إليه.

٤. لا تقبل شهادة النساء في الهندوسية:

شرائع مانو (٨: ٧٧): تقبل شهادة رجل قنوع ولا تقبل شهادة عدد من

النساء، ولو كنّ طاهرات.

٥. أعطت الهندوسية أحكامًا مبالغًا فيها للمرأة التي تعصي زوجها:

شرائع مانو (٨: ٣٧٠): إذا أبت الزوجة أن تقوم بما عليها لزوجها من الواجبات الزوجية مدفوعة بالغرور والفخر بأسرتها أو بجمالها، فعلى الملك أن يجعل الكلاب تفترسها على مشهد من جماعة من الناس.

٦. أعطت الهندوسية للرجل حق طلاق المرأة إن كانت مريضة:

شرائع مانو (٩: ٧٢): يحق للرجل أن يطلق زوجته إذا ظهر له فيها عيب أو مرض أو أنها غير بكر أو أنها أعطيت له بخدعة.

٧. أوصت الهندوسية بمراقبة النساء والحد من حريتهن:

شرائع مانو (٩: ٢): يجب أن تكون المرأة ليلاً ونهاراً تحت إمرة رجال أسرتها، ويجب أن توضع تحت مراقبة واحد منهم إذا ما لوحظ منها ميل إلى الأهواء. (٣) لا تليق الحرية المطلقة بالمرأة قط.

٨. أوصت الهندوسية بالابتعاد عن الزوجة في وقت الحيض

شرائع مانو (٤: ٤٠): وعليه ألا يقترب من زوجته عند ظهور دم الحيض مهما غلبت عليه شهوته، وألا ينام معها في فراش واحد.

٢. مكانة المرأة في الزرادشتية (المجوسية)

أ. افتقاد النصوص المقدسة

نظراً لفقدان كتب الزرادشتية أكثر من مرة (الأفستا) وإعادة تدوينها فإنه لا توجد نصوص بسند متصل تخص التشريعات في الزرادشتية فيما يخص المرأة، وميراثها ووضعها، ولكن يتم الرجوع إلى القوانين التي وضعها رجال الدين بعد زرادشت بأكثر من ألف عام، كما أن هناك كثيراً من وجهات النظر والآراء المتناقضة حول المرأة بصفة عامة.

ب. الاهتمام بالأسرة وبتماسكها

اهتمت الزرادشتية بالأسرة وبتماسكها، واعتبر تكوين وإنشاء الأسرة واجباً مقدساً، فالحياة المثلى للمؤمن في هذه الدنيا - بحسب الزرادشتية - هي بناء بيت، وإنشاء أسرة، حيث الزوج والزوجة والأولاد. وقد دعت الزرادشتية إلى حسن معاملة المرأة، وإكرامها ومعاشرتها باللطف والمودة، وسنت القوانين والشرائع التي تحميها وتحافظ على حقوقها فكان يحق لها أن تمتلك المال والعقار، وتتصرف بها في أمور البيع والشراء.

ج. تعدد الزوجات والقوامة والطلاق

يستطيع الرجل المقتدر اتخاذ أكثر من زوجة، وكان المضيق عليهم في الرزق يتخذون بوجه عام زوجة واحدة، وكان الرجل هو رب البيت ورئيس الأسرة وتسمى الزوجة الأولى، الزوجة الرئيسة، وهي الزوجة بالمعنى الكامل، ويطلق عليها ربة البيت. والطلاق ميسر ومسموح به، وكان الرجل ملزماً بأن يرد إلى زوجته التي طلقها، ما أخذ من مالها الخاص، وحين يتم الطلاق برضا الزوجة، لا يكون لها الحق في المطالبة بالأموال التي كان الزوج قد منحها لها أثناء الزواج.

د. الجوانب السلبية فيما يخص المرأة

اتسمت الزرادشتية بجوانب سلبية تخص المرأة منها أنها تورث كالممتاع، وأنه ليست لها سلطة على ممتلكاتها، وفيما يلي أبرز هذه السلبيات:

١. للرجال سلطة على ممتلكات المرأة ولم يكن للمرأة حق التصرف بأموالها دون موافقة زوجها.

٢. إذا أراد الرجل أن يقول لزوجته: «من الآن أنت حرة وباختيارك»، كانت الزوجة لها حق البقاء في بيت زوجها، باكتسابها صفة المرأة الخادمة، وتقوم باختيار زوج آخر وكل الأولاد الذين يولدون من الزوج الثاني يكونون أولادًا للزوج الأول. كما كان للزوج حق إهداء زوجته الكبرى أو إحدى زوجاته لرجل آخر ليستفيد من خدماتها، وجميع الأبناء الذين يولدون يكونون أولادًا للرجل الأول.

٣. إذا مات رجل ولم يخلف ولدًا، وكان قبل وفاته لديه زوجة، كان من العادات أن تمنح الزوجة لأقرب قريب للرجل، وإذا لم يكن له زوجة؛ فتعطى ابنته لأحد من أقرب الأقرباء للرجل المتوفي، وإن لم يكن له زوجة أو بنت يأخذون من ماله فيزوجون اثنين من الأقارب. وفي كل الحالات السابقة يُنسب الأبناء للرجل المتوفي. اعتقادًا أن الأولاد سيكونون له سندًا في الآخرة (تأثرًا بالديانة الهندوسية) (٢٤٤).

٤. اعتبرت المرأة نجسة طبقًا للأفستا ويجب الابتعاد عنها في فترات الحيض والنفاس فقد جاء في الافیستا (فینداد - فارکاد ١٦)، ما يلي:

(١) يا خالق العالم الدنيوي، أيها المقدس، إذا كان في بيت أحد عباد مازدا امرأة وهي في حالة سيلان أبيض أو أتاه الحيض ورأت الدم، فماذا يفعل عباد «مازدا»؟

(٢) أجاب أهوررامزدا: «يجب عليهم تنظيف الدرب إلى الغابة من النباتات والأشجار، ونثر التراب الجاف على الأرض، وعزل نصف، أو ثلث، أو ربع، أو خمس جزء المنزل لئلا يقع نظرها على النار... ٥. لم تتحدث النصوص الزرادشتية (الباقية) عن ميراث المرأة والميراث عمومًا.

(٢٤٤) يُنظر: زرادشت والزرادشتية، م سابق، ص ٦٨-٧٠؛ وترجمة: الموسوعة الإيرانية: قوانين الأسرة، والمرأة في الأفیستا، (أبريل ٢٠٢٤):

٣. مكانة المرأة في الجينية (اليانية)

أ. خلو الجينية من التشريعات

لا تحتوي كتب الجينية المقدسة على تشريعات تخص المرأة بصفة عامة.

ب. التفاوت الروحي مع الرجل

على الرغم من أن الجينية مكرسة من نواح كثيرة للمساواة، إلا أن أنوثة المرأة بالنسبة لبعض الطوائف الجينية تخلق عدم مساواة روحية، فتعتقد طائفة ديجامبارا (إحدى الفرقتين الرئيسيتين في الجينية) أن النساء لا يمكنهن تحقيق التحرر أو الخلاص دون أن يولدن من جديد كرجال أولاً. ولا توافق طائفة سويتامبارا على هذا الرأي.

تتبنى طائفة ديجامبارا هذا الرأي لأنهم يعتقدون أن العري عنصر أساسي في طريق التحرير أو الخلاص. وبما أنه لا يُسمح للنساء بالتعري الكامل في الأماكن العامة، فلا يمكنهن تحقيق الخلاص بشكل مباشر، وبالتالي يُنظر إليهن على أنهن مواطنات من الدرجة الثانية.

كما تعتقد طائفة ديجامبارا أن النساء بطبيعتهن هيمسي (ضارة). يأتي هذا من الاعتقاد بأن دم الحيض يقتل الكائنات الحية الدقيقة التي تعيش في جسد الأنثى وهذا يعني أن الأنثى ضارة ومؤذية بطبيعتها للكائنات الدقيقة، كذلك تقول بعض نصوص الجينية أن دم الحيض هو علامة على النجاسة، فيتوقع من المرأة الحائض الخلود للراحة وعدم أداء أي واجبات دينية لمدة أربعة أيام، وكذلك عدم تحضير الطعام أو تقديمه في هذا الوقت (٢٤٥).

(٢٤٥) يُنظر ترجمة: المرأة في الجينية، والقانون الجيني القديم:

(A): Prācyā 2020, Vol. 12, Issue 1 - Female body, nudity and shame in Jainism: A feminist viewpoint - Author(s): Dr. Rizia Begum Laskar.

(B): <https://www.pracyajournal.com/article/249-12-1-12/92.pdf>

ج. حق المرأة في الميراث

لم تعط الجينية الفتاة من ميراث أبيها أو أمها، وكذلك لم تعط أرملة المتوفي من الميراث تأثرًا بالهندوسية التي نشأت منها.

٤. مكانة المرأة في الكونفوشيوسية

أ. خلو الكونفوشيوسية من التشريعات

خلت الكونفوشيوسية من التشريعات واهتمت فقط بالأخلاق وأسلوب الحكم، لذلك لا توجد تشريعات تخص المرأة، بل سُنت القوانين بناءً على العادات والتقاليد الدارجة في المجتمع الصيني.

ب. حديث كونفوشيوس عن المرأة

كان لدى كونفوشيوس القليل جدًا ليقوله عن أدوار المرأة في الأسرة أو في المجتمع، وترك للعلماء الكونفوشيوسيين تطبيق المبادئ التي أعلنها كونفوشيوس ومينشيوس (أحد تلامذة كونفوشيوس ومن مؤسسي الديانة) لمهمة وصف الأدوار والمعايير السلوكية للمرأة في الأسرة والمجتمع الكونفوشيوسي. وقد وقع على عاتق هؤلاء العلماء أيضًا مهمة تبرير تعليم المرأة.

النص الكونفوشيوسي الرئيسي (حوارات كونفوشيوس)، لديه القليل ليقوله عن النساء؛ حيث تقول إحدى المقاطع: «إن التعامل مع النساء والخدم هو الأكثر صعوبة؛ فإذا كنت قريبًا منهم، فإنهم يسيئون إليك، بينما إذا كنت بعيدًا، فإنهم يهتمونك ظلمًا» [حوارات ١٧: ٢٥].

ج. المرأة في المجتمع الصيني القديم (٢٤٦)

في المجتمع الصيني التقليدي بوجه عام، كان يجب على النساء مراعاة الفضائل الأربع:

- يجب أن تكون المرأة مطيعة للأب.
- يجب أن تكون المرأة مطيعة للإخوة الأكبر في الصغر.
- يجب أن تكون المرأة مطيعة للزوج عند الزواج.
- يجب أن تكون المرأة مطيعة للأبناء عندما تصبح أرملة.

وهكذا كان الرجال يسيطرون على النساء الصينيات ويهيمنون عليهن من المهد إلى اللحد.

د. ضعف المرأة في الصين والمجتمع الكونفوشيوسي

بالنسبة للغالبية العظمى من النساء الصينيات، فقد كان الانتماء إلى منزل ما هو الوسيلة الوحيدة للبقاء الاقتصادي، ولم يكن لهن الحق في اختيار الزوج، ناهيك عن الحق في الطلاق أو الزواج مرة أخرى إذا كانت أرملة. وتكمن الأهمية الوظيفية التقليدية لجميع النساء في الصين في دورهن الإنجابي، وقد اتخذت هذه الوظيفة الإنجابية شكل إعادة ذرية ذكور. وبما أن النسب كان أبويًا، فإن مكانة المرأة داخل أسرتها المولودة كانت مؤقتة وليست ذات أهمية كبيرة.

(٢٤٦) يُنظر ترجمة: حقائق وتفاصيل، (أبريل ٢٠٢٤):

<https://factsanddetails.com/china/cat3/sub9/entry5562-.html>

نقلًا عن جامعة كولومبيا، الولايات المتحدة:

(A) Text Sources: Robert Eno, Indiana University; Asia for Educators, Columbia University afe.easia.columbia.edu ; University of Washington's Visual Sourcebook of Chinese Civilization.

(B) Confucianism, women, and social contexts- XINYAN JIANG, Associate Professor, Department of Philosophy; Director of AsianStudies, University of Redlands. Specialties: Chinese philosophy, comparative philosophy, ethics. 2009Journal of Chinese Philosophy

وترجمة: تاريخ العالم، (أبريل ٢٠٢٤):

<https://www.worldhistory.org/trans/ar/1136-2/>

ه. تعليم المرأة

يمثل الزواج المبكر للفتيات نموذج الأسرة المعيشية السائد، مما يعني أن الفتاة الصغيرة غالبًا ما تغادر المنزل قبل أن يكون لها قيمة عمل كبيرة لأسرتها المولودة، ومن ثم لم يتم تشجيع تعليم الفتاة بأي شكل من الأشكال، والقول الشهير لكونفوشيوس: «إن المرأة الطيبة هي المرأة الأمية»، فعدّ جهل المرأة من دلائل الاستحسان التي تمدح بها وأنها علامة للطيبة والصلاح!

و. زواج الأرملة والمطلقة

لم تسمح الكونفوشوسية بزواج الأرملة أو المطلقة، حيث كانت تعتبر أن الفتاة الطيبة تتزوج مرة واحدة فقط في حياتها. وقد بدأ بعض التغيير من قبل العديد من الكونفوشوسيين الجدد المشهورين، بما في ذلك تشينج Cheng I (١٠٣٣-١١٠٧)، حيث لخص «تشينج» وجهة النظر الكونفوشوسية الجديدة على أنها «تجاهل الرغبات البشرية للاحتفاظ بالمبادئ السماوية» وعندما سُئل عما إذا كان من المبرر للأرملة أن تتزوج مرة أخرى عندما يضغط عليها الفقر والجوع، أجاب: «إن الموت بسبب الجوع أمر صغير، ولكنه شر خطير أن تفقد عفة زوجها الميت من خلال الزواج مرة أخرى».

ز. تعدد الزوجات

كان موقف الكونفوشوسية من قضية تعدد الزوجات واضحًا، فقد تم التأكيد على قدرة الرجل على إدارة الأسرة، والتي تعني عادة أكثر من زوجة ومجموعة من الأطفال، كجزء من خطوات التعلم من أجل النمو الشخصي، ومن ثم انتشرت الثقافة الكونفوشوسية الصينية وبالتالي ممارسة تعدد الزوجات من الصين إلى المناطق التي هي الآن كوريا واليابان (٢٤٧).

(٢٤٧) يُنظر ترجمة: المصادر السابقة؛ وتعدد الزوجات في الكونفوشوسية، (أبريل ٢٠٢٤):

ح. اضطهاد المرأة في الصين القديمة

كان الاضطهاد الشائن للمرأة في الصين التقليدية من أسوأ الظلم في تاريخ البشرية، فقد كان تقييد القدم^(٢٤٨) وتعدد الزوجات من أكثر الممارسات الجنسية في ماضي الصين، وفي نهاية المطاف يسود التمييز الجنسي في الصين، وعلى الرغم من تحسن وضع المرأة بشكل كبير في الصين المعاصرة، لا يزال يُفترض على نطاق واسع أن وضع المرأة الأدنى بلا شك^(٢٤٩).

ه. مكانة المرأة في البوذية

أ. خلو البوذية من التشريعات

البوذية مثل الجينية خلت من التشريعات الخاصة بالمرأة، ولكنها تأثرت بالأعراف الاجتماعية السائدة في الهند القديمة، فقد كان يُنظر للنساء على أنهن أدنى منزلة من الرجال. في بعض الأحيان كانوا يعتبرون على نفس مستوى طبقة الشودر (أدنى الطبقات الأربع في الطبقات الاجتماعية الهندوسية). وقد كانت حريتهن محدودة للغاية. يبدو أن الرأي العام هو أنه يجب أن يكونوا تحت رعاية الوالدين في طفولتهم، وتحت حماية الأزواج في شبابهم؛ وفي سن الشيخوخة كان عليهم أن يكونوا تحت سيطرة أبنائهم (كما في الهندوسية). لذلك كان يعتقد أنهم لا يستحقون أي حرية. وكان دورهن الأساسي هو دور ربات البيوت، حيث يتولين شؤون المنزل حسب رغبة أزواجهن.

ب. النساء في الأدبيات البوذية

يحتوي الأدب البوذي على مجموعة واسعة من وجهات النظر عن النساء، بدءاً من المواقف المتطرفة المعادية للمرأة إلى المثل الدينية لعدم التمييز والخلاص

(٢٤٨) وضع رباط مُحكَم على أقدام الفتيات الصغيرات لتعديل شكل وحجم أقدامه حيث كانت القدم الصغرى تعتبر من علامات الجمال

(٢٤٩) المصادر السابقة نفسها.

العالمي. ولكن غالبًا ما يتم تصوير النساء في العالم البوذي إما على أنهن مغريات شهوانية تهدد الرفاهية الروحية للرهبان أو كمصدر لكرب الرجل وألمه.

توضح بعض المقاطع من الكتب البوذية المقدسة «حكاية الملك أوداينا

ملك فالسا» من مجموعة المجوهرات مخاوف مون تجاه النساء ومعتقداتهن بأن:

(١) النساء هن سبب الشر والمعاناة».

(٢) يمكن للمرأة أن تكون سبب المعاناة الشديدة.

(٣) إذا دمرت الرغبة في النساء ستكون هناك سعادة أبدية.»

(٤) «الأفعى والكلب الميت مكروهين لكن النساء أكثر مقتًا منهم.»

(٥) «تمثل المرأة كأم حالة من الارتباط بالمنزل والأطفال، مما يضمن

استمرارية تكرار المولد (السامسارا)».

ج. النساء والمجتمع الرهباني

على الرغم من أنه سُمح للنساء بدخول المجتمع الرهباني «سانغا»، فقد أمروا باتباع الثمانية قيود إضافية التي تطبق على النساء الرهبات فقط دونًا عن الرجال الرهبان، ومن الواضح أن هذه القيود الثمانية أبقَت الرهبان الرجال BHIKKHUS في مستوى أعلى بكثير من الرهبات BHIKKHUNIS. فجعلت أي راهبة وإن كانت أكبر وأعلم، تنحني لأصغر تلميذ من الرهبان الذكور، تقديرًا واحترامًا له.

د. التفاوت الروحي بين النساء والرجال

لا تعتبر المرأة كيانًا كاملًا في البوذية. فلا يعتبر جسدهم لائقًا لتحقيق التنوير وتصبح بوذا (أي مستنيرة). فهناك مفهوم مفاده أن المرأة لا تكتمل حتى تبلغ التنوير إلا عند الولادة من جديد كرجل وتستطيع الوصول للتنوير بعد ذلك في جسد الرجل وليس في جسد المرأة التي كانت به في حياتها السابقة. كما تعتبر البوذية التايلاندية أن

النساء يولدن من كارماهن السيئة (أي نتيجة أفعال سيئة في الحياة السابقة). تصدق النساء أن أجسادهن النسوية هي نتيجة للكارما السيئة التي فعلنها في الماضي (٢٥٠).

٦. مكانة المرأة في التاوية (الطاوية-الداوية)

أ. خلو التاوية من التشريعات

لا توجد نصوص في التاوية تحدد دور المرأة، أو تتحدث عن حقوق المرأة وميراثها وأحكام الحيض والنفاس، وغيره من أحكام تشريعية خاصة بالمرأة. لذلك فإن وضع المرأة في التاوية كان مرتبطاً إلى حد كبير بوضع المرأة في الصين القديمة حسب الأعراف والعادات المجتمعية، فكان وضعها قريباً من الوضع المذكور أعلاه في الكونفوشيوسية.

ب. دعوة التاوية إلى المساواة

الأعراف التاوية دعت إلى المساواة، وعلمت أن السمات الأنثوية والذكورية لا تنفصل وتظهر معاً في كل شخص. وقد خدمت النساء جنباً إلى جنب مع الرجال ككاهنة ومعلمة. وفي الأديرة الطاوية في العصور الوسطى، كان الرجال والنساء يتميرون فقط بقبعاتهم وليس من خلال أي اختلافات في المكانة أو الدور (٢٥١).

٧. مكانة المرأة في الشنتوية

أ. خلو الشنتوية من التشريعات

(٢٥٠) مترجم من: اضطهاد المرأة في البوذية،

The Discrimination of Women in Buddhism: An Ethical Analysis Archana Paudel, Qun Dong, School of Humanities, Southeast University, Nanjing, China. Open Access Library Journal 2017, Volume 4, e3578.

<https://www.scirp.org/journal/paperinformation.aspx?paperid=75673>

(٢٥١) مترجم من: تعلم الأديان، الرجال والنساء في التاوية، (أبريل ٢٠٢٤)،

3183069-<https://www.learnreligions.com/gender-and-the-tao>

لا توجد أي نصوص في الشنتوية تتحدث عن المرأة ودورها، أو تتحدث عن حقوق المرأة وميراثها وغيره من أحكام تشريعية خاصة بالمرأة.

ب. النظرة إلى النساء

في أقدم سجلات الشنتو، من القرن الثاني إلى القرن السابع، تم تقييم النساء كناقلات للخصوبة، كما يُعد دم الحيض عند النساء من المحرمات في الشنتو، ويُعتقد أن ذلك من تأثير البوذية، حيث شجعت النساء والرجال الذين كانوا على اتصال بالنساء في فترة الحيض، على تجنب المزارات الدينية.

ج. التفاوت الروحي بين الرجال والنساء

السماح للمرأة ان تكون كاهنة في المعابد الشنتوية تراوح على مر التاريخ بين المنع وبين تطبيق العديد من الشروط لتقييمه.

لا يزال إلى اليوم في اليابان عدد الراهبات في معابد الشنتو قليلة للغاية. حيث يشكل الحيض تحديًا فريدًا للكاهنات في الشنتو، فيعتبر دم الحيض دنسًا للأماكن المقدسة. تم استدعاء هذا «النجاسة الحمراء» (المعروف أيضًا باسم فوجو، باللغة اليابانية) باعتباره قيدًا تقليديًا على مشاركة المرأة في الفضاء المقدس. لا تزال بعض أهم المزارات لطوائف الشنتو الشعبية، تحد من مشاركة النساء القساوسة (٢٥٢).

٨. مكانة المرأة في السيخية

أ. تأثير السيخية بالفكر الغربي الحديث

بوجه عام فإن السيخية نشأت كمحاولة للدمج بين الإسلام والهندوسية، ولكن بطابع غربي مدني حديث، فتوافقت مع الكثير من المطالب الغربية الخاصة

(٢٥٢) مترجم من: الموسوعة، المرأة في الشنتوية، (أبريل ٢٠٢٤):

<https://encyclopedia.pub/entry/29555>

ومترجم من: إيديويرايد، القيود على المرأة في الشنتوية، (أبريل ٢٠٢٤):

<https://edubirdie.com/examples/the-exploration-of-shinto-restrictions-to-women/>

بالمرأة، فرفضت السيخية الحجاب، وأعطت المرأة حقها في التملك والميراث خلافاً للهندوسية ولكنها أعطتها نفس حصة الرجل كاملة مخالفة للإسلام. كما أعطت للمرأة الحق في إقامة الشرائع الدينية مخالفة للهندوسية، ولم تعط للحيض أي أهمية مخالفة للهندوسية وللإسلام.

وقد جاء في المصادر السيخية: «في السيخية، نصت الكتب المقدسة بوضوح على أن المرأة السيخية كانت تُعتبر دائماً مساوية للرجل ولديها جميع الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الرجل. تعتبر أن لديها نفس روح الرجل ولها نفس الحق في النمو روحياً. يُسمح للمرأة السيخية بقيادة التجمعات الدينية، والمشاركة في التلاوة المستمرة للكتب المقدسة، والمشاركة بحرية في جميع الأنشطة الدينية والثقافية، الأنشطة الاجتماعية والسياسية والعلمانية» (٢٥٣).

جاءت الآراء السابقة بدون أي نصوص دينية تخص الأحكام والتشريعات المتعلقة بالمرأة، ولكنها جاءت كتفسيرات لتوافق الاتجاهات الغربية والمتأثرين بها في مجال المرأة وتحريرها وتحقيق المساواة مع الرجل.

٩. مكانة المرأة في اليهودية

مكانة المرأة عند اليهود تُظهرها بوضوح الشريعة اليهودية في نصوصها؛ فقد وردت نصوص كثيرة في التوراة فيها هضم للمرأة، وإهدار لكرامتها كما يلي:

أ. المرأة أشد من الموت ولا توجد امرأة صالحة:

حيث جاء في (سفر الجامعة ٢٦: ٢٦ - ٢٨): «فوجدتُ أمرَّ من الموت: المرأة التي هي شباك، وقلبها إشراك، ويدها قيود، الصالح قدام الله ينجو منها، أما الخاطيء فيؤخذ بها...»

(٢٥٣) مترجم من: موقع المنظمة السيخية، المرأة، (أبريل ٢٠٢٤):

<https://www.sikhs.org/women.htm>

<https://www.sikhs.org/women/q.htm>

ب. المرأة تُورث كالمُتاع:

المرأة التي يموت عنها زوجها عند اليهود، هي جزءٌ من ميراث أخي الزوج، يتزوجها وإن لم ترضَ به، وإن كانت كارهةً له، والواقع: أن هذه العملية لا تُعتبر زواجًا بالمعنى المفهوم، بل هي (ميراث) أو بالأدق (اغتصاب) حيث جعلوها كمتاع يرثه أهل المتوفي.

فقد جاء في سفر (التثنية ٢٥): «٥ إِذَا سَكَنَ إِخْوَةٌ مَعًا وَمَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، فَلَا تَصِرْ امْرَأَةُ الْمَيِّتِ إِلَى خَارِجِ لِرَجُلٍ أَجْنَبِيٍّ. أَخُو زَوْجِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً، وَيَقُومُ لَهَا بِوَأَجِبِ أَخِي الزَّوْجِ. ٦ وَالْبِكْرُ الَّذِي تَلِدُهُ يَقُومُ بِاسْمِ أَخِيهِ الْمَيِّتِ، لِئَلَّا يُمَحَى اسْمُهُ مِنْ إِسْرَائِيلَ. ٧ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الرَّجُلُ أَنْ يَأْخُذَ امْرَأَةَ أَخِيهِ، تَصْعَدُ امْرَأَةُ أَخِيهِ إِلَى الْبَابِ إِلَى الشُّيُوحِ وَتَقُولُ: قَدْ أَبَى أَخُو زَوْجِي أَنْ يُقِيمَ لِأَخِيهِ اسْمًا فِي إِسْرَائِيلَ. لَمْ يَشَأْ أَنْ يَقُومَ لِي بِوَأَجِبِ أَخِي الزَّوْجِ. ٨ فَيَدْعُوهُ شُيُوحُ مَدِينَتِهِ وَيَتَكَلَّمُونَ مَعَهُ. فَإِنْ أَصَرَ وَقَالَ: لَا أَرْضَى أَنْ آتَّخِذَهَا. ٩ تَتَقَدَّمُ امْرَأَةُ أَخِيهِ إِلَيْهِ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّيُوحِ، وَتَخْلَعُ نَعْلَهُ مِنْ رِجْلِهِ، وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِهِ، وَتُصْرِحُ وَتَقُولُ: هَكَذَا يُفْعَلُ بِالرَّجُلِ الَّذِي لَا يُبْنِي بَيْتَ أَخِيهِ.»

ج. نجاسة المرأة الحائض والنفساء:

يعتبر اليهود المرأة حال الحيض والنفاس نجسة، وكل ما مسته نجس، فيتعامل اليهود مع الحائض معاملة قاسية، فلا يؤاكلونها، ويعتزلونها، كما في سفر (اللاويين ١٥: ١٩ - ٢٤)، بل أنهم يعتبرون نجاسة الأنثى ضعف نجاسة الذكر، كما في سفر (اللاويين ١٢: ١ - ٨) (٢٥٤).

هكذا المرأة نجسة طوال أيام طمثها (حيضها) ثم عندما تلد تصير نجسة، والأغرب كون المرأة التي تلد أنثى نجسة ضعف الفترة التي تبقى فيها نجسة حال ولادتها ذكراً!

د. المرأة النفساء أو الحائض عند اليهود مخطئة:

المرأة النفساء في الكتاب المقدس مخطئة، ولا بد لها من كفارة؛ لتتوب عما لم تقترفه!، وذلك حسب ما جاء في سفر (اللاويين ١٢: ٦ - ٨): « ٦ وَمَتَى كَمَلْتَ أَيَّامَ تَطْهِيرِهَا لِأَجْلِ ابْنٍ أَوْ ابْنَةٍ، تَأْتِي بِخُرُوفٍ حَوْلِيٍّ مُحْرَقَةً، وَفَرْخَ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ إِلَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعِ، إِلَى الْكَاهِنِ، ٧ فَيَقْدُمُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ وَيُكْفِّرُ عَنْهَا، فَتَطْهَرُ مِنْ يَنْبُوعِ دَمِهَا. هَذِهِ شَرِيعَةُ الَّتِي تَلِدُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى. ٨ وَإِنْ لَمْ تَنْلِ يَدَهَا كِفَايَةً لِشَاةٍ تَأْخُذُ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخِي حَمَامٍ، الْوَاحِدَ مُحْرَقَةً، وَالْآخَرَ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ، فَيُكْفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ فَتَطْهَرُ».

كما أن المرأة الحائض في الكتاب المقدس مخطئة أيضًا، ولا بد لها من كفارة، حسبما جاء في سفر (اللاويين ١٥: ٢٨ - ٣٠): «وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر، وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين، أو فرخي حمام، وتأتي بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع، فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطيئة، والآخر محرقة، ويكفر عنها الكاهن أمام الرب، من سيل نجاستها».

هـ. المرأة في نظر اليهود عميل الشيطان لإغواء الرجل وألم الولادة

جاء كعقاب لها:

فالمرأة في نظر اليهود أصل الخطيئة الأولى، فهي السبب في إخراج الرجل الأول آدم - عليه السلام - من الجنة. كما جاء في سفر (التكوين ٣: ١١ - ١٥): «وقد جاء عقابها على ذلك في سفر (التكوين ٣: ١٦): «وقال للمرأة: تكثيرًا: أكثر أتعاب حبلك بالوجع، تلدين أولادًا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك».

وللرجل الحق في بيع ابنته:

التوراة تُعطي للرجل الحق في أن يبيع ابنته، حيث جاء في (سفر الخروج ٢١:٧): «وإذا باع رجل ابنته أمةً، لا تخرج كما يخرج العبيد».

ز. ابتذال المرأة وإباحتها في التوراة:

هناك مواضع متعددة من التوراة، تُمتهن فيها كرامة المرأة، وتبيحها جنسياً دون مراعاة لأدنى حق من حقوقها، حيث يروى (سفر الخروج ١٦:١٢ - ٧) حكماً عجيباً، فيقول: «وإذا راود رجل عذراء لم تخطب، فاضطجع معها، يمهرها لنفسه زوجة، إن أبى أبوها أن يعطيه إياها يزن له فضة، كمهر العذراء».

وكذلك ما ورد من مقاطع فيها إهانة للمرأة مثل:

١. الافتراء على نبي الله داود بتمتعه بفتاة صغيرة لتدفعه كما في (سفر الملوك الأول ١: ١ - ٤): «وَسَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدَ. تَقَدَّمَ فِي الْآيَامِ. وَكَانُوا يُدَثِّرُونَهُ بِالثِّيَابِ فَلَمْ يَدْفَأْ. ٢ فَقَالَ لَهُ عَيْدُهُ: «لِيَفْتَشُوا لِسَيِّدِنَا الْمَلِكِ عَلَى فِتَاةٍ عَذْرَاءَ، فَلْتَقِفْ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضَطَّجِعْ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدِنَا الْمَلِكِ». ٣ فَفَتَّشُوا عَلَى فِتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي جَمِيعِ نَحُومِ إِسْرَائِيلَ، فَوَجَدُوا أَيْشَجَ الشُّونَمِيَّةَ، فَجَاءُوا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ. ٤ وَكَانَتِ الْفِتَاةُ جَمِيلَةً جِدًّا، فَكَانَتْ حَاضِنَةَ الْمَلِكِ. وَكَانَتْ تَخْدُمُهُ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَعْرِفْهَا.»

٢. إباحة خطف النساء، كما في سفر (القضاة ٢١: ١٦): «فَقَالَ شَيْوُخُ الْجَمَاعَةِ: «مَاذَا نَصْنَعُ بِالْبَاقِيْنَ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ، لِأَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَتِ النِّسَاءُ مِنْ بَنِيَامِينَ؟» ١٧ وَقَالُوا: «مِيرَاثُ نَجَاةٍ لِبَنِيَامِينَ، وَلَا يُمَحَى سَبْطٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ. ١٨ وَنَحْنُ لَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْطِيَهُمْ نِسَاءً مِنْ بَنَاتِنَا، لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَلَفُوا قَائِلِينَ:

مَلْعُونٌ مَنْ أَعْطَى امْرَأَةً لِبَنِيَامِينَ». ١٩ ثُمَّ قَالُوا: «هُوَذَا عِيدُ الرَّبِّ فِي شَيْلُوهُ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ شِمَالِيَّ بَيْتِ إِيلَ، شَرْقِيَّ الطَّرِيقِ الصَّاعِدَةِ مِنْ بَيْتِ إِيلَ إِلَى شَكِيمَ وَجَنُوبِيَّ لَبُونَةَ». ٢٠ وَأَوْصُوا بَنِي بَنِيَامِينَ قَائِلِينَ: «امْضُوا وَاكْمِنُوا فِي الْكُرُومِ. ٢١ وَانظُرُوا. فَإِذَا خَرَجْتَ بَنَاتُ شَيْلُوهُ لِيَدْرَنَ فِي الرَّقْصِ، فَأَخْرَجُوا أَنْتُمْ مِنَ الْكُرُومِ وَاخْطَفُوا لَأَنْفُسِكُمْ كُلَّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ مِنْ بَنَاتِ شَيْلُوهُ، وَادْهَبُوا إِلَى أَرْضِ بَنِيَامِينَ. ٢٢ فَإِذَا جَاءَ آبَاؤُهُنَّ أَوْ إِخْوَتُهُنَّ لِكَيْ يَشْكُوا إِلَيْنَا، نَقُولُ لَهُمْ: تَرَأَفُوا عَلَيْهِمْ لِأَجْلِنَا، لِأَنَّنا لَمْ نَأْخُذْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ فِي الْحَرْبِ، لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تُعْطُوهُمْ فِي الْوَقْتِ حَتَّى تَكُونُوا قَدْ أَثْمْتُمْ». ٢٣ فَفَعَلَ هَكَذَا بَنُو بَنِيَامِينَ، وَاتَّخَذُوا نِسَاءً حَسَبَ عَدَدِهِمْ مِنَ الرَّاقِصَاتِ اللَّوَاتِي اخْطَفُوهُنَّ، وَادْهَبُوا وَرَجَعُوا إِلَى مُلْكِهِمْ وَبَنَوْا الْمُدْنَ وَسَكَنُوا بِهَا.

٣. الافتراء على نبي الله داود بأنه اغتصب نساء الغير كما جاء في (سفر صموئيل الثاني ١٤: ٣) : ١٤ وَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا إِلَى إِيشْبُوشَثَ بْنِ شَاوُلَ يَقُولُ: «أَعْطِنِي امْرَأَتِي مِيكَالَ الَّتِي خَطَبْتَهَا لِنَفْسِي بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». ١٥ فَأَرْسَلَ إِيشْبُوشَثُ وَأَخَذَهَا مِنْ عِنْدِ رَجُلِهَا، مِنْ فُلْطَيْيَلِ بْنِ لَائِشَ. ١٦ وَكَانَ رَجُلُهَا يَسِيرٌ مَعَهَا وَيَبْكِي وَرَاءَهَا إِلَى بَحُورِيمَ. فَقَالَ لَهُ أَبْنَيْرُ: «ادْهَبِ. ارْجِعْ». فَارْجَعَ.

ح. أسر المرأة غير اليهودية:

إذا وقعت غير اليهودية في الأسر تُهان كما في سفر (الثنية ٢١: ١٠-١٣): «وإذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعتهم إليك وإلى يدك، وسبيت منهم سبيًا، ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة، والتصقت بها، واتخذتها لك زوجة، فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها، وتقليم أظفارها، وتنزع ثياب سبيها عنها، وتقع في بيتك، وتبكي أباه وأمهًا شهرًا من الزمان، ثم بعد ذلك تدخل عليها، وتتزوج بها، فتكون لك زوجة».

ط. المرأة لا تَرث في الشريعة اليهودية إلا عند عدم وجود الذكور:

في الشريعة اليهودية لا تَرث الأنثى إلا عند فقد الذكور، فقد جاء في سفر (العدد ١٠ : ١١ - ١١) : «أَيُّمَا رَجُلٍ مَاتَ وَوَلَدُهُ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ تَنْقُلُونَ مَلِكُهُ إِلَى ابْنَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ ابْنَةٌ تَعْطُوا مَلِكُهُ لِإِخْوَتِهِ».

ي. تعدد الزوجات في اليهودية:

لا تُحَرِّم اليهودية تعدد الزوجات، وليس عندهم حد أقصى لتعدد الزوجات، وإن كان الفقه اليهودي قد منعه ابتداءً من القرن الحادي عشر في الغرب (٢٥٥).
ففي سفر (التثنية ٢١ : ١٥ - ١٦) : «إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ، وَالْأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ».

وقد كان لسليمان عليه السلام عندهم سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من السراري كما جاء في: (سفر الملوك الأول ٣ : ١١) : «وَكَاثَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ».

وكذلك أبوه دود **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**، كان له زوجات كثيرات، فقد جاء في سفر (صموئيل الثاني ٥ : ١٣) : «وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضًا سَرَارِيَّ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ».
وعن يعقوب عليه السلام، جاء في سفر (التكوين ٣١ : ١٧) : «فَقَامَ يَعْقُوبُ، وَحَمَلَ أَوْلَادَهُ وَزَوْجَاتِهِ عَلَى الْجَمَالِ».

١٠. مكانة المرأة في النصرانية

توراة اليهود هي جزء من العهد القديم المقدس عند النصارى، وتشريعاته ملزمة لكل منهما، فمن أقوال المسيح الشهيرة قوله -عليه السلام- في إنجيل (متى ١٧ : ٥) : «لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ، مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ، بَلْ لِأَكْمَلَ».

(٢٥٥) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، دار القلم دمشق، ١٩٩٩، ص ١٩٣ / ١٩٤؛ وموسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، مصر ١٩٩٩، ج ١٤، ص ١٨٤.

كذلك القول المنسوب للمسيح في إنجيل (متى ١٩ : ١٧): «فقال له: لماذا تدعوني صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا».

ولكن حال المرأة في النصرانية أحسن منها عند اليهودية، ومع ذلك لم تخرج من السلطة المهيمنة للرجل، فهي أصل الخطيئة، ولا يحق لها أن تتحدث في الكنيسة، وهي أقل منزلة من الرجل، حتى إنها تتبع الزوج في اسم العائلة.

ومن أحكام العهد القديم الذي سبق الحديث عنه في الأعلى اعتبار العهد القديم أن المرأة الحائض نجسه، وهو ما تغاضت عنه النصرانية، بالرغم من أنها أبقت الحكم بنجاسة المرأة النفساء (٤٠ يوماً في حالة ولادة الذكر، و٨٠ يوماً في حالة ولادة الأنثى)، وذلك حسب (سفر اللاويين ١٢ : ١ - ٨). ولا تزال الكنائس التي تمارس الطقوس الكنسية، لا تسمح بدخول الأمهات إلى الكنيسة قبل أن يقوم الكاهن بتحليل المرأة بعد الولادة (٢٥٦).

وسنورد هنا بعض من نصوص العهد الجديد حول المرأة، وبعض من كتابات آباء الكنيسة وعلماءها.

✦ أولاً: المرأة في العهد الجديد

أ. المرأة مصدر الخطيئة:

جاء في رسالة (بولس الأولى لتيموثاوس ٢ : ١١ - ١٤): «وعلى المرأة أن تتعلم بصمت وخضوع تام، ولا أجاز للمرأة أن تُعلم، ولا أن تتسلط على الرجل، بل عليها أن تلتزم الهدوء؛ لأن آدم خلقه الله أولاً، ثم حواء، وما أغوى الشَّيرُ آدم، بل أغوى المرأة، ف وقعت في المعصية».

فاعتبر «بولس» المرأة مسؤولة عن الشر كله، وذلك لاعتقاده فيما جاء في سفر (يشوع بن سيراخ ٢٥: ٣٣ - ٣٤): «مِنَ الْمَرْأَةِ ابْتَدَأَتِ الْخَطِيئَةَ، وَبِسَبَبِهَا نَمَوْتُ نَحْنُ أَجْمَعُونَ، لَا تَجْعَلُ لِلْمَاءِ مَخْرَجًا، وَلَا لِلْمَرْأَةِ الشَّرِيرَةِ سُلْطَانًا».

ب. المرأة خاضعة للرجل:

حيث أكد «بولس» على أن المرأة خاضعة للرجل تمامًا في كل شيء، حيث يقول في (أفسس ٥: ٢٢): «أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، ٢٣ لِأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلَّصُ الْجَسَدِ. ٢٤ وَلَكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ».

ج. المرأة لا تعلم في الكنيسة:

حيث أكد «بولس» على ضرورة التزامهم بالزي الحشم والتعلم، ولا تُعلم أو تتسلط على الرجل لأنهن سبب الخطيئة (١ تيموثاوس ٥: ٩): «وَكَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُرِيْنَ ذَوَاتِهِنَّ بِبِلَاسِ الْحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لَا بِضَفَائِرٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لَالِيٍّ أَوْ مَلَابَسٍ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، ١٠ بَلْ كَمَا يَلِيْقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللَّهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ. ١١ لِتَتَعَلَّمَ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ. ١٢ وَلَكِنْ لَسْتُ أَدْنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلَّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ، ١٣ لِأَنَّ آدَمَ جَبَلٌ أَوَّلًا ثُمَّ حَوَاءُ، ١٤ وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّيِّ».

وبالرغم من تمسك الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية بهذا النص، ومعارضتهم لكهنوت المرأة، إلا أن كنائس البروتستانت سمحت مؤخرًا للمرأة بالتعليم في الكنيسة.

د. التفاوت بين الرجل والمرأة التي هي سبب الخطيئة

(١ كورنثوس ١١ : ٥): «وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تَصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطَّى، فَتَشِينُ رَأْسَهَا، لِأَنَّهَا وَالْمَحْلُوقَةُ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ. ٦ إِذِ الْمَرْأَةُ، إِنْ كَانَتْ لَا تَتَغَطَّى، فَلْيَقْصَّ شَعْرُهَا. وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقْصَّ أَوْ تُحْلَقَ، فَلْتَتَغَطَّ. ٧ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكُونِهِ صُورَةَ اللَّهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. ٨ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ. ٩ وَلِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ. ١٠ لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا، مِنْ أَجْلِ الْمَلَائِكَةِ».

د. المرأة لا تتحدث في الكنيسة:

«لِتَصْمُتْ نِسَاءُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مَأْدُونًا لِهِنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا» (١ كو ١٤ : ٣٤).

هـ. المرأة المطلقة لا تتزوج:

المرأة المطلقة عند النصارى لا تتزوج! ومن تزوجها فإنه زانٍ.

حيث جاء في إنجيل (متى ٥ : ٣١ - ٣٢) أن اليهود سألوا المسيح عن الطلاق، فقال: «وقيل: من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لعله الزنا، يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني» (٢٥٧).

ولا شك أن هذا الكلام فيه امتهان للمرأة وذل؛ إذ ما ذنب المرأة المطلقة أن يُحكَمَ عليها بعدم الزواج طوال حياتها؟ ولماذا يُعتبر من تزوجها زانٍ؟!

❖ ثانيًا: أقوال آباء وكبار رجال الكنيسة عن المرأة

سنكتفي بعرض القليل من كتابات آباء الكنيسة الأوائل وعلماءها.

أ. توما الإكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤)

يقول توما الإكويني: «الأثنى ذكر مسيخ!»، وأيضا إن الخضوع والانحطاط تابع للخطيئة لأنه يعد الخطيئة من قبل المرأة، كما في سفر التكوين ٣: ١٦ «تكون خاضعة للرجل»، وقد قال غريغوريوس في كتابه العناية الرعائية: «حيث لا ذنب لنا جميعا سواه»، والمرأة أضعف وأخس طبعًا من الرجل، لأن الفاعل أشرف دائما من المنفعل كما قال أوغسطين (٢٥٨).

ب. يوحنا ذهبي الفم (أسقف القسطنطينية من ٣٩٨ - ٤٠٤ م)

يقول: «أوجد الله الحيوانات لتكون مساعدة لنا في قضاء حوائج الحياة، ولثلاثا تعتبر المرأة أيضًا في مرتبة مساوية لها، ميز الله بوضوح بين الحيوانات والمرأة» (٢٥٩).

ج. أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠ م)

يقول: «من العدل أن تكون المرأة خاضعة للرجل لان المساواة في الكرامة تجلب الصراع، وهي ليست مخضعة له لهذا السبب فقط، ولكن أيضًا بسبب الخيانة التي حدثت في بداية العالم» (٢٦٠).

د. أمبروزو أسقف ميلان (توفي ٣٩٧ م)

«بل إن الواقع يقول إنه حتى وإن خلق الرجل خارج الجنة (في مكان أدنى) فهو في مقام أسمى، ومع ان المرأة خلقت في مكان أفضل (داخل الجنة) إلا أنها في مقام أقل» (٢٦١).

(٢٥٨) كتاب الخلاصة اللاهوتية، توما الاكويني، ترجمة الخوري بولس عواد، المجلد الثاني، سنة ١٨١٩، بيروت.

(٢٥٩) الآباء والمرأة، اليزابيث أ. كلارك، سلسلة رسائل آباء الكنيسة، ١٩٩٨، دار الثقافة، ص ٣٠.

(٢٦٠) الآباء والمرأة، م سابق، ص ٣٦.

(٢٦١) الآباء والمرأة، م سابق، ص ٢٧.

ثالثاً: مناقشة عامة حول أهم قضايا المرأة

أ. المرأة في القرون الوسطى والعصر الحديث

كتب ول ديورانت: «كانت نظريات رجال الكنيسة بوجه عام معادية للمرأة، فقد غالت بعض قوانين الكنيسة في إخضاعها، لكن كثيراً من مبادئ المسيحية وشعائرها رفعت من مكانتها. وكانت المرأة في تلك القرون لا تزال في نظر القساوسة وعلماء الدين كما كانت تبدو لكريستوم - (شراً لا بد منه، وإغواء طبيعياً، وكارثة مرغوباً فيها، وخطراً منزلياً، وفتنة مهلكة، وشراً عليه طلاء). وكانت لا تزال حواء مجسدة في كل مكان، حواء التي خسر بسببها الجنس البشري جنات عدن، وأداة الشيطان المحببة التي يقود بها الرجال إلى الجحيم. وكان تومس الإكويني، وهو في العادة رسول الرحمة، يتحدث عنها كما يتحدث الرهبان، فينزلها من بعض النواحي منزلة أقل من منزلة الرقيق: (إن المرأة خاضعة للرجل لضعف طبيعتها، الجسمية والعقلية معاً. والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها كما أن الله مبدأ كل شيء ومنتهاها.. وقد فرض الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة، أما العبد فليس كذلك.. ويجب على الأبناء أن يحبوا آباءهم أكثر مما يحبون أمهاتهم). وأوجب قانون الكنيسة على الزوج حماية زوجته، كما أوجب على الزوجة طاعة زوجها. وقد خلق الله الرجل لا المرأة، في صورته هو^(٢٦٢).

ب. تعدد الزوجات:

مسألة تعدد الزوجات، مباحة منذ فجر التاريخ ولم يأت أي نبي أو رسالة سماوية بمنعها، وقد تم ذكر بعض النصوص من العهد القديم التي تظهر تعدد الزوجات

(٢٦٢) موسوعة قصة الحضارة، م سابق، عصر الإيمان، المسيحية في عنفوانها، الأخلاق والآداب في العالم المسيحي، النساء، الفصل الرابع.

في العهد القديم، والجدير بالذكر أن العهد الجديد لم يصرِّح أبدًا بمنع تعدد الزوجات فلم تأت أي نصوص من أقوال المسيح عليه السلام تقول: على الرجل الزواج من امرأة واحدة، بل جاءت نصوص بولس في العهد الجديد تلزم الأساقفة والشمامسة أن يكونوا متزوجين من امرأة واحدة فقط!!

(١) تيموثاوس ٣: ٢ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْقُفُ بِرَأْسِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ).

(١) تيموثاوس ٣: ١٢ لِيَكُنِ الشَّمَامِسَةُ كُلُّ بَعْلِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ..).

فما معنى أنه على الأسقف والشمامسة التزوج من امرأة واحدة؟!

وقد كان تعدد الزوجات شائعًا بين غالبية الشعوب حتى بعد الميلاد بمئات السنين، إلا في بعض بلدان أوروبا حيث تأثرت النصرانية بها في القرن الرابع الميلادي.

ج. ضرب الزوجات:

جاء في موسوعة الأنبا غريغوريوس: سؤال رقم: ١٩٨ هل يجوز في المسيحية ضرب المرأة؟ الجواب: «على أنه إذا كانت الزوجة ناشزًا، ولم تكن مطيعة لزوجها، كما يتطلب الكتاب المقدس الذي يجعل الرجل رأسًا للمرأة، ولم ترع المرأة قدسية الحياة الزوجية، أو إذا أساءت التصرف بما يسيء إلى سمعة زوجها وسمعتها، ففي هذه الحالة يجوز للرجل تأديبها كما يؤدب الأب ابنه أو ابنته، خاصة وأن الرجل عادة يكبر المرأة سنًا فضلًا عن أنه سيد البيت ورب الأسرة، ورأس المرأة، والتأديب له طرق ووسائل كثيرة. بيد أن التأديب ليس معناه أن يقسو الرجل على زوجته، أو يغدر بها، أو يضربها ضربًا شديدًا يحدث بها عاهة، بل ينبغي أن يكون بهدف الإصلاح والتقويم، لا بهدف الانتقام والإيذاء والإضرار» (٢٦٣).

١١. مكانة المرأة في الإسلام

للمرأة في الإسلام مكانة عظيمة، ومرتبة جلييلة، فقد رفع الإسلام منزلتها بعد أن كانت مُهانة في الأمم الأخرى، وفي الجاهلية ما قبل الإسلام؛ فجعلها في منزلة واحدة مع الرجل، من حيث قبول الأعمال الصالحة، فقال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وكفل لها جميع حقوقها، ورعاها في جميع أطوار حياتها، وجعلها زوجةً وبناتًا وأختًا، موصيًا بها الأب في حال كونها ابنة، والزوج في حال كونها زوجة، والابن في حال كونها أمًا، وأعطاهما حقوقها التي سُلبت منها، كالكرامة الإنسانية، وحقوقها الدينية، والمالية، والاجتماعية، والنفسية، وغيرها من الحقوق التي جاء بها الإسلام.

كما أنه قد راعى تكوينها، فخصّها ببعض الحقوق والواجبات، وشرع لها شرائع خاصة دون الرجل، ورفع مكانتها وسواها بالرجل إلى حد قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] وقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلِيَهُنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وهكذا سوّى في الولاية بين الرجل والمرأة، ويدخل فيها ولاية الأخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي، وولاية النصرة، والحرية، والسياسة.

وجعلها الإسلام مكلفة بكل ما يكلف به الرجل من العبادات، فهي تبايع الرسول ﷺ كما يبايعه الرجال، سواء بسواء، وهي سيدة نفسها لا تتزوج إلا برضاها، وهي ترث من أبيها كما يرث الرجل، بل قد ترث في بعض الأحوال أكثر مما يرث الرجل.

أولاً. مظاهر تكريم المرأة في الإسلام:

تكريم الإسلام للمرأة له مظاهر عدة، منها:

١. إن الإسلام سواها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء والجزاء، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامِيَّاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، كما أثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع الحقوق، كحق البيع والشراء، وحق التملك، وغيرها من الحقوق.

٢. إن الله تعالى أخبر بأنه خَلَقَ الإنسان من ذكر وأنثى، وجعل ميزان التفاضل بينهما العمل الصالح والتقوى، فقال - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣. الاهتمام بتعليم المرأة، وإرشادها، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن...» (٢٦٤).

٤. أمر الله تعالى بالمحافظة على حقوق اليتامى من النساء، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

٥. توجيه الرجال بالاعتصار على زوجة واحدة إذا خاف عدم العدل، فقال تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣]، أي: إن خفتُم أن لا تعدلوا، فاعتصروا على واحدة، وهذا تكريم للمرأة.

٦. أوجب للنساء نصيباً من الإرث، فقال الله تعالى: ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، وكان الميراث في الجاهلية للذكور دون الإناث.

٧. أمر للأزواج أن يعاشروا زوجاتهم بالمعروف، فقال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، أي: طيبوا أقوالكم، وحسنوا أفعالكم، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (٢٦٥).

٨. حثّ الزوج على أن يحسن إلى زوجته، حتى في حالة كرهها، فقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو أن يعطف عليها، فيرزق منها ولداً، ويكون فيه خير كثير (٢٦٦)، وقال النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر» أو قال: «غيره» (٢٦٧)، أي: لا يبغضها بغضاً يؤدي إلى تركها.

٩. حرّم الإسلام على الزوج إذا أراد مفارقة زوجته أن يسترد من مهرها شيئاً، ولو كان قنطاراً من المال، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٢٠].

١٠. جعل الإسلام للرجل القوامة على المرأة، فقال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، ولكن هذه القوامة هي قوامة للتنظيم لا للاستبداد، وهي قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع، واستقرار الأوضاع في الحياة الدنيا، فهي تُشبه قوامة الرؤساء وأولي الأمر،

(٢٦٥) أخرجه الترمذي، برقم ٣٨٩٥، وابن ماجه، برقم ١٩٧٧، وصححه الألباني.

(٢٦٦) تفسير الطبري، م سابق: (٨ / ١٢٣).

(٢٦٧) أخرجه مسلم، برقم ١٤٦٩.

فإنها ضرورة يستلزمها المجتمع الإسلامي والبشري، فطبيعة الرجل تؤهله لأن يكون هو القيم، فالرجل أقوى من المرأة، وأجلد منها في معركة الحياة، وتحمل مسؤولياتها. ومع هذا فعلى المرأة مسؤولية أيضًا، فهي راعية على أولادها، وبيت زوجها، يقول النبي ﷺ: «والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم»^(٢٦٨)، وقال النبي ﷺ: «كل نفس من بني آدم سيد، فالرجل سيد أهله، والمرأة سيدة بيتها»^(٢٦٩)؛ ولهذا فالنطاق الذي تشمله قوامه الرجال لا يمس كيان المرأة، ولا كرامتها، وهذا هو السر في أن الله تعالى لم يقل: «الرجال سادة على النساء» وإنما اختار هذا اللفظ الدقيق ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] ليفيد بأنهم يقومون بالنفقة عليهن، والذب عنهن؛ وشأن القوامين: أنهم يصلحون ويعدلون، لا أنهم يستبدون ويتسلطون^(٢٧٠).

١١. حث الإسلام على تربية البنات، ورتب عليها أجرًا عظيمًا، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه^(٢٧١)، ولم يرد مثل هذا الفضل في تربية الذكور من الأولاد^(٢٧٢).

١٢. من مظاهر تكريم المرأة: أنها كانت من آخر ما أوصى به النبي ﷺ في الموسم الحافل، وهو موسم حجة الوداع، فقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان عندكم»^(٢٧٣).

(٢٦٨) أخرجه البخاري، برقم ٢٥٥٤، ومسلم، برقم ١٨٢٩.

(٢٦٩) عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، أحمد السنني، رقم ٣٨٨، دار القبة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٥٦٥.

(٢٧٠) ينظر: المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية، محمد إسماعيل المقدم، دار ابن الجوزي، القاهرة، ص ١٣٠.

(٢٧١) أخرجه مسلم، برقم ٢٦٦٣.

(٢٧٢) ينظر: مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن جميل زينو، دار الصميعي، الرياض، ١٩٩٧: ٣/٣٢٣-٣٢٦.

(٢٧٣) أخرجه الترمذي، برقم ١١٦٣، وحسنه الألباني.

ثانياً: خصائص ومبادئ تكريم المرأة في الإسلام:

هناك خصائص تميز بها الإسلام في تعامله مع المرأة، منها:

١. نظرة الإسلام إلى المرأة تتسم بالشمولية والكمال، وتبتعد عن الجزئية والتفاضلية في نظرتها إلى نصف المجتمع، فالمرأة كالرجل في الانسانية سواء بسواء، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].
٢. إنها أهل للدين والعبادة، ودخول الجنة إن أحسنت، ومعاقبتها إن أساءت، كالرجل سواء بسواء، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].
٣. أمر بإكرامها، ورغب في تعليمها كالرجل، فكل ما يطلب من الرجل تعلمه يطلب من المرأة كذلك، في الغالب، إلا ما يخص الرجل.
٤. أعطها حق الإرث: أمًا وزوجة وبتًا، كبيرة كانت أو صغيرة، أو حملاً في بطن أمها.
٥. نظم حقوق الزوجين، وجعل لها حقوقاً، كحقوق الرجل، مع رئاسة الرجل لشؤون البيت، وهي رئاسة غير مستبدة، ولا ظالمة، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].
٦. نظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه، واستبداده في أمره، فجعل له حداً، لا يتجاوز، وهو الثلاث، وقد كان عند العرب ليس له حد يقف عنده، وجعل لإيقاع الطلاق وقتاً؛ ولأثره عدة، تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوثام.

٧. حدّ من تعدد الزوجات، فجعله أربعاً، وقد كان عند العرب وعند غيرهم من الأمم التي تبيح التعدد غير مقيد بعدد معين.

٨. جعلها قبل البلوغ تحت وصاية أوليائها، وجعل ولايتهم عليها ولاية رعاية، وتأديب، وعناية بشؤونها، وتنمية لأموالها، لا ولاية تملك واستبداد، وجعلها بعد البلوغ كاملة الأهلية للالتزامات المالية، كالرجل سواء بسواء، ومن تتبع أحكام الفقه الإسلامي لم يجد فرقاً بين أهلية الرجل والمرأة في شتى أنواع التصرفات المالية، كالبيع، والاقالة، والخيارات، والسلم، والصراف، والشفعة، والإجارة، والرهن، والقسامة، والبيّنات، والإقرار والوكالة، والكفالة، والحوالة، والصلح، والشركة، والمضاربة، والوديعة، والهبة، والوقف، والعق، وغيرها (٢٧٤).

ومن هذه الخصائص والمبادئ نعلم أن الإسلام أحل المرأة المكانة اللائقة بها في ثلاث مجالات رئيسية:

١. المجال الإنساني: فاعترف بإنسانيتها كاملة، كالرجل، وهذا ما كان محل شك، أو إنكار عند أكثر الأمم المتمدنة سابقاً.

٢. المجال الاجتماعي: فقد فتح أمامها مجال التعلم، وأسبغ عليها مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها، منذ طفولتها حتى نهاية حياتها، بل إن هذه الكرامة تنمو كلما تقدمت في العمر، من طفلة إلى زوجة، إلى أم، حيث تكون في سن الشيخوخة التي تحتاج معها إلى مزيد من الحب والحنو والإكرام.

٣. المجال الحقوقي: فقد أعطاهم الأهلية المالية الكاملة في جميع التصرفات، حين تبلغ سن الرشد، ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أب، أو زوج، أو رب أسرة (٢٧٥).

(٢٧٤) المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، دار الوراق، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٣-٢٥.

(٢٧٥) المصدر السابق، ص ٢٧.

خاتمة الفصل الثاني

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. تعرضت المرأة في التشريع الهندوسي لظلم كبير، فلا ميراث لها، ولا ملكية خاصة، ولا مال تمتلكه أو تدخره حتى لو كانت هي المكتسبة له، ولا واجبات دينية تُكفل بها. يلخص جوستاف لوبون هذا الأمر بقوله: «لا تجد كتاباً أقسى على النساء من كتب الهندوس».
٢. التعاليم الزرادشتية اتسمت بجوانب سلبية تخص المرأة منها أنها تورث كالمتع إن مات زوجها، وأنه ليست لها سلطة على ممتلكاتها، واعتبرتها التعاليم الهندوسية نجسة في فترات الحيض والنفاس ويجب اعتزالها في أحد جوانب البيت ولا يسمح لها بالنظر إلى النار المقدسة عندهم.
٣. لا توجد تشريعات مفصلة تخص المرأة في الجينية، على الرغم من ذلك فقد تأثرت الجينية بالتعاليم الهندوسية، فلم تعط المرأة حق الميراث أو حق تملك المال. والخلاصة أنها عاجزة ولم تقدم حلولاً لحياة كريمة للمرأة.
٤. بعض الديانات لم تتعرض لمصادرها للعلاقات الاجتماعية فاتخذت اتباعها العرف الاجتماعي في بلادهم منهجاً لهم نتيجة للقصور التشريعي في مصادره المقدسة وذلك مثل الجينية والشتوية والتاوية والسيخية.
٤. خلت مصادر البوذية من التشريعات الخاصة بالمرأة، ولكنها تأثرت بالأعراف الاجتماعية السائدة في الهند القديمة، فقد كان يُنظر للنساء على أنهن أدنى منزلة من الرجال، كما اعتبرت البوذية أن المرأة غير متساوية روحياً مع الرجل ولا يمكنها تحقيق الاستنارة إلا إذا أعيدت ولادتها في جنس الرجال (ذلك نظراً لإيمانهم بتناسخ الأرواح أو تكرار المولد).
٥. خلت مصادر الكونفوشيوسية من التشريعات واهتمت فقط بالأخلاق وأسلوب الحكم، لذلك لا توجد تشريعات تخص المرأة، بل سُنت القوانين

- بناءً على العادات والتقاليد الدارجة في المجتمع الصيني، حيث كان وضع المرأة سيئاً بوجه عام ومنزلتها دون منزلة الرجل بمراحل عديدة.
٦. لا توجد نصوص في مصادر التاوية تحدد دور المرأة، أو تتحدث عن حقوق المرأة وميراثها وأحكام الحيض والنفاس، وغيره من أحكام تشريعية خاصة بالمرأة، وقد كان وضعها مرتبطاً إلى حد كبير بوضع المرأة في الصين القديمة حسب الأعراف والعادات المجتمعية.
٧. لا توجد أي نصوص في مصادر الشنتوية تتحدث عن المرأة ودورها، أو تتحدث عن حقوق المرأة وميراثها وغيره من أحكام تشريعية خاصة بالمرأة، اعتبرت المرأة في الشنتوية القديمة ناقلة للخصوبة أو آلة للإنجاب، ولا يزال الشنتو إلى اليوم يعتقدون بالتفاوت الروحي بين الرجال والنساء.
٨. نشأت السيخية كمحاولة للدمج بين الإسلام والهندوسية، ولكن بطابع غربي حديث، فتوافقت مع الكثير من المطالب الغربية الخاصة بالمرأة، فرفضت السيخية الحجاب، وأعطت المرأة حقها في التملك والميراث خلافاً للهندوسية ولكنها أعطتها نفس حصة الرجل كاملة مخالفة للإسلام. كما أعطت للمرأة الحق في إقامة الشرائع الدينية مخالفة للهندوسية، ولم تعط للحيض أي أهمية مخالفة للهندوسية وللإسلام فجاءت نصوصها ملفقة وفقاً لطبيعة نشأتها المتأخرة التوافقية.
٩. مكانة المرأة في التشريع اليهودي في مصادرهم المحرفة فيها هضم كبير لحقوق المرأة، وإهدار لكرامتها وانسانيتها، فلا حق للمرأة في الميراث إلا عند انعدام الذكور، بينما بعد وفاة زوجها يرثها أخوزوجها، واعتبرت نجسة وتحتاج إلى ذبائح لتطهر من نفاسها، ووجب اجتنابها في فترات الحيض وعدم الأكل معها.

١٠. الكتاب المقدس عند اليهود، قدسه النصارى وأسموه العهد القديم فأصبح مصدرًا من مصادرهم المقدس، وقد ورثت النصرانية منه بعض الأحكام والتشريعات عن المرأة مثل اعتبارها نجسة بعد الإنجاب وحتمية التطهر بصلاة يؤديها الكاهن لها على باب الكنيسة. كذلك شددت النصرانية في العهد الجديد (الكتاب المقدس المكتوب بعد المسيح عليه السلام) على أن المرأة لا يجب أن تعلم في الكنيسة، ويجب أن تكون خاضعة للرجل، ويجب ألا تتكلم في الكنائس، وتركت النصرانية قضية ميراث المرأة للأحكام المدنية في البلدان التي يقيمون فيها، كما تشددت (إلى درجة المنع) النصرانية في السماح بطلاق المرأة إن استحالت العشرة بينها وبين زوجها.

١١. اتسمت نظرة الإسلام للمرأة بالشمولية، فقد جاءت التشريعات الإسلامية بالعدل لا بالمساواة، فكان من العدل المساواة بين الرجل والمرأة في الجوانب الروحية، وأمر الإسلام بإكرام المرأة وتعليمها والإنفاق عليها ورعايتها والإحسان لها وأعطت الشريعة على كل ما سبق أجرًا يناله الرجل، وأعطتها حصة من الميراث، وأعطى الإسلام عقد حل الزواج بثلاث طرق (١) للزوج حق الطلاق، (٢) للمرأة حق الخلع، و(٣) للقاضي وولي الأمر حق فسخ العقد.

وخلافًا لكل مصادر الأديان، فقد خاطبت النصوص الإسلامية المرأة كإنسان مرهف الحس والجوانب، معتبرين المرأة شقائق الرجال، موصية بهن وعاملة على تأمينهن ورعايتهن، حتى أن آخر وصايا النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع جاء فيها «استوصوا بالنساء خيرًا».

تمهيد الفصل الثالث

قضية الزواج والطلاق قضية بشرية كبرى لا ينفك منها البشر وترتبط بفطرة قضاء الوطر، وجعلت بعض الديانات هذه القضية من القضايا الكبرى التي لا يجب أن تتم إلا بعقد ووثاق، ومن هذا كله جاءت أهمية السؤال: «أي من الأديان غطى في مصادره المعتمدة جوانب قضية الزواج تغطية كافية عادلة للطرفين (الزوج والزوجة) وصالحة لكل زمان ومكان، بما يضمن استمرار الأسرة وسلامة المجتمع؟»

نقدم فيما يلي عرضاً عن موقف الأديان من قضية الزواج من المصادر المعتمدة عند الديانات.



الفصل الثالث: الزواج والطلاق في الأديان

١. الزواج والطلاق في الهندوسية

الزواج في الهندوسية له قدسية كبيرة نظراً لأهمية دور الأسرة والالتزام بالتقاليد الشرقية للمحافظة على العفة والاهتمام الشديد بالإنجاب.

لكن نظام الطبقات في الهندوسية، جعل فقه الزواج معقداً. فأنواع الزواج في الهندوسية ثمانية أنواع^(٢٧٦)، وتختلف الأنواع المصرح بها حسب الطبقة الاجتماعية الهندوسية، فالبرهمن مسموح له بستة أنواع من الثمانية، بينما الكشترى مسموح له بأربعة أنواع، أما طبقتي الويش والشودر فمسموح لهما بثلاثة أنواع فقط.

أ. أهمية الزواج في الهندوسية

الزواج في الهندوسية الزامي وهو مقدس ورباط إلهي، حتى إن الرجل عندما يصبح أرملاً يتخلى عن رئاسة الأسرة لتنتقل إلى ابنه المتزوج، أما السبب في ذلك فيرجع إلى الاعتقاد بأن الأعزب لا يستطيع أن يقوم بطقس تقديم القرابين للأسلاف. والأب في الأسرة هو كاهن العائلة وممثل الديانة فيها والقائم بأهم طقوسها، أي عبادة الأسلاف، ويولي الأب في هذه المهمة أكبر أبناءه من المتزوجين القادرين على تقديم القرابين إليه بعد الموت^(٢٧٧).

كتب جوستاف لوبون: «وللزوج سلطان مطلق، ومع أن المرأة لا تختاره، ما عدت خطيبته منذ طفولتها... ويُعدُّ الأولاد خاطبين منذ طفولتهم، وتتزوج الفتيات في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من أعمارهنَّ على العموم، ولا كيان للمرأة الهندوسية بلا زواج، فلا تكاد تولد حتى يختار أبواها لها من يكون وليَّ أمرها، فهي إذا ما ترعرعت

(٢٧٦) يأتي تفصيل أنواع الزواج في الصفحات التالية في الفقرة (ز) تحت عنوان: «أنواع الزواج».

(٢٧٧) مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، م سابق، ص ٤١١.

فمن أجله، وهو إذا ما كان فظيماً شنيعاً فظاً غليظاً فضّلت البقاء ملكه على أن تظل عزباء أو أن تخسره. تُعدُّ المرأة العزباء، والمرأة الأيم على الخصوص، منبوذتين من المجتمع الهندوسي. والآن نذكر سر إخلاص المرأة الهندوسية لزوجها، فتأصل هذا الإخلاص بتعاقب القرون حتى أصبح غريزة ثابتة فيها، وبهذا نفس دوام عادة حرق المرأة لنفسها فوق جثة زوجها، إن لم يكن سببها، فكان على المرأة الأيم أن تختار ما ينتظرها من السعادة والفلاح بلحاقها بزوجها المتوفي بأسلة أو ما ينتظرها من البؤس والشقاء ببقائها حية فوق أديم الأرض، فلم تتردد في سلوك أشرف النجدين، فكانت، تقضي نحبها بين الدموع والحماسة والهتاف والأدعية والتحية والنشائد الداوية. ولما حضرت الحكومة الإنجليزية تلك العادة قاومت النساء هذا الحظر فداومن على القيام بها طويلاً زمنٍ محبّطٍ كل مراقبة» (٢٧٨).

ب. اختيار الزوجة

لا تسمح الهندوسية بزواج الأقارب، وتضع اشتراطات أخرى على اختيار الزوجة، منها أن يكون لها أخوة وألا تكون شقراء و.... إلخ.

جاء في **قوانين مانو**: (٣: ٥): إن خير زوجة هي التي ليست من قريبات الأم ولا من أسرة الأب. (٦: ٣) على المرء أن يتعد في النكاح عن هذه الأسر العشر، ولو كانت من الأسر الكبيرة الثرية. (٣: ٧) هذه الأسر هي: (١) الأسرة المهملة للطقوس الدينية (٢) الأسرة التي لا يولد فيها ذكور (٣) الأسرة التي لا تتدارس الويد (٤) الأسرة التي يكثر الشعر على أبدان أفرادها (٥) الأسرة المصابة بداء البواسير (٦) الأسرة المصابة بداء السل (٧) الأسرة المصابة بسوء الهضم (٨) الأسرة المصابة بداء الصرع (٩) الأسرة المصابة بالجذام الأبيض (١٠) الأسرة المصابة بالجذام الأسود. (٣: ٨)

ويجب أن يتعد في النكاح عن المرأة الشقراء وزائدة الأعضاء والمريضة وكثيرة شعر البدن أو عديمته والثرثارة وذات العين الزرقاء.

كذلك؛ **قوانين مانو (٣: ١١)**: لا تنكح من لم يكن لها أخ أو لا يعرف أبوها، خيفة أن تكون متبناة في الحالة الأولى أو أن ترتكب إثماً في الحالة الثانية.

كذلك؛ **قوانين مانو (١١: ١٧٢)**: ويكفر بالكفارة القمرية من يزني بابنة عمته او ابنة خالته أو ابنة خاله. (١٧٣) على العاقل ألا يتخذ واحدة من هؤلاء الثلاث زوجة له لأنهن أقرب قريباته ومن يفعل ذلك تنحط منزلته.

ج. اختيار الزوج

جاء في **قوانين مانو: (٩: ٤)**: إن الأب ملوم إذا لم يزوج ابنته في سن الزواج،...

قوانين مانو (٩: ٨٩): على الأب أن يعطي ابنته وفقاً للأصول لخطيبها إن كان كفوًا ووسيمًا وهو من فرقها نفسها وإن كانت البنت لم تبلغ مبلغ الزواج بعد. (٩٠) وخير للبنت أن تبقى عانسًا في دار أبيها حتى الموت من أنت تعطى لرجل عارٍ من المحامد والفضائل.

د. سن الزواج

جاء في **قوانين مانو: (٩: ٩٥)**: يجب أن يتزوج من هو في سن الثلاثين من الرجال من البنت التي تعجبه وهي في سن الثانية عشر، ومن هو في سن الرابعة والعشرين من البنت التي في سن الثامنة وأما من قد أنهى فروضه قبل ذلك فله أن يتزوج قبل هذه المدة.

هـ. تزويج الفتاة لنفسها

جاء في **قوانين مانو: (٩: ٩١)**: للبنت الحق بعد مرور ثلاث سنوات على بلوغها سن الرشد أن تبغي لنفسها زوجًا من فرقها ذاتها. (٩٢) لا تأثم البنت التي

تزوج نفسها ولا يأثم من يتزوجها إذا لم يزوجها أولياؤها. (٩٣) يجب على البنت التي تزوج نفسها ألا تأخذ معها من دار أبيها أية حلية أعطيت لها من قبل أبيها أو أمها أو أخيها وتعد سارقة إن فعلت ذلك. (٩٤) ليس على الزوج الذي يتزوج من بنت تزوجت منه برضاها وبمطلق إرادتها مهر لأبيها، لأن حقوق الأبوة قد سقطت عنها لتسببه بتأخير النتيجة المنتظرة منه بعد بلوغها.

و. الزواج والطبقية

على الرجل أن يتزوج بامرأة من طائفته أو من طائفة أدنى منها، ولكن الرجل الذي يتزوج بواحدة من «الشودرا» يصبح مفضوحاً مهتوك السّتر، ويترد من طائفته، ويصيبه خزيٌّ في الدنيا والآخرة، فلا يتزوج نساء الشودرا إلا رجلاً من الشودرا. ويمكن للبرهمن أن يتزوج امرأة من الكشترية أو من الويشية، ولا يصح العكس، فمن معتقدات الآريين أن الأب الذي هو من طائفة أعلى من طائفة زوجته يستطيع أن ينقل بعض صفاته إلى ابنه، وأن الأب الذي هو أدنى من طائفة زوجته يُنزل هذه الزوجة وأولاده منها إلى مستواه، فيُنظر في عدم الكفاءة الحقيقية في الزواج إلى زواج المرأة من حيث الدراري (٢٧٩).

ز. أنواع الزواج

جاء في شرائع مانو «منو سمرتي»: (٣: ٢٠): والآن اسمعوا باختصار مصنف أنواع الزواج الثمانية المستعملة عند الفرق الأربعة... (٣: ٢١) هي زواج (١) برهم (٢) ديو (٣) رشي (٤) برجابته (٥) أُسر (٦) كندهرب (٧) راكشش (٨) بشاج.

(٣: ٢٣): إن الأنواع الستة الأولية مشروعة وجائزة للبرهمن. والأنواع الأربعة الأخيرة مشروعة للكشترية. والأنواع الثلاث الأخيرة مشروعة للويش والشودر معاً.

(٢٧) إن زواج «برهم» هو إهداء البنت بعد إلباسها ثياباً ثمينة وحلية قيمة إلى رجل عالم بالويد، له أخلاق رضية وسيرة حسنة لتكون له زوجاً. (٢٨) إن زواج «ديو» هو إهداء البنت بعد إلباسها ثياباً ثمينة وحلية قيمة إلى عالم ديني، قائم بعبادته في أوقاتها حق القيام. (٢٩) إن زواج «رشي» هو أن يهدي رجل ابنته إلى رجل يدفع له بقرة وثورًا أو بقرتين وثورين تحليلاً للشرع. (٣٠) إن زواج «برجباته»، هو إهداء الرجل ابنته إلى رجل ما بعد أن يعظهما معاً، على أن يقوم كل واحد بواجباته. ثم يكرم العروس. (٣١) إن زواج «أسر» هو أن يدفع العريس مالا إلى امرأة ويدفع مثله إلى أهلها، ويتزوج منها. (٣٢) إن زواج «كندهرب» هو أن يتزوج رجل من امرأة عن طيب خاطر ورضاء منها بغية إطفاء الشهوة الجنسية فقط. (٣٣) إن زواج «راكشش» هو أن يتزوج رجلاً من امرأة جبراً بعد أن يخرجها من دار أبيها، وهي تبكي وتنتحب. وبعد أن يكون قد قتل أهلها أو جرحهم أو هدم دارهم عليهم. (٣٤) أما زواج «بشاج» الذي هو أحط كل هذه الأنواع الآنف ذكراً، فهو أن يعبث رجل بامرأة وهي نائمة أو في حالة سكر أو غيبوبة.

ح. وصايا للأزواج والزوجات

وما فرضته شريعة منو على الزوج من الوفاء لزوجته والعناية بها ليس بأقل مما فرضته على الزوجة، وهذه الشريعة قد رأت أن سعادة العرق في الحال والمستقبل قائمة على اتحاد الجنسين بالزواج، فأوصت الرجل أن يختار زوجةً صالحة له فلا يستطيع أن يتركها بعدئذ إلا إذا أبغضته أو كانت عاقراً أو كانت لا تضع غير إناث. ويجب على الزوج أن يدخل السعادة إلى قلب زوجته قبل كل شيء، فمما يقوِّض دعائم المنزل أن تعامل المرأة بعنف أو ألا تكون موضع احترام ممن يحيطون بها (٢٨٠).

جاء في **قوانين مانو**: (٨: ٢٧٥): إن من أهان أمه أو أباه أو زوجته أو أخاه أو ابنه أو أستاذه وكذلك من لا يفسح الطريق لأستاذه لكي يمر يعاقب بمائة بن (٢٨١).

قوانين مانو (٩: ٢): يجب أن تكون المرأة ليلاً ونهاراً تحت إمرة رجال أسرتها، ويجب أن توضع تحت مراقبة واحد منهم إذا ما لوحظ منها ميل إلى الأهواء. (٣) لا تليق الحرية المطلقة بالمرأة قط، بل يجب أن يراها أبوها في صغرها وزوجها بعد ذلك وابتها في كبرها.

قوانين مانو (٩: ٥) يجب أن ترعى المرأة وتحفظ من الأهواء السيئة مهما كانت قليلة في ظاهرها، لأن النساء يجرن على ذويهن وبالأ إذا لم يحفظن. (٦) إن حفظ الزوجة هو أعظم فرض على كل الفرق لذلك يجب على الرجل مهما كان ضعيفاً ألا يقصر في حفظها. (٧) إن من يصون زوجته يصون نسله ويصون الفضيلة والأخلاق ويصون أسرته ونفسه ويصون وسيلة تحقيق الثواب.

قوانين مانو: (٩: ١١): على الرجل أن يعهد إلى زوجته بجميع أمواله وبأمر الإنفاق وأن يحثها على الاعتناء بنظافة كل شيء وبأداء الفروض الدينية وبإعداد طعامه وملاحظة الأواني والأوعية المنزلية.

قوانين مانو (٥: ١٥٤): فعلى المرأة المخلصة أن تحترم زوجها كالله ولو كان عارياً من كل فضيلة وكان يميل إلى غيرها. (١٥٥) ليس على المرأة أن تقوم مستقلة عن زوجها بعمل مقدمة ولا أن تنذر نذراً ولا أن تصوم. لأن المرأة المطيعة لزوجها تنال الفردوس الأعلى باطاعتها فقط. (٢٨٢) (١٥٦) إن المرأة المخلصة التي تريد أن تتمتع بقرب زوجها منها بعد الموت، عليها ألا تفعل ما يمقته أو يغضبه سواء كان حياً

(٢٨١) عملة هندية قديمة.

(٢٨٢) لا تكلف المرأة الهندوسية بأي أمر من أمور الدين ويكفيها أن تطيع زوجها وحسب. يمكنها فقط أن تشارك زوجها في بتدماته لأن تقوم مستقلة بذلك.

أو ميتاً. (١٥٧) على الزوجة أن تقتات بعد وفاة زوجها بالزهور والجدور والفواكه ليضمّر جسمها. وأن ترعى ذمامه بالألا تذكر بقمها بعد موته اسم أي رجل مهما يكن من شأنه. (١٥٨) وعليها أن تكون صابرة على الشدائد، ضابطة حواسها، عفيفة حتى الموت. وأن تسعى جهد طاقتها للقيام بواجبات الزوجات... (١٦٠): فالمرأة التي تبقى عفيفة بعد موت زوجها، تذهب كذلك إلى النعيم كما ذهب هؤلاء وإن لم تعقب ولداً. (١٦١) إن المرأة التي تنكث عهدها بعد زوجها الأول بغية الحصول على الأولاد لا تحمد في هذا العالم وتخسر قرب زوجها منها في النعيم. (١٦٢) لأن الأولاد الذين يولدون في مثل هذه الحالة لا يكونون شرعيين. كما أنهم لا ينسبون إلى صاحب النطفة هذا، بالإضافة إلى أن الزواج الثاني لا يستحسن للمرأة العفيفة (٢٨٣).

ط. تعدد الزوجات

قوانين مانو (٧٨: ٩): على الرجل أن يحتمل زوجته التي تكرهه سنة واحدة فليئن ثابت بعدها إلى رشدتها فقد نعمت، وإلا فله أن يجردها من كل أموالها ويمتنع عن اقترابها. (٧٩) إن المرأة التي لا تحترم زوجها لعيوب فيه مثل لعب القمار والسكر والحرص، يجب أن تحتمل ثلاثة أشهر ثم للزوج أن يجردها من متاعها وأثاثها. (٨٠) إن المرأة التي تنفر من زوجها لجنون فيه أو لأنه من الأسافل أو لأنه خصي أو عنين أو مصاب بأمراض جزاء آثام ارتكبتها، لا تسلب أموالها منها ولا تطرد. (٨١) للزوج أن يتزوج على امرأته في أي وقت إن كانت سكيرة أو سيئة السيرة أو كثيرة الخصام أو مريضة أو مسرفة. (٨٢) للزوج أن يتزوج على زوجته العقيم بعد ثماني سنوات، وعلى الزوجة التي لا يعيش أولادها بعد عشر سنوات، وعلى أم البنات بعد إحدى عشر سنة، وأما

(٢٨٣) تبين هذه الفقرة أن أولاد المرأة من غير زوجها الأول لا يكونون شرعيين والأمر الثاني أنهم لا ينسبون إلى صاحب النطفة «الزوج الثاني» ولا إلى زوجها الأول لأنه لم يأذن لها بذلك.

كثيرة الخصام فله أن يتزوج عليها بلا مهلة. (٨٣) للرجل أن يتزوج على زوجته الفاضلة، حميدة السيرة، المحسنة إليه، برضاها، لأن مثلها من النساء يجب ألا تؤذى أو تعامل بسوء. (٨٤) تمسك المرأة في الدار أو تطرد منه بحضور الأهل، إن تركت الدار وذهبت غاضبة بسبب زواج زوجها من غيرها.

ي. الحط من منزلة الزوجة

قوانين مانو (٥: ١٤٨):... يجب أن تكون في صغرها تابعة لأبيها، وفي صباها لزوجها، وإذا مات زوجها فلائنها. ولا تكون المرأة مطلقة الحرية قط. (١٤٩): على المرأة ألا تسعى للانفصال عن: أبيها أو زوجها أو ابنها. لأنها بانفصالها عنهم تذل أسرتها وأسرته زوجها معاً. (١٥٠) وعليها أن تكون دائمة النشاط والمرح، حاذقة بطرق استمالة زوجها إليها، معنية بنظافة حوائجها. مقتصدة بالنفقة. (١٥١) وعليها أن تقوم بواجباتها نحو زوجها الذي دفعها أبوها إليه أو دفعها أخوها بإذن أبيها إن كان حياً وأن ترعى ذمامه إن مات. (هذه الفقرة تدل على أن أمر حرق الزوجة نفسها فوق زوجها إن مات، هو بدعة وليس من الدين الهندوسي في شيء.)

قوانين مانو (٨: ٢٩٩): لا حرج بضرب الزوجة والابن والگلام والتلميذ والأخ الصغير بحبل أو قضيب من الخيزران إذا أذنبوا لتأديبهم. (٣٠٠) وليكن الضرب على الظهر فقط لا على الأعضاء الشريفة. ومن يفعل ذلك يرتكب إثم اللص.

قوانين مانو (٨: ٤١٥): لا ملكية للزوجة ولا للابن ولا للگلام. بل كل ما يكسبونه هو ملك لمن يتمون إليه.

ك. زواج الأرملة

لا نجد في التعاليم الهندوسية ذكر لنكاح الأرملة، وجرت العادة بحث الأرملة على اختيار الموت مع الزوج المتوفي، فكانت المرأة الهندوسية تجلس مع زوجها المتوفي على النار وتحترق معه. ويعتبر هذا من أعمال البر والفضيلة للمرأة الهندوسية. وهذه العادة كانت سائدة في أنحاء الهند ذكرها مؤرخو اليونان في كتبهم العتيقة قبل الميلاد. وأما الآن فإن القوانين الهندية تمنع هذه العادة. والأرملة التي تبقى على قيد الحياة تعيش حياة قاسية، وفي الغالب أنها تقدم هدية للمعابد لخدمة المعبد والراهب.

ل. موقعة الأرملة لأحد أقرباء الزوج

هناك تعاليم أخرى هندوسية تسمح للأرملة التي لم تنجب من زوجها الأول بموقعة أحد أقارب الزوج بنية الانجاب على أن يُنسب المولود للزوج المتوفي، جاء في **قوانين مانو**: (٩ : ٦٠): يجوز للمرأة - بالإذن - إذا عدت الأولاد أن تواقع أخت زوجها أو أحد أقاربه، سبند، ^(٢٨٤) بالطرق المشروعة بغية الحصول على أولاد..... (٦٣) إذا تم الغرض والقصد الذي كان السبب لموقعة هذين الشخصين فعليهما أن يعيشا بعد ذلك كالحمي والكنة. (٦٤) إذا عصي هذان الاثنان هذه الأحكام واستمرت علاقتهما الجنسية قائمة بعد نسل الأولاد فإنهما يصبحان كالأسافل. (٦٥) إن الذي يأذن من المولودين ثانياً لامرأة أيم بموقعة رجل بعد زوجها يعصي القانون الأزلّي ^(٢٨٥).

(٢٨٤) القرابة عند الهندوس نوعان:

(١) المقربون «سبند». و(٢) القرابة البعيدة: أكبر من سبعة أجداد «سمانودك».

(٢٨٥) هناك مشكلة نصية حول هذه الفقرة وما بعدها، حيث إنهم يتعارضون مع ما قبلهم، وقد صرح بعض علمائهم أنها فقرات أضيفت على الكتاب لاحقاً.

م. زواج المطلقة

لم ترد أي نصوص تفيد السماح بالزواج من المطلقة أو بزواج المطلقة برجل آخر في شرائع مانو.

ن. تعليق عام

«في العصور القديمة، كانت حرية النساء في المجتمع الهندوسي محدودة. تم شراء النساء وبيعهن واختطفهن وتزويجهن قسراً وإجبارهن على العبودية أو الدعارة. لم يكن هناك شيء مثل المفهوم الحديث للطلاق أو الانفصال القانوني في المجتمع الهندوسي. بمجرد مغادرة المرأة لمنزل والديها، كانت تحت رحمة زوجها أو والديه تماماً، وإذا وجدها غير متوافقة أو غير جذابة وتخلى عنها، لم يكن لديها الكثير مما يمكنها فعله. ليس لها الحق في الطلاق، ولا الحق في الزواج مرة أخرى»^(٢٨٦).

٢. الزواج والطلاق في الزرادشتية

هناك مرحلتان للزفاف الزرادشتية؛ في المرحلة الأولى يوقع العروس والعريس وولي أمرهما عقد الزواج ويكون ذلك بحضور عدد من أقارب الطرفين. والمرحلة الثانية هي حفل الزواج. ولا توجد نصوص تشريعية لشروط عقد الزواج. كذلك فإن هناك مهر يدفع في الزواج في الزرادشتية، ولكن لا توجد نصوص تشريعية للمهر باعتباره شرطاً من شروط عقد الزواج.

أ. تعدد الزوجات

قامت الأسرة في الزرادشتية على أساس تعدد الزوجات. وقد كان عدد الزوجات اللاتي يتخذهن الرجل على قدر إمكاناته، وكان المضيق عليه في الرزق يتخذ زوجة واحدة^(٢٨٧).

(٢٨٦) مترجم من: الموقع الهندوسي (الهندوسية والطلاق) (أبريل ٢٠٢٤):
<https://www.hinduwebsite.com/hinduism/hidivorce.asp>

(٢٨٧) مترجم من: موقع الموسوعة الإيرانية (قوانين الأسرة والمرأة في الأفيستا) (أبريل ٢٠٢٤):
<https://www.iranicaonline.org/articles/family-law>

ب. الطلاق والرجعة

الطلاق ميسر ومسموح به في الزرادشتية، والرجل ملزم بأن يرد إلى زوجته التي طلقها، ما أخذ من مالها الخاص، وحين يتم الطلاق برضا الزوجة، لا يكون لها الحق في المطالبة بالأموال التي كان الزوج قد منحها لها أثناء الزواج. ولم تذكر النصوص الزرادشتية أي شيء عن الرجعة (٢٨٨).

ج. زواج المحارم

اقتضت العناية بنقاوة دم الأسرة إلى جواز الزواج من المحارم؛ بين الأب وابنته أو بين الأخ وأخته، وبين الأم (٢٨٩).

٣. الزواج والطلاق في الجينية

لا توجد نصوص في الجينية تخص الزواج وشروطه وأحكامه، ولكن - كما هو الحال - في جميع المجتمعات الهندية، يعتبر الزواج حدثاً مجتمعياً ليس فقط لشخصين، ولكن لأسرتين سيتحددا معاً. ولا يوجد مهر يُدفع في مجتمع الجينيين ولا توجد تشريعات بذلك، ولكن يسمح بتبادل الهدايا بين الطرفين.

أ. تعدد الزوجات

تم السماح بتعدد الزوجات وممارسته في مجتمع الجينيين في العصور القديمة، فقد كان تعدد الزوجات موضة بين الأغنياء والقطاعات الحاكمة. وقد اعتبر الملوك والأمراء امتياز وجود تعدد للزوجات، يعزز سلطتهم السياسية من خلال عقد العديد

<https://iranicaonline.org/articles/women-ii-avesta>

(٢٨٨) المصدر السابق.

(٢٨٩) يُنظر: تاريخ الديانة الزرادشتية، عبد الله مبلغى العباداني، تعريب: عبد الستار كلهور، مؤسسة موكرياني، العراق،

٢٠١١. ص ١٠٥-١٠٦؛ والزرادشتية، د. جمشيد يوسفى، م سابق، ص ٢٠٠/٢٠١.

من التحالفات الزوجية الحكيمة، وقد اعتبر الأثرياء تعدد الزوجات دليلاً على ثروتهم وسمعتهم ومكانتهم الاجتماعية.

الإشارات إلى تعدد الزوجات عديدة في نصوص الجينية، ويمكن ذكر أسماء الملك بهاراتا الملك فيكاماغاسا والملك سينيا (٢٩٠). حتى وقت قريب جداً، كان تعدد الزوجات هو العادات الأكثر انتشاراً بين الجينيين ونتيجة لذلك كان هناك العديد من الإناث المتزوجات أكثر من الذكور المتزوجين. علاوة على ذلك، لا يوجد أمر ديني ضد عادة تعدد الزوجات. بموجب القانون الجيني، يجوز للرجل أن يتزوج أكثر من زوجة، أي أنه يجوز له الزواج مرة أخرى في حضور زوجة واحدة، وللقيام بذلك، تم تحديد قواعد معينة (٢٩١).

ب. الطلاق والرجعة

وإن كان الطلاق مسموحاً به برغبة أحد الطرفين، إلا أنه يعتبر نوعاً من المحرمات. يقولون بأن الجينية هي دين يعلم أن المسالمة هي ذروة كل شيء في رحلة تحرير الروح. والسلام أمر بالغ الأهمية. ونذر «قسم» اللاعنف (الأهيمسا AHIMSA) هو من أساسيات الجينية، والطلاق يعتبر عدواناً، ويشكل العدوان شكلاً صريحاً من أشكال العنف. يعتبر فعل الطلاق من الشريك مناهضاً للأهيمسا. والغرض من الجينية هو التغلب على الصراعات التي قد تؤدي إلى ردود أفعال متهورة (٢٩٢).

ولا توجد نصوص تخص الرجعة أو الزواج من المطلقة أو الأرملة.

(٢٩٠) ملوك في بداية نشأة الجينية.

(٢٩١) مترجم من: موقع المنظمة الجينية، (الزواج)، (أبريل ٢٠٢٤):

<https://www.jainsamaj.org/literature/preview.php?id=MTM0MA==&tab=IG1hc19saXRlcmF0dXJl>

(٢٩٢) المصدر السابق.

ج. نكاح المحارم

لا يوجد في الجينية نكاح محارم، بل إن زواج الأقارب من المحرمات، فلا يتم الزواج بين الأقارب الذين يشتركون في اسم الجد، أو لقب عائلة والد الأم، أو اسم أو لقب عائلة أم الأب؛ بذلك لا يسمح بزواج أولاد العم والخال والخاله والعمة. (٢٩٣).

٤. الزواج والطلاق في الكونفوشيوسية

في حين أن الزواج والأسرة شكلاً دائماً أساس المجتمع الصيني، إلا أن الكونفوشيوسية خلت من أمور الزواج التشريعية وتركت الأمر للعادات والتقاليد الرائجة؛ فبالرغم من قدم الكونفوشيوسية (٢٥٠٠ عام)، إلا أنها تستند في تشريعاتها على القوانين والكتابات التي صدرت بعد نشأتها بحوالي ١٥٠٠ عام، وقد كانت الكونفوشيوسية تسمح بتعدد الزوجات، حتى صدرت القوانين التي تمنع ذلك في القرن العشرين نتيجة لاعتناق الأفكار الغربية من الزواج الأحادي والمساواة التي أدت إلى تغيير مؤسسة الزواج والأسرة الموروثة من أواخر العصر الإمبراطوري. (٢٩٤)

٥. الزواج والطلاق في البوذية

الزواج من المنظور البوذي، هو أمر لا ديني (علماني)، فلا توجد تشريعات له أو طقوس دينية، فالزواج في البوذية هو فقط ترتيب بين شخصين أو عائلتين.

كذلك لم يؤكد بوذا على الزواج الأحادي أو تعدد الزوجات أو تعدد الأزواج أو أي شكل آخر من أشكال الزواج. وقد مارس بعض البوذيين تعدد الزوجات حيث لا يوجد نهي عنه، وقد كان تعدد الأزواج الأخوي شائعاً في التبت حتى وقت قريب.

(٢٩٣) المصدر السابق.

(٢٩٤) مترجم من: دراسات أسويوية، (أبريل ٢٠٢٤):

وفي مرتفعات سريلانكا خلال فترة القرون الوسطى، كان يمارس تعدد الزوجات، ولا يزال في أجزاء من لاداخ وسبتي، وقد مارست بعض النساء تعدد الأزواج. ولكن في العصر الحالي فإن القوانين منعت تعدد الزوجات (٢٩٥).

٦. الزواج والطلاق في التاوية

لا توجد تشريعات وشروط للزواج في التاوية، بل ترك الأمر للعادات والتقاليد ثم أخذ مظهرًا دينيًا فأصبح يُعقد في المعابد بحضور الكهنة. وقد كان تعدد الزوجات قائمًا وغير محدد العدد وقت نشأة التاوية وانتشارها في الصين متزامنة مع انتشار الكونفوشيوسية (٢٩٦). كذلك لا توجد تشريعات تخص الطلاق والرجعة، بل يتم الانفصال برغبة أحد الزوجين.

٧. الزواج والطلاق في الشنتوية

لا توجد نصوص وتشريعات خاصة بالزواج في الشنتوية والطلاق، تعدد الزوجات كان يمارس في مجتمع الشنتو حتى تم منعه بالقانون في العام ١٨٨٠ (٢٩٧). ولا توجد نصوص في الشنتوية تخص نكاح المحارم، ولكن كانت القذارة أو عدم النقاء تتمثل في: سفاح القربى بين الوالدين والطفل، أو للرجل مع حماته أو ربيبة

(٢٩٥) مترجم من: البوذية (الزواج، أبريل ٢٠٢٤):

<http://buddhisma2z.com/content.php?id=248>

وحقائق وتفصيل (أبريل ٢٠٢٤):

<https://factsanddetails.com/world/cat55/sub398/entry5668-.html>

والمؤسسة البوذية (أبريل ٢٠٢٤):

<https://www.budsas.org/ebud/whatbudbeliev/237.htm>

(٢٩٦) راجع المرأة في الصين في الجزء الخاص بمكانة المرأة في الكونفوشيوسية.

(٢٩٧) مترجم من: دراسات التعدد في الماضي (أبريل ٢٠٢٤):

<https://ifstudies.org/blog/our-unequal-polygamous-past>

(ابنة زوجته)، كان مسموحًا بالزواج مع الأخت نصف الشقيقة من جانب الأب، ولكن الأخت نصف الشقيقة من جانب الأم كان غير قانوني ومسيء للآلهة (٢٩٨).

٨. الزواج والطلاق في السيخية

يسمى زواج السيخ «أناند كاراج». وفقاً لقانون السيخ المعتمد مركزياً (السيخ ريه مريادا)، لا يمكن الانضمام إلى الزواج من قبل مراسم أناند كاراج للأشخاص الذين لا يعتنقون ديانة السيخ.

لا يمكن للسيخ الحصول على الطلاق إلا إذا كان هناك سبب وجيه؛ على سبيل المثال، الجنون أو الهجر أو القسوة أو العجز الجنسي أو الزنا أو تغيير الدين. بالإضافة إلى ذلك، لن يتم منح الطلاق إلا إذا فشلت محاولات الأسرة لإصلاح العلاقة والتوفيق بين الزوجين. فالطلاق أمر مخز في مجتمع السيخ، وخاصة بالنسبة للنساء.

كما لم تحدد السيخية، الرجعة ووقتها، ولكن يمكن أن يتم الصلح بين الزوجين وعودة الحياة الزوجية. ولا يسمح السيخ بتعدد الزوجات، ويسمحون بزواج الأرملة والمطلقة خلافاً للهندوسية. كما تحرم السيخية دفع مهر للمرأة عند الزواج. كما لا يوجد تصريح بنكاح المحارم في السيخية، وقد أخذت هذه الأحكام نقلاً عن الهندوسية التي لا تسمح بالزواج من الأقارب مثل ابنة الخال أو ابنة الخالة أو ابنة العمّة. (٢٩٩)

(٢٩٨) مترجم من: الموسوعة البريطانية، السفاح (أبريل ٢٠٢٤):
<https://www.britannica.com/topic/tsumi>

(٢٩٩) مترجم من: زواج السيخ:

٩. الزواج والطلاق في اليهودية

أ. الزواج في التوراة:

يُعتبر بقاء اليهودي في العزوبة أمرًا منافيًا للدين، وتُشجّع العقيدة اليهودية (اليهود) على الزواج والإنجاب، وقد وردت نصوص كثيرة في التوراة تحثُّ على الزواج، منها:

١. ما جاء في سفر (التكوين ٢٨: ١): «وباركهم الله، وقال لهم: اثمروا، وأكثروا، واملأوا الأرض».

٢. وفي سفر (الأمثال ٢٢: ١٨): «من يجد زوجة يجد خيرًا، وينال رضا من الرب».

٣. وفي سفر (التكوين ١٨: ٢): «وقال الرب الإله: ليس جيدًا أن يكون آدم وحده، فاصنع له معيّنًا نظيره».

وعلى الرغم من مشروعية الزواج في التوراة، والحض على العفة الجنسية، ورغم تبين أحكام الحل والحرمة في العلاقات الزوجية، إلا أنه مع ذلك فإن الناظر يجد فيها إباحيات كثيرة، وكلامًا فاحشًا، واتهامًا لبعض الأنبياء بالزنا، وكثيرًا من الأمور التي لا يصح نسبتها إلى التوراة الأصلية نهائيًا.

وسنذكر بعض تناقض التوراة (دون تعليق في الغالب؛ لأن تلك النصوص

تحكي عن نفسها بوضوح):

١. إباحة المرأة واتهام داود بالزنا:

فقد ورد في التوراة في سفر (الملوك الأول ١: ١ - ٤): «وشاخ الملك داود، وتقدم في الأيام، وكانوا يدثرونه بالثياب، فلم يذفأ، فقال له عبده: ليفتشوا سيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك، ولتكن له حاضنه؛ ولتضطجع في حضنك، فيذفأ سيدنا الملك، ففتشوا على فتاة جميلة في تخوم إسرائيل، فوجدوا (أبشيج الشمونية) (٣٠٠)، فجاؤوا بها إلى الملك، وكانت الفتاة جميلة جدًا، وكانت حاضنة الملك، وكانت تخدمه، ولكن الملك لم يعرفها».

٢. إباحة خطف النساء:

فقد جاء في سفر (القضاة ٢١: ١٦ - ٢٢): «فقال شيوخ الجماعة...، وأوصوا بني بنيامين قائلين: امضوا، واكنموا في الكروم، وانظروا، فإذا خرجت (بنات شيلوة) (٣٠١)؛ ليدرن في الرقص، فأخرجوا أنتم من الكروم، واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوة، واذهبوا إلى أرض بنيامين» (٣٠٢).

٣. التوراة تبیح -كذبًا على داود- اغتصاب الزوجات:

فتدعي التوراة أن وسيط داود انتزع زوجة من رجلها، الذي كان يسعى وراءها ويكي ويُطرد؛ لتكون زوجه لداود التي خطبها لنفسه، وهي متزوجة بمائة غلغة من الفلسطينيين! أي بقتل مئة من الفلسطينيين ويقطع غلغهم من ذكورهم؛ ليقدمها مهرًا

(٣٠٠) هي المرأة التي اختيرت أمة لداود للعناية به. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مجموعة من اللاهوتيين، مكتبة المشغل، بيروت، ط٦، ١٩٨١، ص ٢٢.

(٣٠١) هي مدينة شمالي بيت (إيل) بين بيتين ونابلس. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٣٥.

(٣٠٢) هو ابن يعقوب من امرأته راحيل، وكان أصغر إخوته. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٩٢.

لزوجته المغتصبة من زوجها، فكان الختان اليهودي الذي يمثل العهد المقدس اليهودي مهرًا لامرأة حرام (٣٠٣).

ب. إلزام أخ المتوفى بالزواج من أرملة أخيه:

فتوجب التوراة على الأرملة، ويطلقون عليها (بيامه) أن تتزوج من أخي زوجها، ولا يحق لها أن تتزوج بغيره من خارج البيت، فإن رفض ففي ذلك الذلة والمهانة (٣٠٤)؛ إذ تقول التوراة:

سفر (التثنية ٢٥: ٥-٦): «إذا سكن إخوة، ومات واحد منهم، وليس له ابن، فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي...، أخو زوجها يدخل عليها، ويتخذها لنفسه زوجة، ويقوم لها بواجب أخي الزوج، والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت؛ لئلا يمحي اسمه من إسرائيل».

والأشد في هذا تقول التوراة مكملة في سفر (التثنية ٢٥: ٧-١٠): «وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ، وتقول: لقد أبي أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسمًا في إسرائيل...، لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج، فيدعوه شيوخ مدينته، ويتكلمون معه، فإن أصر وقال: لا أرضى أن أتخذها، تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ، وتخلع نعله من رجله، وتبصق في وجهه، وتصرخ وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه، فيُدعى في إسرائيل بيت مخلوع النعل».

ج. وثيقة الزواج عند اليهود:

وثيقة الزواج مصطلح يقابله في العبرية كلمة (كتوباه) وهي الوثيقة التي تُسجَّل فيها الالتزامات المالية والأخلاقية للعريس تجاه عروسه، وتعتبر وثيقة الزواج أحد شروط الزواج حسب الشريعة اليهودية.

(٣٠٣) القصة الكاملة في سفر صموئيل الثاني (٣: ١٤ - ١٧).

(٣٠٤) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، م سابق، ص ١٣٧.

ويجب أن تحمل الوثيقة توقيع شاهدين، وتُكتب «الكتوباه» عادةً «بالآرامية»، ويُضاف إليها الآن ملخص بلغة البلد الذي يعيش فيه اليهودي، وتحفظ العروس بالوثيقة.

وقد قام اليهود المحافظون بتعديل صيغة الشهادة، وأما اليهودية الإصلاحية فتخلت عنها تمامًا، ويتناول الجزء الخاص من التلمود والمسمّى (كتبوت) كل الأمور المتعلقة بهذه الوثيقة، وعادةً ما كانت هذه الوثيقة تُكتب على الرق، وتُزيّن حوافها (٣٠٥).

د. تعدد الزوجات عند اليهود:

لا تُحرّم اليهودية تعدد الزوجات، وليس في الدين عندهم حد أقصى لتعدد الزوجات، وإن كان الفقه اليهودي قد منعه ابتداءً من القرن الحادي عشر في الغرب، ثم امتد المنع إلى كثير من بلاد العالم الأخرى، وإن كان لا يزال هناك بعض اليهود يمارسون هذا الحق الشرعي (٣٠٦).

فقد جاءت النصوص من التوراة كما يلي:

- سفر (التثنية ٢١: ١٥). إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة).
- جاء عن نبي الله إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** أنه تزوج السيدة هاجر وأنجبت له إسماعيل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، بينما رزقه الله من السيدة سارة **يَسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

(٣٠٥) موسوعة قصة الحضارة: (١٤ / ١٨٥). اليهود الأرثوذكس «الأصوليون» يقابلهم الفريسيون قديمًا، يتساهل التيار الإصلاحية كثيرًا، ويظل تيار المحافظين وسطًا بين الأرثوذكس والإصلاحيين.
(٣٠٦) يُنظر: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، م سابق، ص ١٩٣-١٩٤؛ وموسوعة اليهود واليهودية، م سابق: (١٤ / ١٨٤).

• جاء عن يعقوب **عَلَيْهِ السَّلَامُ** (إسرائيل) في العهد القديم أنه كان متزوجاً من أختين، وأعطته كل واحدة منهما جاريتها لينجب منها، فأنجب من الأربعة أسباط بني إسرائيل الاثني عشر. كما في سفر (التكوين ٣٠: ٢ فحامي غضب يعقوب على راحيل وقال ألعلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن ٣ فقالت: هوذا جاريتي بلهة أدخل عليها فتلد على ركبتي وأرزق أنا أيضا منها بنين ٤ فأعطته بلهة جاريتها زوجة. فدخل عليها يعقوب).

• جاء عن نبي الله سليمان في العهد القديم أنه كان متزوجاً ٧٠٠ من النساء وله من السراري ثلاثمائة! (وهذا لم يبطل نبوته في نظرهم بالإضافة لما نسبوه إليه من عبادة للأصنام!).

سفر (الملوك أول ١١: ٣ وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأملت نساؤه قلبه. ٤ وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمّلت قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه).

يقول (نيوفيلد) في كتابه (قوانين الزواج عند العبرانيين): «إِنَّ التَّلْمُودَ وَالتَّوْرَةَ مَعًا قَدْ أَبَاحَا تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الرَّبَّانِيِّينَ يَنْصَحُونَ بِالقَصْدِ فِي عِدَدِ الزَّوْجَاتِ، وَأَنَّ قَوَانِينَ الْبَابِلِيِّينَ وَجِيرَانِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ الَّتِي اخْتَلَطَ بِهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ، كَانُوا جَمِيعًا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ اتِّخَاذِ الزَّوْجَاتِ وَالْإِمَاءِ» (٣٠٧).

٥. الزواج من المحارم عند اليهود:

لا يحل لليهود الزواج من المحارم، وقد وردت عدة نصوص توراتية تنص على ذلك، منها:

١. جاء في سفر (اللاويين ٢٠: ١٠-١١): «وإذا زنا رجل مع امرأة. فإذا زنا مع امرأة قريبة، فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه، فقد كشف عورة أبيه، إنهما يُقتلان كلاهما، دمهما عليهما».
٢. وفي سفر (اللاويين ٢٠: ١٢): «وإذا اضطجع رجل مع كنته، فإنهما يقتلان كلاهما، قد فعلا فاحشة، دمهما عليهما».
٣. وفي سفر (اللاويين ٢٠: ١٧): «وإذا أخذ رجل أخته، بنت أبيه، أو بنت أمه، ورأى عورتها، ورأت عورته، فذلك عار يقطعان أمام أعين شعبهما، قد كشف عورة أخته، يحمل ذنبه».

و. ثبوت الطلاق في الشريعة اليهودية (التوراة):

الطلاق ثابتٌ عند اليهود، فالشريعة اليهودية أباحَت الطلاق، وجعلته ضمن الأسس الدينية، وقد جاءت نصوص توراتية كثيرة، تُثبت الطلاق، منها:

١. ما جاء في سفر (التثنية ٢٤: ١ - ٣): « ١ إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَنَزَّجَ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ، وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدَيْهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، ٢ وَمَتَى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ، ٣ فَإِنْ أَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الْآخِرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدَيْهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ الْآخِرُ الَّذِي اتَّخَذَهَا لَهُ زَوْجَةً، ٤ لَا يَقْدِرُ زَوْجُهَا الْأَوَّلُ الَّذِي طَلَّقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذُهَا لِتَصِيرَ لَهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَنَجَّسَتْ ».

ويتضح لنا من هذه النصوص أن الشريعة اليهودية:

١. جعلت الطلاق بيد الرجل وتركته لمشيئته، فيجوز في شريعة التوراة أن يطلق الرجل امرأته بكل علة، ويجوز أن يتزوجها بعد أن تخرج من بيته رجل آخر.

٢. أنهم كانوا يطردون المطلقة من البيت، ولكن فيما بعد، أفتى الحاخام جرشوم بن يهودا المتوفى سنة ١٠٤٠م بتحريم طرد المرأة من بيت الزوجية، إلا إذا أفتى القاضي بطلاقها، أو اتفقت مع زوجها بالتراضي على الطلاق.
٣. وأنه لا يُعتبر الطلاق نافذاً حتى تصدر فيه وثيقة من الحاخام، وبهذه الوثيقة تستطيع المطلقة الزواج، وأما إذا لم تحصل عليها فلا يحق لها الزواج، ويعتبر زواجها بغير الوثيقة غير صحيح، وأولادها من ذلك الزواج غير شرعيين (٣٠٨).
٤. أن الزواج الثاني ينجس المرأة، ولا يجوز للزوج الأول الرجوع إليها؛ لأنها تنجست بزعمهم!

ز. العدة والرجعة في اليهودية:

لم تتطرق الشريعة اليهودية في العهد القديم (التوراة) إلى موضوع العدة، وما جاء من أحكام العدة عندهم فهو تشريع من رجال الدين اليهودي (٣٠٩).

وهذا مما يدل على قصور التشريع في العهد القديم عند اليهود في معالجة مثل هذه المسألة التشريعية المهمة؛ إذ لم ينص العهد القديم على ضرورة انتظار المرأة، وعدم زواجها بعد طلاقها أو وفاة زوجها؛ للتأكد من براءة رحمها من الحمل.

❖ عدة المرأة عند رجال الدين اليهودي:

حدّد رجال الدين اليهودي مدة العدة الشرعية للمطلقة والأرملة، فجاء في مجموعة «ابن شمعون» ما نصه: «لا يجوز العقد على المطلقة أو الأرملة قبل انقضاء

(٣٠٨) ينظر: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، م سابق، ص ١٩٧/١٩٨؛ وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية:

(٥/٢٥٢)؛ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، م سابق، ص ١٣٧/١٣٨.

(٣٠٩) المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، زكي على السيد أبو غضة، دار الوفاء، ٢٠٠٣، ص ٢٥٩/٢٦٠.

عدتها الشرعية تسعين يوماً، لا يحسب منها يوم الطلاق والوفاة أو يوم العقد. ولا بد من العدة في جميع الأحوال، حتى لو لم يكن غير التقديس، أو كان الرجل عنيماً أو مجبوباً، أو مريضاً أو غائباً، أو مسجوناً، أو كانت الزوجة صغيرة، أو عاقراً أو عجوزاً. وإذا كانت المطلقة أو الأرملة حاملاً فلا يجوز العقد عليها قبل الوضع، وإذا كان معها صغير تربصت حتى يكمل الستين. وإذا مات الصغير زالت العدة. وتنقضي العدة أيضاً في حياة الابن بالفطام، أو برضاع الصغير من غير أمه ثلاثة أشهر، ولم ترضعه فيها أمه أو كانت لا لبن لها» (٣١٠).

وهذا النص الفقهي اليهودي يُبين أن العدة في التشريع اليهودي قد تميزت بأمور، منها:

١. تحديد العدة للنساء بتسعين يوماً في كل الأحوال، ولا اختلاف في ذلك بين فرق اليهود، وسواء أكان الزوج عقيماً، أو مجبوباً، أو مريضاً، أو غائباً، أو مسجوناً، أو كانت الزوجة صغيرة، أو عاقراً، أو عجوزاً مقيمة مع زوجها، أو غير مقيمة، دخل بها أو لم يدخل.
٢. أنه لا يُحسب في العدة يوم الطلاق ويوم الوفاة ويوم العقد.
٣. إذا كانت المطلقة أو الأرملة حاملاً فعدتها بالوضع.
٤. إذا كان معها طفل صغير تنتظر حتى يكمل الستين، وإذا مات الصغير زالت العدة (٣١١).

(٣١٠) الأحوال الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مسعود بن شمعون، مطبعة كوهين روزنتال، مصر، ١٩١٢، ص ٣٥٤؛ والزواج والطلاق في جميع الأديان، عبد الله المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٩٦٦، ص ٤٧٥/٤٧٦.

(٣١١) المقارنات والمقابلات بين أحكام المرافعات والمعاملات والحدود في شرع اليهود، محمد حافظ صبري، مطبعة هندية، مصر، ط ١، ١٩٠٢، ص ١٠٣/١٠٢.

٥. وهناك أمر آخر، وهو من أكثر الأمور غرابة، وهو أن التراث التشريعي عند اليهود قد فرض على الرجل الذي توفيت زوجته أن يعتد مدة ثلاثة أعياد، لا يحسب فيها عيد الغفران، ولا عيد رأس السنة اليهودية. وكما أن الشريعة اليهودية لم تنص على نفقه العدة، أو أجره الحضانة^(٣١٢).

✦ رجوع المرأة لزوجها عند اليهود:

لا يوجد في التوراة بيان حكم الرجعة، إلا في صورة واحدة وهي حرمة رجوع الزوج إلى امرأته المطلقة إذا تزوجها غيره؛ لأنها تنجست بزعمهم.

فجاء في سفر (التثنية ٢٤: ٣ - ٤): «فإن أبغضها الرجل الأخير، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة، لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست؛ لأن ذلك رجس لدى الرب، فلا تجلب خطيئة على الأرض التي يعطيك الرب إلهك نصيباً».

وأما رجوع المطلقة لزوجها قبل أن تتزوج، فقد خلا الكتاب المقدس من بيان ذلك، وجاء بيانه في التشريع الفقهي اليهودي، حيث جاء في مجموعة «ابن شمعون» ما نصه: «وللرجل أن يعود إلى مطلقته يعقد عليها، ولا تعتد»^(٣١٣).

(٣١٢) ينظر: الطلاق في الديانات الثلاث، د. صالح الكيلاني، د. أنس الخلايلة، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد العشرين، جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ، ص ٩٥؛ وكتاب الأحوال الشخصية لغير المسلمين، محمد أحمد عابدين، المطبوعات الجامعية، مصر، ١٩٨٤، ص ١٨٧/١٨٨؛ والعدة في الإسلام وأثرها في المجتمع، د. سامية محمود حنظلة، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ٢٠٢٠، ص ١٣.

(٣١٣) الأحوال الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، م. سابق، ص ٣٥٤. والزواج والطلاق في جميع الأديان، م. سابق، ص ٤٧٦/٤٧٥.

١٠. الزواج والطلاق في النصرانية

الزواج عند النصارى جائز، ما عدا القسس والرهبان؛ اقتداءً بالمسيح - عليه السلام - الذي لم يتزوج، وعندهم أن الذي يستطيع أن يضبط نفسه عن الزنا، فالأفضل ألا يتزوج.

فالنصارى يعتبرون الزواج مكروهاً، ودون المرتبة الأسمى والأفضل؛ ولذا يقدسون الرهبنة والميل للعزوبة، والغض عن الزواج ^(٣١٤).

أ. الزواج في العهد القديم والعهد الجديد:

دلت نصوص العهدين القديم والجديد على مشروعية الزواج عند النصارى، وقد سبقت الإشارة إلى نصوص العهد القديم في الجزء الخاص باليهودية، ومن ضمن نصوص العهد الجديد القول المنسوب للمسيح في إنجيل (متى ٢: ٣٥): «من طلق امرأته لعله غير علة الزنا...»، مما يبين إقرار العهد الجديد بالزواج وارتباط الرجل بزوجته.

ب. الدعوة إلى التبتل بالعهد الجديد:

وردت العديد من النصوص في العهد الجديد تدعو إلى التبتل منها:

١. القول المنسوب للمسيح في إنجيل (متى ١٩: ١٢): «لأنه يُوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويُوجد خصيان خصاهم الناس، ويُوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يقبل فليقبل».

ومعنى ذلك أن المسيح أمر أتباعه أن يخصصوا أنفسهم خصياً جراحياً، أو على

(٣١٤) ينظر: النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، مكتبة النور، مصر، ١٩٧٧، ص ٧٣-٧٤؛ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، م سابق، ص ٣٤٥.

الأقل يأمرهم ألا يتزوجوا، ويلزمهم بمحاربة سنن الكون والخليقة، ولو فرضنا أنّ الناس جميعاً اتبعت هذا المبدأ لأصبح العالم في نحو قرن خالياً من البشر! ثم إن هذا الكلام المنسوب للمسيح يدل على أن المسيح قد أخصى نفسه وحاشاه؟! مع أنه قد ورد قول منسوب لله تعالى في سفر (الثنية ٢٣: ١): «لا يدخل مخصي بالرض (أي بضرب خصيته بحجر)، أو محبوب (الذي يُخصى بقطع الخصيتين بألة حادة) في جماعة الرب».

٢. (الرسالة الأولى لكورنثوس ٧: ٢٧): «أنت منفصل عن امرأة، فلا تطلب امرأة».

٣. وفيها أيضاً (٧: ١): «فحسن للرجل أن لا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته».

٤. وفيها أيضاً (٧: ٨): «ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل: إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا».

٥.. وفيها أيضاً (٧: ٣٨): «إذا من زوج فحسن يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن».

٦. وفي الإنجيل أن المسيح قال في (متى ١٩: ٢٩)؛ و(مرقس ١٠: ٢٩-٣٠): «من ترك زوجة أو بنين أو حقلاً من أجلي، فإنه يُعطى في الجنة مئة ضعف، ويرث الحياة الدائمة».

ولهذا يدعو النصارى إلى ترك الزواج، ويحتجون بترك المسيح للزواج، ونسوا التأسى بسائر الأنبياء في النكاح والنسل، وتكثير العباد والعباد، فالزواج سنة جميع الأنبياء. وقد وصل الأمر ببعض المجامع المسيحية المحلية أن تُصدر قراراً مفاده: إنّ الزواج يمنع المسيحي من الدخول في ملكوت الله، وهذا مما دفع البابا غريغوريوس الرابع: أن يصدر أمراً للكهنة يمنعهم فيه من الزواج، ومن تزوج منهم ليس له إلا أحد

سبيلين: فإما أن يترك زوجته، أو يتخلى عن وظيفته الكهنوتية، وقد وُضع هذا القرار موضع التنفيذ، ورغم ذلك فقد سُجلت انتهاكات متعددة لتلك القرارات، بل تحولت أديرة الراهبات في بعض الأماكن إلى بيوت للفواحش والفساد^(٣١٥).

ج. الزواج المسيحي لا يتم إلا على يد الكاهن:

الزواج المسيحي لا يتم، ولا يكون صحيحًا إلا إذا تم على يد الكاهن، وطبقًا للطقوس الدينية المقررة، مع تلاوات الصلوات؛ لأن الزواج له طبيعة مقدسة، فلا بد من تدخل الدين لإتمامه.

وعلى الرغم من أن الزواج في الشريعة المسيحية يتم بتلاقي إرادة الطرفين بنية الارتباط بينهما، إلا أن هذه الإرادة غير كافية لإنشائه، فلا بد من تدخل الكاهن، أو موظف الدولة، كما أنه لا يمكن للطرفين تحديد أحكامه وآثاره؛ لأن ذلك منظم بنصوص قانونية ملزمة^(٣١٦).

د. تعدد الزوجات عند النصارى:

لا يجوز عند النصارى الزواج بأكثر من واحدة، وقد صرح بهذا البابا شنودة إذ يقول متعجبا عند مطالبته بدليل كتابي على تحريم التعدد: « أنسأل بعد عن نص في المسيحية لتحريم تعدد الزوجات؟! ليست المسيحية في الواقع ديانة نصوص بقدر ما هي «روح وحياة» كما قال الرب (يوحنا ٦: ٦٣). وهذا هو روح الزواج المسيحي وقد علمنا المسيح أن نسلك بالروح». ^(٣١٧) بل يفضل بعضهم ترك الزواج أساسًا؛ اقتداء بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ حسب زعمهم.

(٣١٥) الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، هند المعدللي، دار قتيبة، دمشق، لبنان، ٢٠٠٢، ص ١١٥.

(٣١٦) الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، ص ١٢١.

(٣١٧) شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، البابا شنودة الثالث، ط ١٣، ص ٤٦.

والذي يبدو أن النصارى منعوا التعدد من عند أنفسهم لمصالحهم وأهوائهم الشخصية^(٣١٨)؛ ولهذا تناقضوا كثيرًا في هذه المسألة، والدليل على ذلك:

١. مسألة تعدد الزوجات، مباحة منذ فجر التاريخ ولم يأت أي نبي أو رسالة سماوية بمنعها، حتى العهد الجديد لم يصرِّح أبدًا بمنعها، وقد سبقت الإشارة لنصوص العهد القديم في قسم اليهودية، ويكفي التذكرة منها بالنص الواضح من سفر (الثنية ٢١: ١٥). إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة). يقول (نورجيه) معترفًا بهذه الحقيقة: «ما دامت التوراة وهي الكتاب الذي يجب على المسيحيين أن يجعلوه أساس دينهم؛ تُبيح هذا التعدد، فضلًا عن أن المسيح قد أقرَّ بذلك في قوله: لا تظنُّوا أنني جئتُ لأهدم، بل لأبني». أي: فلماذا المنع بعد ذلك؟
٢. لم تأت أي نصوص من أقوال المسيح عليه السلام تقول: على الرجل الزواج من امرأة واحدة.
٣. جاءت نصوص بولس تلزم الأساقفة والشمامسة أن يكونوا متزوجين من امرأة واحدة فقط!!!.

(١) تيموثاوس ٣: ٢ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْقُفُ بِلَا لَوْمٍ، بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ).

(١) تيموثاوس ٣: ١٢ لِيَكُنِ الشَّمَامِسَةُ كُلُّ بَعْلِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ... أي يكتفي كل شماس بزوجة واحدة.

فما معنى أنه على الأسقف والشماس التزوج من امرأة واحدة؟!

وفي إلزام الأسقف بزوجة واحدة، دليل على جوازه لغيره، حيث كان التَّعَدُّ مُعْتَرَفًا به عند الشعوب التي تدين بالنصرانية، ولم يُعتبر مخالفاً لتعاليم دينهم. وهذا ما يؤكده (وستر مارك) بقوله: «إنَّ تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ باعتراف الكنيسة بَقِيَّ إلى القرن السَّابِعِ عشر، وكان يتكرَّر كثيرًا في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة» (٣١٩).

٤. في «مجمع اللاذقية (بسورية)» تم تحريم تعدد الزوجات ونصه: «حرم من تزوج بامرأتين معًا» (٣٢٠).

٥. كان تعدد الزوجات شائعًا بين غالبية الشعوب حتى بعد الميلاد بمئات السنين، إلا في بعض بلدان أوروبا حيث تأثرت النصرانية بها في القرن الرابع الميلادي. فقد ثبت تاريخيًا أن بعض الأقدمين من المسيحيين ومن آباء الكنيسة كان لهم كثير من الزوجات؛ كما جاء في مقولة (وستر مارك) التي تقدِّم ذِكْرَهَا، بل إنَّ بعض الطوائف المسيحية ذهبت إلى إيجاب تعدد الزوجات في سنة (١٥٣١م) عندما نادى اللامعمدانيون في (مونستر) صراحةً بأنَّ المسيحي ينبغي أن تكون له عدَّة زوجات (٣٢١). وهذا ما أشار إليه (جرجي زيدان) بقوله: «ليس في النصرانية نصٌّ صريح يمنع أتباعها من التَّزْوُجِ بامرأتين فأكثر، ولو شاؤوا

(٣١٩) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، دار النهضة، مصر، ص ١٧٨.

(٣٢٠) عصر المجامع، كيرلس الأنطوني، مكتبة المحبة، مصر، ص ٩.

(٣٢١) ينظر: المرأة في القرآن الكريم، عباس محمود العقاد، ١٩٥٩، ص ١٣٢.

لكان تعدُّد الزَّوجات جائزاً عندهم، ولكن رؤساؤها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها - وكان ذلك شائعاً في الدولة الرومانية - فلم يُعجزهم تأويل آيات الزَّواج حتى صار التَّزْوجُ بأكثر من امرأة حراماً كما هو مشهور» (٣٢٢).

وممَّا ذُكِرَ يَتَّضحُ أنَّ الأقدمين من نصارى أوروبا إنَّما ساروا على نظامِ الزَّوجة الواحدة؛ لأنَّ معظم الأمم التي انتشرت فيها الديانة النصرانية من أهل أوروبا الوثنية أوَّل الأمر - وهي شعوب اليونان والرُّومان - كانت تقاليدُها تمنع تعدُّد الزَّوجات، وقد سار أهلها بعد اعتناقهم النصرانية على ما وجدوا عليه آباءهم من قبل، فكلُّ ما في الأمر أنَّ النُّظْمَ الكنسيَّة المُستحدثة بعد ذلك قد استقرَّت على تحريم تعدُّد الزَّوجات، واعتبرت هذا التحريم من مفاهيم الدين، على الرَّغم من أنَّ أسفار الإنجيل نفسها لم يرد فيها ما يدلُّ على هذا التحريم، وكانوا بذلك مقلِّدين لمن سبقهم، فغلبوا التَّقْلِيدَ على التَّشْرِيعِ (٣٢٣).

وقد جاء في موسوعة قصة الحضارة عن سقراط: «ولم يكن الزواج يضايقه قط فقد يبدو أنه اتخذ لنفسه زوجة ثانية حين أباح القانون تعدد الزوجات مدة قصيرة لكثرة من قتل في الحروب من الذكور» (٣٢٤).

فالقانون اليوناني قبل الميلاد كان يمنع تعدد الزوجات، وعند دخول النصرانية لليونان وروما أخذت النصرانية القانون ولذلك لا توجد نصوص في النصرانية تمنع تعدد الزوجات.

(٣٢٢) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٣٢٣) ينظر: تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة في المرأة من وجهة نظر إسلامية، محمد أبو ملحم، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦، ص ٣٧.

(٣٢٤) موسوعة قصة الحضارة، ترجمه محمد بدران، مجلد ٤، ط ٢، مطبعة اللجنة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٥، ج ٧، ص ٢٢٤.

جاء أيضًا في موسوعة قصة الحضارة: تحت عنوان: إعادة تنظيم ألمانيا
(١٦٤٨١٧١٥):

«هبطت حرب الثلاثين بسكان ألمانيا من عشرين مليوناً إلى ثلاثة عشر مليوناً ونصف مليون، وبعد عام أفاقت التربة التي روتها دماء البشر، ولكنها ظلت تنتظر مجيء الرجال. وكان هناك وفرة في النساء وندرة في الرجال. وعالج الأمراء الظافرون هذه الأزمة البيولوجية بالعودة إلى تعدد الزوجات كما ورد في العهد القديم. ففي مؤتمر فرانكونيا المنعقد في فبراير ١٦٥٠ بمدينة نورمبرج اتخذوا القرار الآتي: «لا يقبل في الأديار الرجال دون الستين... وعلى القساوسة ومساعدتهم (إذا لم يكونوا قد رسموا)، وكهنة المؤسسات الدينية، أن يتزوجوا... ويسمح لكل ذكر بأن يتزوج زوجتين، ويُذكر كل رجل تذكيرًا جديًا، وينبه مرارًا من منبر الكنيسة، إلى التصرف على هذا النحو في هذه المسألة» (٣٢٥).

فكان الحل الإسلامي هو الحل الوحيد المتوافر لهم في القرن السابع عشر، أو اللجوء للعلاقات غير الشرعية وإنجاب أطفال غير شرعيين.

الجدير بالذكر أنه قد اعترفت النصرانية المعاصرة بتعدد الزوجات في إفريقيا، حينما وجدت الإرساليات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعي هو تعدد الزوجات لدى الأفارقة الوثنيين، ورأوا أن الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين دخول الأفارقة في النصرانية، فنادوا بوجوب السماح للأفارقة النَّصارى بالتعدد إلى غير حدٍّ (٣٢٦). بمعنى أنهم غضبوا الطرف عن ذلك، لمصلحة التنصير.

(٣٢٥) المصدر السابق، جزء ٣٣، ص ٦٨.

(٣٢٦) ينظر: المرأة بين الفقه والقانون، م سابق، ص ٦٢-٦٣.

هـ. الطلاق عند النصارى:

الطلاق شريعةٌ ثابتة عند اليهود؛ والأصل أن تكون كذلك عند النصارى؛ لأنهم يُثبتون أنّ المسيح عليه السلام لم يأت بدين جديد حيث قال: (متى ٥: ١٧): «لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ».

والطلاق ثابت في العهد القديم مثل ما جاء في سفر (التثنية ٢٤: ١-٢) «إذا أخذ رجل امرأة، وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه؛ لأنه وجد فيها عيب شيء، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر».

ولا شك بأن منع الطلاق نهائياً غير واقعي أبداً؛ لأن الله تعالى سن الزواج ليكون مصدر سعادة للزوجين، فإذا لم يتفقا لسبب من الأسباب، واستحال التوفيق بينهما، وصارت الحياة بينهما شبه مستحيلة، فإن الطلاق يكون رحمة، وأصلح لهما من الاستمرار في زواج مليء بالمشاكل، وعدم التفاهم، وإجبارهما على عدم الطلاق قد يجر إلى جريمة قتل أو جريمة قذف بالزنا للحصول على مبرر الطلاق، أو يجر إلى الزنا مع استمرار الزواج شكلياً، لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق، بدليل أنّ بعض الدول المسيحية نفسها سنت قوانين تبيح الطلاق. ولكن النصارى في الجملة منعوا الطلاق، وإن أجازوه في بعض الحالات، بشروطٍ مشددة، مخالفون لشريعة عيسى وموسى عليهما السلام.

يقول (جورج ويلز) الأستاذ بجامعة لندن في دراسة له عن المسيح: «وإذا نحينا جانباً إخفاق المسيح في الحفاظ على المعيار، فإنه لم يدافع بثبات عن أي معيار متناسق...، فبينما يقول عن الناموس: «من نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا، يُدعى أصغر في ملكوت السماوات» نجده بعد هذا القبول الصريح

لناموس موسى، يجنح سريعاً لإحداث تغييرات كبيرة فيه، إن ناموس موسى يسمح بالطلاق، لكن المسيح يمنعه إلا في حالة الزنا، وكذلك يسمح الناموس بالقصاص: عين بعين، وسن بسن، لكنه يمنع القصاص أيضاً» (٣٢٧).

بينما لا يجوز في النصرانية (في العهد الجديد) الطلاق إلا لعدة الزنا، وكذلك لا يجوز لرجل آخر نكاح المطلقة، بل هو بمنزلة الزنا، فقد جاء في إنجيل متى ٥: (٣١-٣٢): «وقيل: من طلق امرأته، فليعطيها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لعدة الزنا يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني» (٣٢٨).

والنص يدل على أنه لا يجوز الزواج من مطلقة، وأن مثل هذا الزواج بمثابة زنا، والسؤال هو هل تبقى المطلقة دون زواج إلى موتها؟ وما هذا التشريع؟ إن هذا التشريع فيه ظلم واضح، وإفساد للمجتمع مما يدل على أن المسيح بريء منه.

وقد اختلفت الطوائف المسيحية (الكاثوليكية، والأرثوذكسية، والبروتستانتية) في حكم الطلاق، وأسبابه، فمنهم من تشدد ووضع شروطاً لذلك، ومنهم من تساهل وذلك لعدم وجود نصوص تشريعية واضحة وملائمة للحياة الاجتماعية السليمة التي تتطلب الطلاق والفراق عندما تستحيل العشرة بين الزوجين.

١. الكاثوليك: منعوا الطلاق منعاً باتاً (ولو لعدة الزنا) وجعلوا محله ما يُعرف بالانفصال الجسماني، والذي يعني توقف المعيشة المشتركة بين الزوجين في السكن والفراش والمائدة، وسائر ما يتعلق بحياتهما من مختلف الأمور، مع الإبقاء على الرابطة الزوجية، وهذا الانفصال لا يتقرر إلا إذا صدر به حكم، وهذا الحكم

(٣٢٧) يُنظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٠٦، نقلاً عن:

G A. Wells: the Jesus of the early Christians, pp. 64, 61.

(٣٢٨) الترجمات الحديثة حذفت: «فهو يزني»، على اعتبار أنها إضافة للنص.

لا يصدر إلا لاستحالة العشرة، أو الزنا، أو لسوء السلوك، أو لتغيير أحد الزوجين المذهب.

٢. الأرثوذكس: من النادر قبول الكنيسة للطلاق، وهناك آلاف من الحالات تنتظر، حيث تحاول الكنيسة بشتى الطرق تجنبه ومنعه. فقد أباحت الطائفة الأرثوذكسية «صوريًا» الطلاق، ولم تقصره على الزنا، أو الخروج من الدين، وإنما توسعت فيه كثيرًا وجعلته مسببًا بأسباب، هي: المرض كالجنون، الاعتداء على الحياة أو الإيذاء الجسماني، الفرقة واستحكام النفور، الحكم على أحد الزوجين بعقوبة سالبة للحرية، الغيبة (المفقود)، الرهينة، الزواج الثاني، وزوال البكارة، والإجهاض، والهجر المتعمد، والإضرار بأموال الزوج الآخر.

٣. البروتستانت: أباح البروتستانت الطلاق، ولكن قيدوه بأمرين: زنا أحد الزوجين وطلب الآخر الطلاق لذلك، وإذا اعتنق أحد الزوجين ديانة أخرى غير الديانة المسيحية، وطلب الآخر الطلاق (٣٢٩).

و. نكاح المحارم عند النصارى:

سبق ذكر الأحكام الواردة في العهد القديم في حكم نكاح المحارم، وعلى وجه الخصوص ما جاء في سفر اللاويين، وهذه الأحكام الأصل أن تكون للنصارى الذين يدعون أنهم يتبعون ما جاء في العهد القديم؛ ويعظمونه. لكن كثير من النصارى ينظرون

(٣٢٩) تفصيل أسباب الطلاق في النصرانية والخلافات بين الفرق النصرانية حول ذلك؛ هو أمر يطول عرضه، للمزيد: المسيحية والطلاق، أ. عودة، ط ١، مطبعة قاصد خير، القاهرة؛ والنظام القانوني للأسرة في الشرائع غير الإسلامية، محمد حسين منصور، منشأة المعارف، الإسكندرية؛ ومكانة المرأة في المسيحية، القس صموئيل المشرفي، دار المحبة، بيروت، ١٩٦٥؛ والزواج والطلاق في رسالات السماء، محمد الخاقاني، مكتبة البيداء، الرياض، المملكة السعودية؛ ونظام الأسرة في اليهودية والنصرانية والإسلام، صابر أحمد طه، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٤؛ ومذكرات في قوانين الأحوال الشخصية، صليب سوريال، مكتبة التربية الكنسية، بيروت، ١٩٩٠.

إلى سفر اللاويين وغيره من الأسفار على أنها مجرد كتب تاريخية تخص عادات وتقاليد اليهود، والأحكام الواردة فيه لا تنطبق عليهم؛ ولهذا لا يحملونها على محمل الجد والعمل والتنفيذ.

ولم نعثر في نصوص الأناجيل الحالية ما يدل صراحة على حرمة نكاح المحارم، وإن وُجدت بعض النصوص العامة التي قد يُستدل بها على حرمة نكاح المحارم، ومن أمثلة ذلك:

قول المسيح عليه السلام في إنجيل (متى ٥: ٢٧ - ٢٩): «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتيتها فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى تعثر، فاقلعها، وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقي جسدك كله في جهنم». فقد يقال: إن الشريعة النصرانية تقضي بأنه إذا نظر رجل إلى امرأة واشتهاها فقد زنى بها، فما بالك بالزنا من المحارم؟!!

ومع خلو الأناجيل من النصوص الدالة على حكم نكاح المحارم من النساء، إلا أن الطوائف المسيحية قد اتفقت على تحريم الزواج بسبب القرابة الدموية المباشرة، وتسمى أيضًا القرابة في الخط المستقيم، وهي القرابة بين شخصين، يتفرع أحدهما عن الآخر، أو هي القرابة بين الأصول والفروع، وهذه القرابة تمنع الزواج بينهما مؤبدًا، مهما كانت درجة القرابة بينهما.

فقرابة الدم قد تكون ناشئة من أحد الطرفين، يستمد حياته من الآخر، وهذا ما يُسمى بالقرابة المباشرة، والقرابة على الخط المستقيم، وهي العلة بين الأصول والفروع، مثل: الأب وابنته، والأم وابنها، فالقرابة بينهما مباشرة (٣٣٠).

(٣٣٠) ينظر: مرشد الوعاظ والكتاب إلى كنوز آيات الكتاب، الاشمندرير بطرس: (١/ ٤٨٦)، مطبعة القديس بولس.

ز. العدة والرجعة عند النصارى

لا توجد نصوص في النصرانية تتضمن تشريعات وأحكام تخصّ مسائل الأحوال الشخصية، ومنها: الزواج، والطلاق والعدة والرجعة.

لذلك فإن العدة والرجعة اختلفت بناءً على قرارات الكنائس المختلفة، فعلى سبيل المثال فإن الأرثوذكس يرون أنه ليس للمرأة التي مات زوجها أو فسخ زواجها أن تعقد زواجًا ثانيًا إلا بعد انقضاء عشرة أشهر ميلادية كاملة من تاريخ الفسخ، وينقضي هذا الميعاد إذا وضعت حملها بعد الوفاة أو الفسخ. كما يجوز لمجلس الكنيسة أن ينقض هذا الميعاد إذا ثبت له صفة قاطعة من ظروف الأحوال: أن الزوج السابق لم يباشر زوجته منذ عشرة شهور. وأما في شريعة الكاثوليك: فهي لا تعرف انحلال الزواج بالطلاق، وإن كان ينحل بالوفاة، إلا أنها لم تمنع المرأة التي يتوفى عنها زوجها من إبرام زواج ثانٍ. فالتصنيف الكاثوليكي الشرقي سنة ١٩٤٩م لم يعترف بالعدة، ولم يحدد وقتًا معينًا من انحلال الزواج الأول، وانعقاد اللاحق. (٣٣١)، بينما البروتستانت لا تتضح أحكامهم في لزوم العدة لتعدد الكنائس والآراء.

والرجعة عند بعض طوائف النصارى مربوطة بقرار من الكنيسة، وليست كما في التشريع الإسلامي أن للزوج أن يراجع زوجته بنفسه، في أي وقت. فقد نصت لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس فيما يخص الرجعة على أنه: يجوز لمن وقع بينهما طلاق في الرجوع لبعضهما بقرار من المجلس الملي، ويجوز الحكم بنفقة أو تعويض لمن حُكم له بالطلاق (٣٣٢).

(٣٣١) المرأة في جميع الأديان والعصور، محمد عبد المقصود، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٦٦/١٦٧.

(٣٣٢) لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الأرثوذكس التي أقرها المجلس الملي المنعقد في ٩ مايو ١٩٣٨، يُنظر:

الطلاق في المسيحية، د. القس إكرام لمعي، مركز قضايا المرأة، القاهرة، ٢٠٠٦.

١١. الزواج والطلاق في الإسلام:

الزواج في الإسلام تشريع رباني، ذو حكمة بالغة، وهو عقدٌ من أسمى العقود، وميثاقٌ من أغلظ الميثاق؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١] شرعه الله عز وجل لعباده، وفطر الناس على الرغبة فيه، والسعي إليه، فالرجل يأنس بالمرأة، وكذلك المرأة تأنس بالرجل.

وهو من آيات الله في خلقه، جَعَلَ اللهُ فِيهِ السَّكْنَ وَالْمُودَةَ وَالرَّحْمَةَ، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

أ. مفهوم الزواج في الإسلام:

مفهوم الزواج في الإسلام له خصائص، منها:

١. إنه عقدٌ شرعي، أي ثابتٌ من قِبَلِ الشرع؛ وقد وضع له الشرع شروطاً وواجبات ومستحبات، ويُخرج به كل عقد غير معتبر شرعاً، فقد أحد الشروط أو الأركان كنكاح المتعة مثلاً.
٢. وله مقصد شرعي، من الاستعفاف، وبناء أسرة، وتكوين جيل، قائم بعبودية الله تعالى، وليس هو لمجرد قضاء الشهوة فقط.

ب. حكم الزواج في الإسلام:

الزواج في الإسلام مشروعٌ بالكتاب، والسنة، والإجماع.

• **فَأَمَّا الْكِتَابُ:** فمنه قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ

وَرُبَاعًا﴾ [النساء: ٣].

• **وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ:** فكقول النبي ﷺ: «يا معشر الشَّبَابِ من استطاع منكم

الباءة^(٣٣٣) فليتزوّج؛ فَإِنَّهُ أَعْصَى لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنَ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(٣٣٤)(٣٣٥)، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة مشهورة.

ج. حكمة مشروعية الزواج:

للزواج في الإسلام مكانةٌ عليا، وحِكمٌ متعددة، ومعانٍ جليلة، ومن حِكْمِهِ ما

يلي:

١. تحقيق العبودية لله تعالى، بتنفيذ أمره، ومتى استشعر المقدم على الزواج ذلك أُثِيبَ عليه.
٢. غُضُّ البصر، وحفظ الفرج، وحصول العفة، فيستغني المسلم بما رزقه الله تعالى من الحلال، عن الدواعي المحرمة التي يفرغ فيها شهوته.
٣. إنجاب الذرية، واستمرار النسل، لعمارة الكون والحياة، وقيام الإنسان بما يجب عليه من عبادة الله.
٤. تحقق السكن النفسي والروحي حين يأوي كل من الزوجين إلى من يشاركه سراءه وضراءه، وترويح النفس، وإسكانها بالمعاشرة، والمسامرة.

(٣٣٣) الباءة: هي مؤن النكاح، أو الجماع، أو هما معًا. ينظر تفصيل ذلك في: فتح الباري شرح صحيح البخاري، م سابق: (١٠٨/٩-١٠٩).

(٣٣٤) وجاء: أي قاطع للشهوة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩: (٥/١٥٢)؛ وفتح الباري: (٩/١١٠).

(٣٣٥) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٥)؛ ومسلم برقم: (١٤٠٠).

٥. المحافظة على الأنساب، والشعور بالانتماء للأسرة والعصبة، بخلاف من اجتثت أصوله، واقتلعت جذوره، فإنه يعيش بدون رابطة، ولا كيان يحويه.
٦. صيانة المجتمعات البشرية من آثار الانفلات الجنسي العارم، وما أحدثه من خطر الأمراض الفتاكة، والأدواء المعدية التي صارت منغصًا من منغصات الحياة البشرية.
٧. تأجيج عاطفتي الأمومة والأبوة عند الزوجين، وهذه لا تقع إلا في ظل حياة زوجية مستقرة.
٨. التدريب على تحمل المسؤولية، حيث يشعر كلا الزوجين بما عليه من تبعات الزواج، خاصة عندما تكبر الأسرة، ويكثر الأولاد.
٩. حصول القرابة والمودة بين الناس من خلال المصاهرة، فتمتد الصلة من الزوجين لأسرتيهما، فتكون حلقة واسعة في سلسلة اتحاد الأمة، وما لهذه الصلات الخاصة - كالقرابة والصهر - من أثر كبير في التناصر^(٣٣٦).

د. خصائص الزواج في الإسلام:

١. يرفض الإسلام إقامة علاقات جنسية، وإنجاب الأطفال دون ارتباط خارج عقد الزواج.
٢. حث الإسلام على حسن اختيار الزوج والزوجة، فيتزوج الأفاضل من الرجال الفاضلات من النساء، لينشأ الأولاد على الفضيلة، والأخلاق العالية.

(٣٣٦) دائرة معارف الأسرة المسلمة، على الشحود، المكتبة الشاملة: (٨٣ / ٩٧)؛ والولاية في النكاح، عوض بن رجاء بن فريج العوفي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية ١٤٠٣ هـ: (١ / ٣١)؛ ورسائل في الزواج والحياة الزوجية، محمد الحمد، دار ابن خزيمة بالرياض، السعودية، ٢٠٠٢: (١ / ٨).

٣. إنَّ الزواج في نظر الإسلام ليس مجرد تحقيق الرغبات الجنسية فقط، وإنما يترتب عليه مسؤوليات اجتماعية وتربوية وأخلاقية.
٤. مَنْعَ الإسلام الزواج من المحرمات من النساء، سواء كان تحريمهن مؤبداً أم مؤقتاً، كما سيتم تفصيله فيما بعد.
٦. حثَّ الإسلام على الزواج بذات الدين، حيث إنَّ الدين هو العنصر الأساسي في اختيار الزوجة، وما بعده يُعد بالنسبة له مكمل، فصالح دين الأم المربية، صالح لذريتها وإلا كان العكس في الغالب؛ ولذلك كان الدين هو الأساس.
٧. منع الإسلام من العديد من الأنكحة المحرمة، كنكاح المتعة، والتحليل، والشغار، كما منع زواج غير المسلم بالمسلمة؛ لأن في ذلك إفساد لدينها، وعننت لها.
٧. منع الإسلام من الخطبة على خطبة الغير؛ لأنه يوقع بينهما تنافراً وخصومة وتباغضاً.
٨. حثَّ الإسلام على تخفيف المهر؛ وتيسير أمر الزواج، وتذليل عقباته؛ لتحقيق الثمرات الشرعية المرجوة من النكاح.
٩. اشترط الإسلام في الزواج: رضا المرأة، وموافقة ولي أمرها، وحضور الشهود، لأن الزواج عقد حياة، فينبغي مراعاة كل الحقوق وتبعاتها.
١٠. أباح الإسلام التعدد إلى أربع نسوة: ولكن بشروط، منها: العدل، والقدرة، وحذر من الميل لإحداهن، ومنع الحق عن الأخرى، كما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «من كان له امرأتان، يميل لإحدهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه

مائل» (٣٣٧). والحكمة من مشروعية التعدد في الزواج: أن ذلك يُعد علاجًا لتفاوت الناس في قدراتهم وحاجاتهم النفسية والجسمية، وسبيلًا للإحصان والعفاف، بفتح باب الحلال، وإغلاق باب السّفاح والمخادنة، كما أن نظام التعدد لم يحدثه الإسلام، فقد كان موجودًا في المجتمعات البشرية المختلفة.

هـ. حكم نكاح المحارم في الإسلام:

جَعَلَ الإسلامُ نكاح المحارم من المحرمات القطعيات، دلّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّابَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَسْلَابِكُمْ وَأَنَّ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٣-٢٤].

ووجه الدلالة: أن الآية صرحت بتحريم نكاح المحارم، بتحديد وجوه السبب للتحريم؛ فالنساء المحرم نكاحهن في الإسلام قسمان: محرمات مؤبدًا، ومحرمات مؤقتًا.

(أ) محرمات مؤبداً:

والتحريم المؤبد، هو ما يمنع المرأة أن تكون زوجة للرجل في جميع الأوقات، وهن ثلاثة أقسام:

١. محرمات بالنسب، وهن سبع: الأم وإن علت، وال بنت وإن سفلت، والأخت، والعمة (٣٣٨)، والخالدة (٣٣٩)، وبنات الأخ (٣٤٠)، وبنات الأخت.

٢. محرمات بالرضاع، وهن سبع أيضاً: المرضعة، وأم المرضعة، وأم زوج المرضعة، وأخت المرضعة، وأخت زوج المرضعة، وبنات المرضعة وإن نزلن، والأخت من الرضاعة.

فالرضيع الذي رضع خمس رضعات فأكثر، في الحولين، يحرم عليه الزواج بواحدة مما سبق، وهؤلاء هن المذكورات في الآية السابقة (٣٤١).

٣. محرمات بالمصاهرة، وهن أربع: أم زوجته وإن علت من الرضاع والنسب، و بنت زوجته التي دخل بها، وزوجة الابن وإن نزل، وزوجة الأب وإن علا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٢]، فهؤلاء الأربع يحرم عليه بمجرد العقد على التأيد، إلا بنت زوجته إذا عقد على أمها، ولم يدخل بها، حلت له بنتها؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] (٣٤٢)، وما سوى ذلك من أقارب الرجل؛ فإنه يجوز له نكاحهن.

(٣٣٨) والعمة: اسم لكل أنثى شاركت أباك أو جدك في أصله، أو في أحدهما، وقد تكون العمة من جهة الأم، وهي أخت أبي أمك.

(٣٣٩) والخالدة: اسم لكل أنثى شاركت أمك في أصلها، أو في أحدهما، وقد تكون من جهة الأب، وهي أخت أم أبيك.

(٣٤٠) و بنت الأخ: اسم لكل أنثى لأخيك عليها ولادة بواسطة أو مباشرة، وكذلك بنت الأخت.

(٣٤١) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩: (٩/ ٥٠٦)؛ والبيان

في مذهب الإمام الشافعي، العمراني اليمني، دار المنهاج، جدة، السعودية، ٢٠٠٠: (٩/ ٢٣٨).

(٣٤٢) الوسيط في المذهب، أبو حامد الغزالي، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤١٧ هـ: (٥/ ١٠٦).

(ب) ومحرمات مؤقتاً:

أي إلى أمد محدد، هو ما يمنع المرأة من التزوج بها، ما دامت على حالة خاصة قائمة بها، فإن تغير الحال، زال مقتضى التحريم فصارت حلالاً، وهن:

١. الجمع بين المرأة وأختها.
٢. الجمع بين المرأة وعمتها.
٣. الجمع بين المرأة وخالتها.

فهؤلاء النساء يحرم من جميعاً، حتى يزول السبب المانع من النكاح، فإذا ماتت مثلاً، أو طُلق حلت الأخرى بعد انتهاء العدة (٣٤٣).

✦ الطلاق في الإسلام:

الطلاق في الإسلام لا يدانيه نظامٌ دقةً وإبداعاً، فلا هو بالمغلق المحظور حتى يكون أحد الزوجين شجراً في حلق صاحبه، وغلاً في عنقه، وكبلاً في يديه، وقيداً في قدميه، ولا هو بالسهل الهين فيتخذه من لا عهد لهم ولا رعي ولا ذمّاً مرتعاً خصيباً يتقلون فيه كما شاءت أهواؤهم وشهواتهم.

ويُبين ذلك الشيخ أحمد شاكر **رَحْمَةُ اللَّهِ** فيقول: «وليس المقصود من الطلاق اللعَب واللهو حتى يزعم الرجل لنفسه أنه يملك الطلاق كما شاء وكيف شاء، ومتى شاء؛ وأنه إن شاء أبان المرأة بتةً، وإن شاء جعلها معتدة يملك عليها الرجعة، كلا ثم كلا، بل هو تشريع منظم دقيق من لدن حكيم عليم، شرعه الله لعباده ترفيهاً لهم، ورحمةً بهم، وعلاجاً شافياً لما يكون في الأسرة بين الزوجين من شقاق وضرار» (٣٤٤).

(٣٤٣) ينظر: نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك الجويني، دار المنهاج، ٢٠٠٧، (١٢ / ٢٢٥)، ومما يلحق من المحرمات مؤقتاً: المحرمة بالحج أو العمرة حتى تحل، والمسلمة على الكافر حتى يسلم، والكافرة على المسلم حتى تسلم إلا الكتابية، والزانية على الزاني وغيره حتى تتوب إلى الله؛ فهؤلاء النساء يحرم من جميعاً حتى يزول السبب المانع من النكاح.

(٣٤٤) جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد شاكر: ٢ / ٦٤٣، جمعها واعتنى بها: عبد الرحمن بن عبد العزيز بن حماد العقل، دار الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

وقد أجمع العلماء على مشروعية الطلاق، وأنه جائز عند الضرورة، والحاجة إليه، ويكره من غير حاجة إليه^(٣٤٥)، وذلك لما يترتب من شتات الأسرة، وضياع المرأة؛ وإزالته للنكاح المشتمل على المصالح.

والمشروعية قائمة لحاجة أحد الطرفين أو كليهما:

وذلك إذا احتاج الزوج إليه؛ لسوء خلق المرأة، أو كراهته لها، والعكس بالنسبة للمرأة، أو إذا تعذرت العشرة بين الزوجين، ولم يمكن الإصلاح بينهما، وتضرر كل منهما ببقاء الزوجية، وكذلك إذا آلى الزوج من زوجته، ومضت المدة، ولم يرجع، ونحو ذلك. أما إذا لم تكن حاجة ماسة إليه؛ فإنه يُكره حال استقامة الزوجين، واحتمال القدرة في الصبر الأذى من كلا الطرفين.

✦ الحكمة من الطلاق:

ومن حكمة مشروعية الطلاق في الإسلام: ألا يعيش الزوجان معاً بالإكراه، فتتحول حياتهما إلى شجار وحناق، وينعكس ذلك على الأولاد؛ ولئلا يدفع ذلك أحد الزوجين إلى خيانة زوجه، وارتكاب الفواحش، وتتضح هذه الحكمة أمامنا في المجتمعات الغربية التي تحرم الطلاق؛ إذ كثرت فيها الخيانات الزوجية، واختلاط الأنساب، وانهار الأخلاق والقيم والفضائل.

✦ خصائص الطلاق في الإسلام:

١. إنَّ الطلاق في الإسلام يعقبه الخلق الحسن والعطاء والإنفاق السخي، يقول تعالى: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

(٣٤٥) ينظر: الاختيار لتعليل المختار، ابن مودود الموصلي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧: (٣/ ١٢١)؛ ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤: (٣/ ٢٧٩)، والمغني، ابن قدامة المقدسي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ٣، ١٩٩٧: (١٠/ ٨٢).

٢. جعلت الشريعة الإسلامية الطلاق بيد الزوج، لا بيد الزوجة بالرغم من أنها شريكة في العقد؛ حفاظًا على الزواج، وتقديرًا لمخاطر إنهائه بنحو سريع غير ممتد؛ لأن الرجل هو الذي دفع المهر، وأنفق على الزوجة والبيت فيكون عادة أكثر تقديرًا لعواقب الأمور، وأبعد عن الطيش في تصرف يلحق به ضررًا كبيرًا، فهو أولى من المرأة بإعطائه حق التطلق لأمرين:

الأول: إن المرأة غالبًا أشد تأثرًا بالعاطفة من الرجل، فإذا ملكت التطلق فربما أوقعت الطلاق لأسباب بسيطة لا تستحق هدم الحياة الزوجية.

الثاني: يستتبع الطلاق أمورًا مالية من دفع مؤجل المهر، ونفقة العدة، من مأكّل وملبس ومسكن، والمتعة، ونفقه الأولاد، وأجور الحضانة والرضاعة. وهذه التكاليف المالية من شأنها حمل الرجل على التروي في إيقاع الطلاق، فيكون من الخير والمصلحة جعله في يد من هو أحرص على الزوجية، وأما المرأة فلا تتضرر ماليًا بالطلاق، فلا تتروى في إيقاعه بسبب سرعة تأثرها وانفعالها (٣٤٦).

٣. لم تهدر الشريعة الإسلامية رأى المرأة وحقها في طلب الطلاق من المحكمة، إذا كان هناك سبب يدعو إليه؛ دفعًا للضرر عنها، وأوجب على المحكمة الحكم لها بذلك متى أثبت ما تدعيه.

٤. أوجب الإسلام على الزوج ألا يخرج مطلقة من منزل الزوجية ما دامت في عدتها، ولم يصدر منها ما يوجب خروجها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١]، إذ أن وجودها في منزل الزوجية على مقربة من زوجها قد يكون له أثر في عودة الأمور إلى ما كانت عليه، فالقلوب بيد الله تعالى، وهو سبحانه مقلب القلوب، قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

٥. قرّر الإسلام أن الطلاق ينبغي أن يكون في طهر، لم يمس الزوج زوجته فيه؛ لأن الطهر فترة كمال الرغبة في المرأة، والرجل لا يقدم على طلاق امرأته في كمال رغبته فيها إلا لشدة الحاجة إلى الفرقة، وفي ذلك دليل على قيام حالة خطيرة تستدعي الطلاق، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١]، أي: طلقوهن من قبل عدتهن، أي في أول مراحلها فيها؛ وذلك لا يكون إلا إذا طلقها في طهر لم يمسها فيه؛ لأن الحيض أو الطهر الذي يمس الرجل فيه المرأة لا يحسب من العدة؛ ولذا فإن ابن عمر رضي الله عنهما حين طلق زوجته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنه، فقال له: «مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً» (٣٤٧).

٦. وحتى لا يكون الطلاق نزوة عابرة، وحتى يكون للزوج فرصة للتراجع وللمصلحين أن يتدخلوا، نص القرآن الكريم على أن الطلاق يقع على يدي شاهدين يكونان عادة من ذوي الصلة الوثيقة بالزوجين، فقال تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].

٧. كما أوجب الإسلام على الرجل ألا يأخذ من المرأة شيئاً كان قد أعطها إياه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠].

٨. نهى الإسلام المرأة أن تطلب الطلاق من غير علة شرعية، كما نهاها أن تطلب طلاق غيرها؛ لتحل محلها، ونهى الرجل من إيقاع الطلاق دون علة مشروعة (٣٤٨).

(٣٤٧) أخرجه مسلم برقم (١٤٧١).

(٣٤٨) المرأة في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ط ٢، دار نهضة مصر، ص ٩٧-٩٨.

٩. إن الإسلام شرع الطلاق موزعاً على ثلاث مراحل هي: أن يطلق طليقة واحدة في طهر لم يجامع الرجل زوجته فيه، فإذا بدا له وندم أرجعها إليه أثناء العدة، فإن عاودته الرغبة في الطلاق طلقها طليقة ثانية، وكان في يده بعد ذلك طليقة واحدة، فإن صمم على الطلاق الثالثة تبين بها زوجته عنه بينونة كبرى، ولا ترجع إليه إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره نكاحاً شرعياً كاملاً، لا بقصد التحليل، فإن ذلك محرم.

وهذه الكيفية متفقة مع الحكمة في تقليل الطلاق، كما في قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ۖ فِإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فشرع الله الطلاق بعدد معين لحكمة لطيفة؛ وذلك أن النفس البشرية ملولة وعجولة، وربما أظهرت عدم الحاجة إلى المرأة حتى إذا وقع الطلاق حصل الندم، فأعطاه الشرع فرصة للتدارك.

١٠. إن الإسلام نهى عن الطلاق الثلاث، أو أكثر بلفظ واحد، حتى لا يتلاعب بالطلاق، وكان الرجل في الجاهلية يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وإن طلقها مائة مرة أو أكثر.

و. مفهوم العدة وحكمها في الإسلام:

العدة في الإسلام هي: مدة زمنية محددة تنتظرها المرأة بلا زواج، عند زوال النكاح المتأكد أو شبهته^(٣٤٩). والعدة واجبة شرعاً على المرأة بالكتاب، والسنة، والإجماع.

فمن الكتاب: فكقوله تعالى في عدة الطلاق: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقوله في عدة الوفاة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

(٣٤٩) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٤٨.

ز. الحكمة من العدة في الإسلام:

- التأكد من براءة الرحم؛ لئلا تختلط الأنساب.
- الوفاء بحق الزوج حال الموت، والتفجع عليه، واحترامه، ومراعاة حقه. إعطاء الفرصة الكافية للزوج بعد الطلاق؛ ليعود لزوجته المطلقة طلاقاً رجعيّاً إذا رغب في ذلك.
- صون سمعة المرأة، وكرامتها، حتى لا تكون محلاً للتحدث عنها بخروجها من البيت غادية رائحة بمجرد الفراق (٣٥٠).

ح. أنواع العدة في الإسلام:

تنقسم العدة التي تلزم بها المرأة إلى قسمين:

❖ القسم الأول:

- عدة الوفاة: وهي التي تجب على من مات عنها زوجها.
- والأصل فيها أن الزوجة تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام - إن كانت غير حامل - سواء دخل بها الزوج أو لم يدخل، ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].
- فإن كانت حاملاً منه أثناء الوفاة فعدتها تنتهي بوضع الحمل، طالبت المدة أو قصرت، والدليل قول الله - عز وجل -: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

(٣٥٠) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، م سابق: (٩ / ٥٩٢)؛ والفقه المنهجي، على مذهب الإمام الشافعي، مجموعة علماء، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢: (٤ / ١٣).

وتحد المرأة على زوجها، وتمتنع من مظاهر الزينة والطيب، والثياب الزاهية، ويجب عليها ملازمة بيتها الذي تعتدّ فيه، فلا تخرج إلا لحاجة.

❖ القسم الثاني:

عدة الفراق: وهي التي تجب على المرأة التي فارقت زوجها بفسخ أو طلاق بعد وطئها.

والأصل أن عدتها تنتهي بمرور ثلاثة أطهار أو ثلاث حيضات من بعد الفراق - إن كانت غير حامل -، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وكذلك إن كانت لا ترى حيضًا، بأن كانت صغيرة أو آيسة، أي متجاوزة سن الحيض، فعدتها أيضًا ثلاثة أشهر؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: ٤].

وأما إذا كانت حاملاً فعدتها تنتهي بوضع الحمل، ودليل ذلك عموم قول الله عز وجل: ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

وأما المرأة التي فارقتها زوجها بفسخ أو طلاق قبل الدخول بها فلا يجب عليها أن تلتزم بأيّ عدة؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

ط. أحكام العدة وما تفرضه من التزامات:

عدة الطلاق:

إذا كانت المرأة معتدة من زوجها عدة طلاق، فإما أن يكون طلاقها رجعيًا أو

باتئنا.

(١) أحكام المعتدة من طلاق رجعي سواء كانت حاملاً أو حائلاً - غير

حامل:-

وجوب المسكن لها مع الزوج، ووجوب النفقة لها بسائر أصنافها: من مؤنة وكسوة وغير ذلك؛ وذلك لبقاء سلطان الزوج عليها، وانحسابها تحت حكمه، حيث يمكنه أن يراجعها ما دامت في العدة، لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِضْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ودليل هذه الأحكام قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] وقاله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١].

(٢) أحكام المعتدة من طلاق بائن:

إن كانت حاملاً: وجوب توفير المسكن لها على الزوج غير مسكن طلاقها، ووجوب النفقة بأنواعها المختلفة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، كما يجب عليها ملازمة البيت الذي تعتد فيه، فلا تخرج منه إلا لحاجة، كأن تحتاج إلى طعام ونحوه، أو تحتاج إلى بيع متاع لها تنكسب منه، وليس ثمة من يقوم مقامها في ذلك، أو كانت موظفة في عمل.

وإن كانت حائلاً: ترتب كل ما ذكر في الفقرة السابقة، من وجوب توفير المسكن لها، وتجب عليها ملازمته، إلا النفقة بأنواعها المختلفة من مؤنة وملبس وغير ذلك، فلا تثبت لها.

ي. أحكام الرجعة في الإسلام:

إذا طلق الرجل زوجته فلا بد أن يقع الطلاق على واحد من الأحوال التالية:

أولاً: أن يطلقها قبل الدخول.

إذا طلق الرجل زوجته قبل أن يدخل بها بانت منه بينونة صغرى، ولا يجب عليها أن تعتد منه؛ لقول الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، ولا تحل له بعد ذلك إلا بعقدٍ ومهرٍ جديدين، بناء على اختيارها ورضاها مع ولي أمرها.

ثانياً: أن يخالعه على مال.

إذا خالغ الزوج زوجته بانت منه، ولم يجر له أن يراجعها إلا بموجب عقد ومهر جديدين، كزوج جديد، سواء كان ذلك الخلع قبل الدخول بها أو بعده.

ثالثاً: أن يطلقها بعد الدخول طلقه أو طلقتين.

إذا طلق الزوج زوجته بعد الدخول بها طلاقة واحدة أو طلقتين، جاز له أن يراجعها بالقول أو الفعل بموجب العقد والمهر الثابتين، بناءً على رغبته المنفردة، إذا كانت عدتها لم تنقض بعد، ودليل ذلك قول الله - عز وجل -: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨] والمراد بالرد: الرجعة، وقال الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فإن الإمساك بمعروف بعد الطلاق لا يكون إلا بناءً على الرجعة.

فأما إذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها، فإنها تصبح بذلك بائنة منه بينونة صغرى، وعندئذ لا سبيل إليها إلا بعقد ومهر جديدين، باختيار منها، كزوج جديد، ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢] فلو كان حق الرجعة ثابتاً لزوجها الأول لما أباح لها النكاح ممن تشاء من الأزواج.

رابعاً: إذا طلقها ثلاث تطليقات:

إذا طلق الزوج زوجته ثلاث تطليقات، سواء كنّ متفرقات، أم مجتمعات بلفظ واحد، وسواء كان الطلاق قبل الدخول أو بعده، بانت منه الزوجة بينونة كبرى، ولم يعد له من سبيل إليها، سواء أثناء العدة أو بعدها، إلا بشروط، هي:

١. أن تتزوج زوجاً آخر، فيعقد نكاحها عقداً طبيعياً صحيحاً، بعد انقضاء عدتها من الزواج الأول.

٢. أن يدخل بها هذا الزوج الثاني دخولاً حقيقياً.

٣. أن يطلقها بعد ذلك طلاقاً صحيحاً.

٤. أن تنقضي عدتها منه، ثم إذا أراد بعد ذلك زوجها الأول أن يعود إليها كان له ذلك، لكن بناءً على رضاها، ويعقد ومهر جديدين، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

والحكمة من توقف حل المطلقة ثلاثاً على هذه الشروط هي: التنفير من الطلاق الثلاث، وحمل الأزواج بذلك على أن لا يتورطوا في الطلاق الثلاث.

خاتمة الفصل الثالث:

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. اتسمت قضية الزواج في التشريع الهندوسي من مصادره المعتمدة بتفرقة اجتماعية كبيرة نتيجة لنظام الطبقات الهندوسي فأصبح فقه الزواج معقدًا أشد التعقيد، وقد سمح التشريع الهندوسي بتعدد الزوجات بدون قيد للعدد، وسمح للزوج بطلاق زوجته ولم يسمح للزوجة بخلع الزوج، كذلك فإن التشريع الهندوسي سمح للزوج بضرب زوجته بلا اشتراط لكيفية الضرب بألا يكون غير مبرح ولا يلطم وجهًا، كما سمح للزوج بطرد زوجته من المنزل، ولم يسمح للمرأة بالتملك ولا بالاحتفاظ بالمال وإن كانت هي التي تكسبه، كذلك فإن النصوص الهندوسية سمحت لأخي الزوج أو لأحد اقربائه بمواقعة الزوجة في حال عدم إنجاب الزوج منها وبأن يُنسب الولد للزوج.

٢. سمحت النصوص المقدسة للزراذشتية بتعدد الزوجات بلا قيد للعدد، كما سمحت بأن تورث كالمتاع إن مات زوجها فتكون من نصيب أحد أقاربه، ولم تسمح للمرأة بسلطة على ممتلكاتها، كذلك سمحت النصوص الزرادشتية للرجل بتطليق زوجته وتخييرها بين أن تبقى كخادمة أو تُغادر المنزل، ولم تسمح للمرأة بخلع الزوج.

٣. بعض الديانات لم تتعرض لمصادر الزواج، فأصبح الزواج نظامًا اجتماعيًا يخضع لعادات المجتمع أو قوانين البلاد، وذلك مثل الجينية والشتوية والتاوية والكونفوشوسية والبوذية، ولا يوجد قيد لتعدد الزوجات في تلك

الأديان حيث كان يُمارس التعدد بلا حدود حتى صدرت القوانين في الهند والصين تقيد عدد الزوجات، وهذا من أوجه القصور في هذه الديانات الوضعية وعجزها عن وضع تشريعات تخص الزواج والطلاق.

٤. نشأت السيخية كمحاولة للدمج بين الإسلام والهندوسية، ولكن بطابع غربي حديث، فتوافقت مع الكثير من المطالب الغربية الخاصة بالمرأة، فرفضت السيخية تعدد الزوجات، ورفضت الطلاق (تأثراً بالغرب المسيحي)، مما أدى للسيخ في الوضع الراهن الحصول على الطلاق بحكم المحكمة.

٥. اتسمت اليهودية بفقهاء كبير للزواج بقي من أثر الرسل الذين بعثهم الله تعالى، وإن كان قد طاله التحريف في المصادر المقدسة عندهم، فالزواج في اليهودية منصوص عليه في كتبهم، والتعدد مسموح بدون حد أقصى، والطلاق مسموح به، بينما لا يوجد الخلع في نصوصهم، والمرأة عندهم يرثها أخو زوجها إن مات الزوج. كذلك ظلمت اليهودية المرأة غير اليهودية في أحكام الزواج أكثر مما فعلته بالمرأة اليهودية.

٦. الكتاب المقدس عند اليهود، قدسه النصارى وأسماه العهد القديم فأصبح مصدرًا من مصادرهم المقدس، وقد ورثت النصرانية منه بعض الأحكام والتشريعات عن الزواج ولكنها بدلتها، فمنعت الطلاق نتيجة لنص في العهد الجديد. بينما منعت الكنائس تعدد الزوجات تأثراً بالفكر الغربي، وبدون أي نصوص من كتبهم المقدسة. أدى القصور في نصوص الزواج، وعدم العدالة في إمكانية التفريق أو الطلاق بين الزوجين في مصادر النصرانية إلى اختلاف الكنائس عن بعضها البعض في جميع الأحكام الخاصة بالزواج والطلاق والرجعة.

٧. تناولت المصادر الإسلامية قضية الزواج والطلاق تناوياً شاملاً، فأقرت تعدد الزوجات بشروط محددة، وسمحت بحل الزواج بثلاث طرق (١) للزوج حق الطلاق، (٢) للمرأة حق الخلع، و(٣) للقاضي وولي الأمر حق فسخ العقد.

وأعطت للمرأة المطلقة حقوقاً لم تتطرق لها مصادر الأديان الأخرى مثل النفقة والمؤخر، والعدة، وسمحت بالرجعة بين الزوجين وذلك وفق شروط وأحكام محددة.

الباب الرابع



السلوك والأخلاق في الأديان

الفَصْلُ الْأَوَّلُ الطهارة والنظافة في الأديان

الفَصْلُ الثَّانِي حفظ الأمانة وذم الخيانة في الأديان

الفَصْلُ الثَّلَاثُ الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الأديان

تمهيد الفصل الأول

اعتنت الدول اليوم بموضوع الطهارة والنظافة وأثرها في الوقاية من الأمراض، وأنفقت في سبيل ذلك مليارات الدولارات تحقيقاً لهذا الهدف، ولقد دار في خلدي سؤالاً وهو: أي الأديان اعتنت في مصادرها المقدسة بالطهارة والنظافة الكافية للقبول الاجتماعي وللحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض بما يتناسب مع المتغيرات المختلفة على مر العصور، وذلك بدون تكلف وعناء ومبالغة غير عملية؟ فيما يلي نستعرض موقف الأديان والشرائع من الطهارة والنظافة من مصادرها المقدسة.



الفصل الأول: الطهارة والنظافة في الأديان

١. الطهارة والنظافة في الهندوسية:

أ. الطهارة في الهندوسية:

نجاسة الإنسان في الهندوسية تحدث لأمر متعددة منها: لمس الميت، أو ولادة الطفل، أو نتيجة لوفاة أحد الأقارب، أو الحيض عند النساء، أو خروج المنى، أو القيء، كما تحدث نتيجة للعديد من الأسباب الأخرى. ونجاسة الإنسان في الهندوسية لها مدة أو فترة محددة للانتهاء قبل أن يتم التطهر.

ومعنى النجاسة عند الهندوس: هي النجاستان الروحية والبدنية معاً؛ بحيث لا يحق للمرأة وهو في حالته هذه أن يقوم بكثير من العبادات ولا يقبل ما يقدمه بيده من طعام وغير ذلك^(٣٥١).

أما فيما يختص بنجاسة الملابس أو أواني الطعام والمركبات والأرض وغير ذلك من متاع، فاختلفت وتعددت الأحكام في كيفية طهارتها، ولم تفصل وتبين سبب نجاستها إلا فيما يتعلق بنجاسة الأواني الفخارية والتي ذكر سبب تنجسها هو بول، أو غائط الإنسان، أو الخمر، أو الدم.

ومن أجل التطهر في الهندوسية، يجب على المرء (١) انتظار المهلة المحددة لذلك، ثم (٢) الاغتسال بالماء في غالب الأحوال أو لمس شيئاً معيناً، أما تطهير الأواني والأرض والملابس فقد تعددت وتنوعت الطرق الخاصة بذلك كما سنبين من قوانين مانو. جاءت الاقتباسات التالية الخاصة بالطهارة من قوانين مانو كما يلي:

(٣٥١) منوسمرتي، كتاب الهندوس المقدس، ترجمة: إحسان حقي، م سابق، ص ٢٨٦.

١. الطهارة بعد موت قريب من الأقارب أو بعد ولادته

(٥: ٦١): «على الأقرباء أن يراعوا أصول التطهر من النجاسة عند ولادة «سبند»، كما يراعونها عند موته إن كانوا يودون أن يكونوا من الأطهار» (٦٢) «إن نجاسة الموت تمس «السبند» كلهم، وأما نجاسة الولادة فإنها تمس الأم وحدها، ويطهر الأب بعد الغسل».

٢. طهارة الرجل بعد خروج المنى أو ولادة مولود له من امرأة تزوجت

قبله.

(٥: ٦٣): «إذا خرج المنى من الرجل، فإنه يتطهر بالغسل. وأما إذا ولد له مولود من امرأته التي هو زوجها الثاني فإن نجاسته تدوم ثلاثة أيام» (٣٥٢).
(٢: ١٨٠): «إذا احتلم التلميذ من غير شهوة ولا عمد، فعليه أن يغتسل ويسجد للشمس ويقول ثلاث مرات: «اللهم أرجع لي قوتي».

٣. الطهارة بعد لمس جثمان الميت

(٢: ٦٤): «إن من يلمس جثمان الميت فإنه يتطهر بعد نهار وليلة، بالإضافة إلى ما يصيبه من أيام النجاسة المذكورة آنفاً، كما يتطهر من يقدم إليه مقدمة الماء بعد ثلاثة أيام».

٤. الطهارة بعد حرق جثمان

(٢: ٦٥): «إن التلميذ الذي يتولى حرق أستاذه يتطهر بعد عشرة أيام، كما يتطهر حامل الجثمان إلى المحرقة بالمدة ذاتها».

٥. الطهارة بعد سقوط الجنين

(٢: ٦٦): «تطهر المرأة بعد إسقاط حملها بيوم عن كل شهر من أشهر الحمل، وتطهر بعد الحيض بالغسل».

٦. الطهارة بعد ملامسة رجل سافل، أو امرأة حائض، أو نفساء، أو

جثمان ميت، أو لمس من قد لمس جثمان ميت

(٢: ٨٥): «يطهر المرء بالغسل إذا لامس: رجلاً سافلاً، أو امرأة حائضاً، أو نفساء، أو جثمان ميت، أو لمس من قد لمس جثمان ميت».

٧. طهارة الأنية والمتاع

(٢: ١١١): «إن كل الأشياء المصنوعة من المعادن أو الجواهر أو الأحجار تطهر بالرماد وبالتراب أو بالماء».

٨. الطهارة ببول أو خثي البقر:

(٢: ١٢١): «على العالم بالأحكام الدينية أن يطهر الأصداف والقرون والعظام والعاج والثياب بمزيج بول البقر مع الماء». (١٢٢) «ويطهر العشب والخشب والقش برش الماء عليه. وتطهر الدار بكنسها وطليلها بخثي البقر أو بالكلس، وتطهر الأواني الفخارية بطبخها ثانية».

٩. طهارة مواضع الحدث في الإنسان

(٢: ١٣٤): «يجب تطهير القبل والدبر، يفركهما بالتراب والماء على قدر الضرورة، وكذلك يجب إزالة كل ما يعلق على البدن من هذه الأشياء الاثني عشر الآتية بالتراب والماء أيضاً: (١٣٥) «المواد الدهنية المترسحة من الجسم والمني

والدم وورشح الدماغ والبول والغائط والمخاط ووسخ الأذنين والبلغم والدموع ووسخ العينين وعرق البدن». (١٣٦) «على من يرجو الطهارة أن يفرك أعضائه مرة واحدة بالتراب ويفرط دبره ثلاث مرات ويده اليسرى عشر مرات واليدين معاً سبع مرات».

ب. الاهتمام بالنظافة في الهندوسية:

بينما حضت النصوص الهندوسية على الالتزام بالنظافة العامة أو الشخصية في بعض الأمور، إلا إنها حضت على نقيضها في أمور أخرى. فعلى سبيل المثال: أوصت النصوص بتهديب الأظافر، بينما منعت قصها في مرحلة من مراحل الحياة الأربعة للهندوسي (تلمذة-عمل-عبادة-زهد)، كذلك أوصت بغسل الأعضاء بعد قضاء الحاجة، بينما أمرت بتطهير الأوعية ببول وخشي البقر. فقد جاءت النصوص من كتاب قوانين مانو كما يلي:

١. الأمر بغسل الأعضاء بعد قضاء الحاجة

(٢: ١٣٨): على المرء بعد قضاء حاجته من بول أو غائط أن يمص الماء ويغسل فروجه العليا. وكذلك يفعل قبل قراءة الويد وتناول الطعام.

٢. الأمر بعدم إلقاء قاذورات في الماء

(٤: ٥٦): وعليه ألا يلقي بولاً ولا غائطاً في الماء، ولا يبصق فيه أو يلقي فيه ثوباً نجساً ولا دمًا ولا سمًا.

٣. الأمر بقص الأظافر

(٤: ٣٥): وعليه أن يحلق شعر رأسه، وأن يقلم أظافره، ويحف لحيته... وعليه أن يلبس ثياباً بيضاء نظيفة طاهرة. (للعامل - في المرحلة الثانية من الحياة)

٤. الأمر بترك الأظافر

(٦: ٦): (وعليه أن يرتدي جلدًا أو أسماًلاً وأن يغتسل صباحاً ومساءً وأن يترك شعر رأسه غدائر وأن يعفي لحيته وشاربه ولا يقلم أظافره. (للعابد - في المرحلة الثالثة من الحياة)

٥. الأمر بالتطهر ببول وخثي الأبقار

(٢: ١٢١): على العالم بالأحكام الدينية أن يطهر الأصداف والقرون والعظام والعاج والثياب بمزيج بول البقر مع الماء.

٢. الطهارة والنظافة في الزرادشتية:

أ. الطهارة في الزرادشتية:

غالب النصوص الخاصة بالنجاسة البدنية في الزرادشتية، تدور حول النجاسة الناتجة من الموت، أو من جثة المتوفي سواء بلمسه أو حمله أو الاصطدام به، وسواء كانت الجثة هي جثة إنسان أو كلب. وغالباً التطهر من هذه النجاسة العظيمة عندهم، يكون بالاستحمام ببول الثور، ويعقب ذلك الماء.

الجزء الباقي من النصوص الخاصة بالنجاسة، يدور حول المرأة الحائض، ولم تذكر النصوص كيفية التطهر، أما التطهر من الاحتلام وكذلك من التلوث ببول الإنسان، فهو أن يكتفي المرء بترديد بعض التراتيل. ولم تذكر نصوصهم أي نوع من النجاسة خلافاً لما سبق.

أما المنزلة الأولى في الطهارة في المفهوم الزرادشتي هي الطهارة التي يكتسبها الإنسان بالإيمان وتنقية النفس من أدران الكفر والوثنية والشرك، ثم تلوها في المنزلة طهارة أخرى للنفس والبدن معاً، كما يلي:

١. طهارة النفس:

نهت الشريعة الزرادشتية عن الإتيان بأفعال بعينها وصفتها بالقبح، وحكمت عليها بأنها مما يلوث صفاء النفس ويفسدها ويعطلها عن مهمتها في الحياة، ويُعد النهي والتحذير من ارتكابها صريحاً في «الأفستا» نذكر منها: شرب الخمر، وأكل الميتة، وأكل ما يخرج من باطن الإنسان من أي منفذ كان، والربا والزنا والسرقة واللواط والكذب والانتحار، وغيرها.

٢. طهارة البدن:

يجب على كل مؤمن زرادشتي تنظيف بدنه مرة واحدة في اليوم على الأقل، وذلك بغسل وجهه ويديه، فغسل الوجه واليدين بمنزلة تطهير شامل للبدن كله، وليس مرهوناً بجنابة أو دنس يلحق بالبدن، فالمشرع ينظر إليه بوصفه شعيرة تعبدية بقصد نظافة أكثر أعضاء البدن تعاملاً مع حركة الحياة، ويستخدم فيها الماء الطاهر بالقدر الذي يطمئن إليه المتطهر.

ومما يجب غسله ونظافته وتطهيره بجانب البدن ما له علاقة مباشرة به، كالملابس، التي يجب غسلها جيداً من الدرن والأوساخ، ويُعد ارتداء الملابس القذرة وعدم الاعتناء بنظافتها، أو ارتداء ملابس رثة أو ممزقة من الأمور المكروهة في الدين، والمفروض على المؤمن تجنبها ما وسعته قدرته.

إن استخدام المياه في سائر ما يتطهر به من نجاسات البدن وما يتعلق به، ودخولها بشكل مباشر كعنصر رئيسي في العبادة والشعائر الدينية أدى بزرادشت إلى توصية أتباعه باحترامها وتقديرها وفرض عليهم تنزيهها والمحافظة عليها نقية صافية، فلا يلقى فيها ما يفقدها قدرتها على التطهير. ومن بعد زرادشت ظل تعظيم الماء يتعاظم عند الفرس مع الزمن، ونظرة التعظيم إليه تتضخم حتى وصل بهم الأمر إلى

حد التقديس وترك استعماله في إزالة النجاسات وإمطة القاذورات. ففي الاستخدام اليومي لا يستعمل الماء في غسل الأيدي بعد الأكل ولا في المضمضة لاعتقادهم أن في ذلك استخفافاً بالماء، ويكتفون فقط بمسح الشفاه (٣٥٣).

الغريب أنه تتم الطهارة في كثير من الأمور ببول الثور، وأحياناً ببول رجلين أو امرأتين من الأقارب!

١. الطهارة من البول والاحتلام

لم يفرض الغسل في الجنابات مثل البول أو الاحتلام وغيرها، وإنما على الزرادشتي في حالة التلوث بالبول على أجزاء جسده، أن يشرع في تلاوة أدعية تطهره من جنابته، ويفعل الشيء نفسه كل من يلقي نطفته في النوم، فعليه بمجرد استيقاظه ترتيل أدعية التطهر الخاصة بجنابة الاحتلام ولا يجب عليه في كل الأحوال استخدام الماء الطاهر.

٢. طهارة المرأة من الحيض

لم يُذكر أي شيء عن كيفية التطهر، ولكن اعتُبرت المرأة نجسة، ولا يجوز الاقتراب منها ولا النوم بجوارها وعلى الرجل الابتعاد عنها بثلاث خطوات، وإن لمسها طفل يطهر بغسل يديه بالماء.

فقد جاء في الأفيستا (فينداد - فاركاذا ١٦)، ما يلي: (١) يا خالق العالم الدنيوي، أيها المقدس، إذا كان في بيت أحد عباد مازدا امرأة وهي في حالة سيلان أبيض أو أتاها الحيض ورأت الدم، فماذا يفعل عباد «مازدا»؟ (٢) أجب أهو ررامزدا: «يجب عليهم تنظيف الدرب إلى الغابة من النباتات والأشجار، ونثر التراب الجاف على الأرض،

وعزل نصف، أو ثلث، أو ربع، أو خمس جزءِ المنزل لثلا يقع نظرها على النار... (٥)... وكم يكون بعيداً عنها الرجل الذي يقدم الطعام وهي في حالة سيلان أبيض أو رأت الدم؟ (٦) أجاب أهورامزدا: «على بعد ثلاث خطوات عنها» (٧)..... إذا لمسها طفل تغسل يده ومن ثم جسده.

٣. التطهر بعد لمس جثة

جاء في الأفيستا (فينداد - فاركاد ١٩): (٢٠) سأل زرادشت أهورامزدا: «يا أهورامزدا،... إن فاهومانو (العبد الصالح) يصير مدنساً مباشرة، ويصير مدنساً بشكل غير مباشر، إن الأبالسة تدنسه بالأجساد النجسة (أجساد الموتى)، فكيف يصير طاهراً؟ (٢١) أجاب أهورامزدا: «يجب أن تأخذ قليلاً من بول الثور.. وتذهب بالرجل المراد تطهيره إلى الحقل. (٢٢) يتلو صلاة آشم - فاهو مئة مرة... صلاة آهونا - فايرنا مئتي مرة (٣٥٤)»... وعليه أن يغسل نفسه أربع مرات ببول الثور، ومرتين بالمياه....

ب. الاهتمام بالنظافة في الزرادشتية

الاهتمام بالنظافة ضعيف جداً في الزرادشتية، فنظراً لتقديسهم للماء واهتمامهم بنقاوته، فإنهم يكتفون بغسل الوجه واليدين يومياً ويعتبرون أن ذلك تطهير وتنظيف كامل للبدن، وكما تم بيانه بالأعلى يتم التطهير ببول الثور أو بول الإنسان.

٣. الطهارة والنظافة في الجينية:

أ. الطهارة في الجينية:

الجينية لا تعترف بالنجاسة، ولا يوجد مفهوم أو أي تعليمات خاصة بالطهارة في الجينية، فالجينية تعتمد على التطهر الداخلي، ولا تلقي بالألأ أي تطهر خارجي خاص بالجسم.

الاستثناء الوحيد أن بعض الفرق تقول بأن المرأة تعتبر نجسة وقت الحيض، ولكن لم يتم ذكر الطهارة من الحيض، وترك الأمر على أساس أنه بانتهاء الحيض تعود المرأة كما كانت (٣٥٥).

ب. الاهتمام بالنظافة في الجينية

الاهتمام بالنظافة الشخصية منعدم في الجينية، نظرًا لحساسيتهم الشديدة ناحية قتل أي كائن حي، حتى لو كان حشرة أو بكتيريا، ولخوفهم الشديد على الموارد الطبيعية خاصة الماء.

فالاستحمام أو الاغتسال يعتبر من الأمور المرفوضة بشدة لرهبان الجينية، نظرًا لإهدار الموارد الطبيعية، وكذلك الرهبان يؤيدون ويتحرون التبرز الجاف، وعدم استخدام الحمامات التي يتم فيها عمل كسح للفضلات بالماء لنفس السبب (أي لا يستخدمون الحمامات التي يتم فيها التخلص من الفضلات بالماء كما في الحمامات المعتادة)، ويررون ذلك بما يلي:

١. تستخدم المراحيض الكثير من الماء للنظافة وفي هذا إهدار للموارد الطبيعية.
٢. تنظيف المراحيض يتطلب منظفات حمضية وفرشاة وما إلى ذلك مما يؤدي إلى قتل الكائنات الحية التي تعيش هناك مثل البكتيريا والفطريات.

(٣٥٥) يُنظر: ترجمة: الموسوعة البريطانية، (مارس ٢٠٢٤):

٤. الطهارة والنظافة في الكونفوشيوسية:

الفكرة الرئيسية للكونفوشيوسية هي تنمية الفضيلة وتطوير الكمال الأخلاقي، والكونفوشيوسية ليس لها مسجد أو كنيسة ولا رجال دين ولا كتاب مقدس شرعت فيه العبادات والفروض. فلا يوجد أي ذكر للنجاسة والطهارة سواء الروحية أو الجسدية.

ولم تأت أي نصوص في الكونفوشيوسية تتحدث عن النظافة سواء النظافة العامة أو النظافة الشخصية. بذلك فالنظافة مرتبطة بالسلوك والعادات والتقاليد والاستحسان والقبح في المجتمع.

٥. الطهارة والنظافة في البوذية:

لا يوجد في البوذية مفهوم للنجاسة أو أفعال أو أحداث قد تؤدي لنجاسة الإنسان مما يلزمه التطهر. فمفهوم النجاسة «عدم التطهر» يشير في البوذية إلى عدم وجود نقاء ذهني أو عقلي، ويتم التغلب على ذلك بالتأمل.

وقد اهتمت التقاليد البوذية بالنظافة والتنظيف، ولكنها أعطت الأولوية لتنظيف البيوت وأماكن العبادة. فحسب التقاليد والعادات البوذية فإن التنظيف هو عمل مستمر وهو وسيلة لتنقية النفس أثناء عملية التنظيف.

يمارس الرهبان في المعابد عملية التنظيف وإزالة الأتربة ومسح الأرض، باعتبار أن ذلك ينقي الذهن ويزيل الأفكار والرغبات السيئة. كما يؤكد الرهبان ورجال الدين البوذيين على أن أولويات النظافة، هي نظافة الوسط المحيط بالإنسان، ونظافة العقل، ومن المرغوب فيه أيضًا نظافة الجسم ^(٣٥٦).

(٣٥٦) يُنظر ترجمة: موقع دراسة البوذية، الطهارة والنجاسة، (مارس ٢٠٢٤)

٦. الطهارة والنظافة في الطاوية:

لا يوجد في الطاوية مفهوم للنجاسة المادية أو الجسدية مثلما هي في الإسلام واليهودية والهندوسية، ولكن تعلم النصوص الطاوية أهمية الحفاظ على نقاء الجسد من أجل ضمان الصحة الروحية. فالنجاسة عند الطاوية «عدم النقاء»: تتمثل في الجشع والشهوة والكبرياء وعدم الأمانة.

ولا يوجد في الطاوية مفهوم أو طرق للتطهر الجسدي تتضمن طقوس أو أركان مثل الاغتسال أو غيرها، ولكن تُعلم النصوص الطاوية أهمية الحفاظ على نقاء الجسد من أجل ضمان الصحة الروحية. فللبقاء نقيًا حسب الطاوية، يجب على الشخص تجنب بعض الأنشطة والأطعمة، وتجنب الجشع والشهوة والكبرياء وعدم الأمانة. كما لا توجد نصوص تحث على النظافة الشخصية والنظافة العامة في الطاوية، ولكن يعتقد الطاويون أن الجسد يجب أن يكون نظيفًا ماديًا وروحيًا من أجل المحافظة على الصحة (٣٥٧).

٧. الطهارة والنظافة في الشنتوية:

النجاسة عند الشنتو تشير إلى أي شيء يفصلهم عن الـ «كامي»، وعن القوة الإبداعية والمنسقة. ولا توجد أي نصوص أو ممارسات تتحدث عن النجاسة المادية سواء كانت للبشر أو للأماكن.

الأشياء التي تسبب النجاسة ويلزمها التطهر، هي «تسومي»، وتعني الخطيئة، ولكنها تختلف عن الخطيئة من حيث إنها تتضمن أشياء خارجة عن سيطرة الأفراد ويُعتقد أن سببها الأرواح الشريرة. في الشنتو القديمة، شمل تسومي أيضًا المرض والكوارث والخطأ، ويعتبر أي شيء مرتبط بالموت أو الموتى ملوثًا بشكل خاص.

(٣٥٧) يُنظر: ترجمة موقع الطاوية، (مارس ٢٠٢٤)

ولا يبدي الشتو أي اهتمام بالطهارة الجسدية، ولا توجد أي نصوص تخص الطهارة الجسدية، فالطهارة عند الشتو هي الطهارة الروحية، وهي جوهر فهم الشتو للخير والشر. ويمكن استعادة النقاء من خلال طقوس محددة وممارسات شخصية تظهر الجسم والعقل، كما يشيع استخدام الماء والملح كعوامل تنقية، ويمكن أيضاً استخدام هارايجوشي «عصا تنقية» (٣٥٨).

كذلك لا توجد في الشتوية تعاليم وأحكام تخص النظافة والحض عليها.

٨. الطهارة والنظافة في السيخية:

لا توجد نجاسة في السيخية بمفهومها في الإسلام واليهودية والنصرانية والهندوسية، بل إن النجاسة في السيخية هي النجاسة العقلية باتباع الأفكار السيئة والسلوك المشين مثل: الطمع، والجشع، والشهوة، والغضب.

جاء في كتاب سري جورو جرانت صاحب، ما ترجمته (٣٤٦: ١٤): «ظاهرياً، يغسل بالماء، لكن في أعماق قلبه يتلوث بكل أنواع الرذائل. فكيف يكون ظاهراً؟ طريقته في التطهير هي مثل طريقة الفيل، يغطي نفسه بالتراب بعد حمامه!».

أما الطهارة في السيخية، فهي لا تتأتى بالغسل، بل تعلم السيخية أن الأهم هو تطهير العقل من الرذائل، لذلك لا يوجد غسل واجب في السيخية. على الرغم من ذلك فإن السيخية تؤكد أن الطقوس اليومية للسيخي يجب أن تبدأ بالاستحمام.

وقد أثنت السيخية على كل من النظافة الجسدية والنظافة الروحية، حيث توجد نصوص سيخية تحض على الاستحمام يومياً، مع وجود نصوص أخرى تحث على النقاء الداخلي.

(٣٥٨) يُنظر ترجمة: الشتو وطقوس النقاء، (مارس ٢٠٢٤):

حيث تؤمن السيخية ببلوغ القداسة والنقاء والنظافة الشخصية ونظافة المحيط من خلال تجنب الكراهية، والرجم، والضغط الجسدي، والعاطفي. كما تؤمن بأن القلب والعقل لا يمكن أن يكونا طاهرين بدون طهارة الجسد، لذلك يعد الاستحمام والغسيل جانبًا مهمًا من جوانب أسلوب حياة السيخ^(٣٥٩).

جاء في كتاب السيخ المقدس: «سري جورو جرانت صاحب»، ما ترجمته: (٣٢٤:٩): «أولئك الذين يأخذون طقس الاستحمام في المساء والصباح هم مثل الضفادع في الماء».

٩. الطهارة والنظافة في اليهودية:

أ. الطهارة في اليهودية:

اتسمت الشريعة اليهودية في باب النجاسات بالتشدد والتعقيد، إلى حد يجعل الأصل عندهم هو النجاسة، والطهارة فرغٌ عنه، وذلك من شدة الأحكام الصارمة التي تتأذى منها النفس البشرية السوية، وتتصادم مع العقل السليم، وللطهارة عندهم طقوسٌ معقدة، لا يمكن تحقيقها إلا بعد تقديم القرابين اللازمة. وفيما يلي نماذج من التشدد اليهودي في النجاسة وتطهيرها:

١. نجاسة جثة الإنسان:

يعتبر اليهود جثة الإنسان نجسة، ومن مسها يظل نجسًا لمدة سبعة أيام، ويصبح المنزل الذي يموت فيه إنسان نجسًا، وكل من في المنزل الذي مات فيه إنسان يتنجسون، ويجب عليهم التطهر، وهذا من أعجب الأشياء!

فقد جاء في (سفر العدد ١٩: ١١ - ١٣): «مَنْ مَسَّ مَيِّتًا مَيِّتَةً إِنْسَانٍ مَا،

(٣٥٩) مترجم من: موقع الارسالية السيخية، (مارس ٢٠٢٤):

يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ١٢ يَتَطَهَّرُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَكُونُ طَاهِرًا. وَإِنْ لَمْ يَتَطَهَّرْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ لَا يَكُونُ طَاهِرًا. ١٣ كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةَ إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ. فَتُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ. لِأَنَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يَرُشْ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِيسَةً. نَجَّاسَتُهَا لَمْ تَزَلْ فِيهَا.»

٢. نجاسة المرأة الحائض والمستحاضة:

من تشدد اليهودية: تشدها في نجاسة المرأة الحائض والمستحاضة، وما يجب عليها أن تفعله كي تتطهر من هذه النجاسة؛ إذ تذكر التوراة أن المرأة تكون نجسة نجاسة حسية لعدة أيام خلال فترة حيضها، وفي هذه المدة تنتقل عدوى نجاستها إلى كل من يمسه، أو ما تلمسه هي، أو ما تجلس عليه.

فقد جاء في (سفر اللاويين ١٥ : ١٩ - ٢٤): «وإذا كانت امرأة لها سيل، وكان سيلها دمًا في لحمها، فسبعة أيام تكون في طمئتها، وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء، وكل ما تظطجع عليه في طمئتها يكون نجسًا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا، ومن مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا حتى المساء، وكل من مس متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسًا إلى المساء، وإن كان على الفراش أو المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسه يكون نجسًا إلى المساء.»

وتبقى هذه النجاسة للمرأة ليس فقط في فترة الحيض، بل حتى في حالة خروج الدم من غير حيض «الاستحاضة» فتكون المرأة نجسة كذلك، وبالتالي تؤثر نجاستها في كل ما تتصل به سواء أكان ذلك إنسانًا، أم متاعًا، أم غير ذلك (٣٦٠). وذلك كما جاء سفر (اللاويين ٢٥ : ١٥ - ٢٩)

٣. نجاسة المرأة النفساء:

ومن تشدد اليهود في باب النجاسة: أنهم جعلوا المرأة الحامل إذا ولدت ذكرًا أو أنثى (النفساء) نجسة، وفرقوا بين نجاستها في حال ولدت ذكرًا، وحال ولدت الأنثى (٣٦١)، وذلك حسب ما جاء في سفر (اللاويين ١٢: ١ - ٥): « ١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢ «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: إِذَا حَبَلَتْ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا، تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمَثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. ٣ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. ٤ ثُمَّ تُقِيمُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلُّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لَا تَمَسُّ، وَإِلَى الْمَقْدِسِ لَا تَجِئُ حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامَ تَطْهِيرِهَا. ٥ وَإِنْ وُلِدَتْ أَنْثَى، تَكُونُ نَجِسَةً أُسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمَثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةَ وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا.»». مع أن الأصل أن أيام الطمث أو النفاس لا تختلف مع المرأة الواحدة باختلاف ما تلد.

٤. نجاسة اضطجاع الرجل مع امرأته:

جاء في (سفر اللاويين ١٥: ١٦ - ١٨): «وَإِذَا حَدَّثَ مِنْ رَجُلٍ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ، يَرْحَضُ كُلَّ جَسَدِهِ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ١٧ وَكُلُّ ثَوْبٍ وَكُلُّ جِلْدٍ يَكُونُ عَلَيْهِ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ يُغْسَلُ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ١٨ وَالْمَرْأَةُ الَّتِي يَضْطَجِعُ مَعَهَا رَجُلٌ اضْطِجَاعُ زَرْعٍ، يَسْتَحِمَّانِ بِمَاءٍ، وَيَكُونَانِ نَجِسَيْنِ إِلَى الْمَسَاءِ. وهذا النص يدل على أن غسل الجنابة كان موجودًا عندهم.

٥. نجاسة الأبرص الذي به جرح يسيل دمًا أو قيحًا:

وأما طهر الأبرص فيكاد يصل إلى الشعوذة والدجل عند اليهود، ويلاحظ أن موضوع البرص يشغل من شريعة الرب إصحاحين أو ثلاثة إصحاحات في سبع صفحات. فالأبرص المريض يصبح نجسًا فيطرد من المدينة المقدسة! حيث جاء في (سفر اللاويين ١٣: ٤٤ - ٤٦): « ٤٤ فَهُوَ إِنْسَانٌ أَبْرَصٌ. إِنَّهُ نَجِسٌ. فَيَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ. إِنْ ضَرَبَتْهُ فِي رَأْسِهِ. ٤٥ وَالْأَبْرَصُ الَّذِي فِيهِ الضَّرْبَةُ، تَكُونُ ثِيَابُهُ مَشْقُوقَةً، وَرَأْسُهُ يَكُونُ مَكْشُوفًا، وَيُغَطِّي شَارِبِيهِ، وَيُنَادِي: نَجِسٌ، نَجِسٌ. ٤٦ كُلَّ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ الضَّرْبَةُ فِيهِ يَكُونُ نَجِسًا. إِنَّهُ نَجِسٌ. يُقِيمُ وَحْدَهُ. خَارِجَ الْمَحَلَّةِ يَكُونُ مُقَامَهُ.»

٦. إذا مات إنسان في خيمة:

وهذه عجيبة أخرى من أعاجيب النجاسة عند اليهود، ومن الأفضل أن نترك التوراة ترويها دون تعليق فهي تعلق على نفسها: فقد جاء في سفر (العدد ١٩: ١٤ - ١٦): «هذه هي الشريعة: إذا مات إنسان في خيمة، فكل من دخل الخيمة، وكل من كان في الخيمة يكون نجسًا سبعة أيام، وكل إناء مفتوح، ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس، وكل من مس على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف، أو ميتًا، أو عظم إنسان، أو قبرًا يكون نجسًا سبعة أيام.»

وهذا عن النجس والنجاسة، وأما عن تطهير هذا النوع من النجاسة، فتقول التوراة في سفر (العدد ١٩: ١٧ - ١٩): «فياخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية الذي يقدمها النجس، ويجعل عليه ماءً حيًّا في إناء، ويأخذ رجل طاهر (زوفًا) (٣٦٢)، ويغمسها في الماء، وينضحه على الخيمة، وعلى جميع الأمتعة، وعلى الأنفس الذين

(٣٦٢) نبات بري يرجح أنه الزعر و كان يستخدم عادة للتطهير، ينظر: المصدر السابق، ص ٤٣٧/٤٣٨.

كانوا هناك، وعلى الذي مس العظم، أو القليل، أو الميت أو القبر، ينضح الطاهر على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع، ويطهره في اليوم السابع فيغسل ثيابه، ويرحض بماء، فيكون طاهراً في المساء».

وأما إذا لم يتطهر الإنسان النجس حسب أوامر التوراة، وجب عليه القتل كما في سفر (العدد ١٩: ٢٠): «وأما الإنسان الذي يتنجس، ولا يتطهر فتباد تلك النفس من بين الجماعة (بني إسرائيل) لأنه نجس مقدس الرب ماء النجاسة، لم يرش عليه، إنه نجس».

٧. نجاسة من مس جثة حيوان سواء يؤكل أو لا يؤكل:

ولم تقتصر النجاسة عند اليهود على ما سبق، بل جعلوا كل من مس أو حمل جثة حيوان يؤكل أو لا يؤكل يكون نجساً إلى المساء، وذلك كما جاء في (سفر اللاويين ١١: ٢٦) وَجَمِيعُ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَهَا ظِلْفٌ وَلَكِنْ لَا تُشْقُّهُ شَقًّا أَوْ لَا تَجْتَرُ، فَهِيَ نَجِسَةٌ لَكُمْ. كُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا. ٢٧ وَكُلُّ مَا يَمْشِي عَلَى كُفُوفِهِ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَاشِيَةِ عَلَى أَرْبَعٍ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. كُلُّ مَنْ مَسَّ جُثَّتَهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٨ وَمَنْ حَمَلَ جُثَّتَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. إِنَّهَا نَجِسَةٌ لَكُمْ.

وفي سفر (اللاويين ١١: ٣٩ - ٤٠) «وإذا مات واحد من البهائم التي هي طعام لكم، فمن مس جثته يكون نجساً إلى المساء، ومن أكل من جثته يغسل ثيابه، ويكون نجساً إلى المساء، ومن حمل جثته يغسل ثيابه، ويكون نجساً إلى المساء».

ويقول الدكتور: كامل سعفران: «ويدهش المرء إذا علم أن الجمل والحمار والحمار والأرنب مما لا يؤكل، وكان الحمار وسيلة الانتقال قبل أن يعرفوا الجمل، فكيف ينجس من مسه؟ ولماذا تظل النجاسة حتى المساء؟» (٣٦٣).

هذه بعض النماذج فقط، وهي تبين مدى ما وصلت إليه النجاسة والطهارة في الشريعة اليهودية من التعقيد والتكلف الذي لا فائدة منه.

ب. الاهتمام بالنظافة في اليهودية:

لم تأت نصوص في العهد القديم تخص النظافة، إلا الأمر بتغطية البراز بعد التبرز، والأمر بالاغتسال والتنقية كما يلي:

١. (التثنية ٢٣: ١٢-١٣): وَيَكُونُ لَكَ مَوْضِعٌ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ لِتَخْرُجَ إِلَيْهِ خَارِجًا. ١٣ وَيَكُونُ لَكَ وَتَدْمَعُ عُدَّتِكَ لِتَحْفَرَبِهِ عِنْدَمَا تَجْلِسُ خَارِجًا وَتَرْجِعُ وَتُعْطِي بُرَازَكَ.

٢. (إشعياء ١: ١٦): اِغْتَسِلُوا. تَنْقُوا. اغزِلُوا شَرَّ أفعالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ.

١٠. الطهارة والنظافة في النصرانية:

أ. الطهارة في النصرانية:

بالرغم من تشدد الشريعة اليهودية في باب النجاسات، وبالرغم من أن المسيح عليه السلام، كما جاء في العهد الجديد قال إنه لم يأت بدين جديد كما جاء في إنجيل (متى ٥: ١٧): «لَا تَطْنُونَا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمَلَ»، إلا أن التغيير والتبديل في الشريعة فيما يخص العديد من الأمور ومنها النجاسة والطهارة جاء حسب تعاليم بولس، وجاءت الأحكام مخالفة للتشريع اليهودي (الذي أقره المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لذلك فإن تشريعات النجاسة والطهارة في النصرانية جاءت متسمة بالتساهل الشديد، وعدم المبالاة، وعدم العناية بالنجاسة والنجاسات حسب أقوال بولس.

١. تغيير الأحكام والشرائع:

حسب عقيدة وأفكار (بولس) كل شيء طاهر إلا إذا حسبته أنت نجسًا. إذ يقول بولس: (روم ١٤: ١٤): «إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجسًا بذاته، إلا من يحسب شيئًا نجسًا، فله هو نجس».

كذلك أصبحت جميع المحرمات في التوراة حلالًا بفتوى (بولس) ولا يوجد في شريعته شيء حرام إلا للنجسين، فالأشياء الطاهرة هي للنجسين نجسة، والأشياء النجسة هي للطاهرين طاهرة.

فنجده يقول في رسالته إلى (تيطس ١: ١٥): «كل شيء طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين، فليس شيء طاهرًا، بل قد تنجس ذهنهم أيضًا وضميرهم». واستطاع «بولس» بذلك أن ينسخ شريعة موسى كلها، واجتهد كثيرًا في إشاعة حكم الإباحة العامة، وفي إقناع أتباعه بأن أحكام التوراة كلها صارت منسوخة.

٢. ما لم يغيره بولس:

لا تزال الكنائس التي تمارس الطقوس الكنسية، لا تسمح بدخول الأمهات إلى الكنيسة قبل أن يقوم الكاهن بتحليل المرأة بعد الولادة، وذلك استنادًا إلى اعتبارها نجسة حسب نص العهد القديم السابق عرضه في اليهودية. (سفر اللاويين ١٢: ١ - ٨).

كتب «ميخائيل مكسي إسكندر»: تحت عنوان: س ١٢٤ ما المقصود بصلاة تحليل المرأة؟ «عندما تريد المرأة دخول الكنيسة (٤٠ يومًا من ولادة الولد، ٨٠ يومًا من ولادة البنت)... ويذكر العلامة السرياني «الدويهي» أن هذه الصلاة للمرأة تُسمى في سوريا وروسيا «صلاة الباب»، لأن هذا الطقس للمرأة يمارس على باب الكنيسة، حيث يصلي الكاهن للمرأة صلاة التحليل والبركة، ثم يدهنها بالزيت، ثم تعترف بخطاياها وتتناول من السر» (٣٦٤).

ب. الاهتمام بالنظافة في النصرانية:

لا توجد نصوص في العهد الجديد تتحدث عن النظافة الجسدية، وقد تطرّف القساوسة والرهبان في العصور الوسطى إلى حد اعتبار القذارة من وسائل التقرب إلى الله، وأن النظافة من عمل الشيطان، فكان أزهدهم وأتقاهم: أبعدهم عن الطهارة، وأوغلهم في النجاسات!

كان الراهب (أبراهام) لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد أبت العذراء (سلفيا) أن تغسل جزءاً من جسدها عدا أصابعها، وكان في أحد الأديرة النسائية (١٣٠) راهبة لم تستحم واحدة منهم قط، أو تغسل قدميها، إلا أن الرهبان مالوا إلى استخدام الماء في آخر القرن الرابع، وسخر الأب إسكندر من هذا الانحطاط، فأخذ يحن إلى تلك الأيام التي لم يكن فيها الرهبان يغسلون وجوههم قط (٣٦٥). كما لا يغتسلون من الجنابة.

ص ٣٨. وتطلق كلمة «رشم» عندما يقوم الكاهن بدهن شخص ما بالزيت (مثل زيت الميرون مثلاً في «سر المعمودية»)، واستخدام الزيت في «سر مسحة المرضى»، وفي طقس «تحليل المرأة».

(٣٦٥) يُنظر: قصة الحضارة: (١٢/١٢١-١٢٣)؛ والجزء الرابع: «تاريخ أخلاق أوروبا»، وكتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: لأبي الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ص ١٦٨/١٦٩.

١١. الطهارة والنظافة في الإسلام:

أ. الطهارة وارتباطها بالنظافة في الإسلام:

اعتنى الإسلام بالطهارة عنايةً كبيرة؛ وجعلها مروءةً آدمية، ووظيفةً شرعية، وعبادةً قربانية، ومما يدلُّ على مكانة الطهارة، وعناية الإسلام بها:

إنَّ من أول الأوامر التي وُجِّهت إلى نبي الإسلام محمد ﷺ الأمر بالطهارة، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر ١-٤]، فأمر الله نبيه محمد ﷺ في هذه الآية بالطهارة التي هي من أولى شعائر الإسلام وضرورياته، ونبه المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ إلى أنَّ هذه الآية تشمل الطهارة من الذنوب، والطهارة من الإثم، وطهارة الجسم والثياب، وطهارة القلب أيضًا (٣٦٦)، فإنَّ العرب تطلق لفظ (الثياب) حتى على القلب، بحيث يكون من جملة معاني الآية: «وقلبك فطهر».

أنها جعلت من أمور الإيمان العظيمة، بل جعلت شرط الإيمان، كما روى مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: «الطهورُ شرطُ الإيمان» (٣٦٧)، أي: نصفه. قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قيل: معناه: أنَّ الأجر فيه - أي الطهور - ينتهي تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان» (٣٦٨).

أنَّ الله تعالى جعل الطهارة واجبة، وشرطاً من شروط صحة الصلاة، وألزم المسلم أن يُطهر أعضاء الوضوء من الحدث، ويُطهر جسمه كله من الجنابة؛ لأنها شرط دائم لصحة الصلاة المفروضة والنافلة التي تتكرر مرات كثيرة في اليوم.

(٣٦٦) تفسير ابن كثير، م سابق: (٨ / ٢٦٣).

(٣٦٧) أخرجه مسلم، برقم ٢٢٣.

(٣٦٨) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، م سابق: (٣ / ١٠٠).

وافترض الإسلام الغسل الشرعي لتطهير الجسد في عدة مناسبات للرجال والنساء، ومن بالغ أهمية الطهارة في الإسلام: أن أولى خطوات الدخول في الإسلام أن يغتسل المرء، ثم يتلفظ بعد الغسل بالشهادتين.

فأمر الله تعالى بالوضوء للصلاة، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾ [المائدة: ٦].

وأمر بالغسل من الجنابة، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣].

وأثنى الله تعالى على المتطهرين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والتطهر هنا شامل للطهارتين الحسية والمعنوية، أي: المتطهرين من الأفعال والأحداث، ومن الفواحش والمنكرات.

وقال تعالى: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] وقد جاء أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهوركم؟» قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء، قال: «فهو ذلك، فعليكموه» (٣٦٩). أي: عليكم بالمحافظة على هذه الثلاث الخصال التي تميزتم بها.

وامتن الله على عباده بإنزال الماء الذي يتطهرون به، فقال -جل وعلا-: ﴿وَيُنزِّلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١].

وحتّ الإسلامُ المسلمَ أن يكون نظيفاً شامهً بين الناس، مثلاً متميزاً بارزاً في نظافته، وطُهره الظاهر والباطن، فيقول النبي ﷺ لجماعة من أصحابه: «إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس» (٣٧٠).

ولأهمية الطهارة في الإسلام: نجد أن المصنفين والمؤلفين في الفقه وأحاديث الأحكام بدؤوا كتبهم بالطهارة لأهميتها؛ ولأنها مفتاح الصلاة التي هي أكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، فلا صلاة إلا بطهور، وتذكيراً للمتعلم عند بدء تعلمه بتطهير قلبه، وإخلاص النية لله تعالى في طلب العلم؛ لتجتمع فيه الطهارة الحسية والمعنوية.

ب. أوجه كمال التشريع الإسلامي في الطهارة:

تميّز التشريع الإسلامي في باب الطهارة عن غيره بمميزات فريدة، منها:

إنه جعل للطهارة مفهوماً واسعاً، لا يقتصر على الطهارة الحسية، وهي طهارة البدن، والثوب، والمكان، فحسب، وإنما يشمل الطهارة المعنوية، وهي طهارة القلب من الأمراض التي تعتريه، كالكفر، والنفاق، والحسد، والغل، والكبر، وغيرها، وطهارة العقيدة والأخلاق والأعمال، ومن هذا قوله: ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] ولا يتم تطهّر المسلم إلا إذا اجتمعت فيه الطهارتان، وتأملا قول النبي ﷺ: «إذا توضأ - أي المسلم - فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لا ينهزه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رُفِعَ بها درجة، أو حُطت عنه بها خطيئة» (٣٧١)، ففي هذا الحديث يظهر التوافق بين الطهارة الروحية (وهي الصلاة) والجسدية (وهي الوضوء) فكلامهما يسيران معاً في خطين متوازيين، لا يفترقان أبداً.

(٣٧٠) أخرجه أبو داود، برقم ٤٠٨٩، وأحمد، برقم ١٧٦٢٢.

(٣٧١) أخرجه البخاري، برقم ٢١١٩، ومسلم، برقم ٦٤٩.

إن الإسلام اعتبر الماء أساس الطهارة، وهذا من خصائص الإسلام، قال تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيَطَهِّرَ كُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١] وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقضي حاجته، فأنطلق أنا وغلाम نحوي بإداوة من ماء، وعنزة، فيستنجلي بالماء» (٣٧٢).

إن الإسلام أوجب الطهارة على الذكر والأنثى، سواء بلا تمييز، فكلُّ مُكَلَّفٍ مطالبٌ أن يتطهر من الحدث الأكبر والأصغر، كما أمره الله، فيدخل في الصلاة وهو متطهر، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» (٣٧٣). فالوضوء طهارة إسلامية تكرر مرارًا في اليوم الواحد، وهذه ميزة لأمة الإسلام، حيث يأتيون من أثر ذلك يوم القيامة غرًّا محجلين، وليس ذلك إلا لهم، فقد جاء في مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن حوضي أبعد من أيلة، من عدن، لهو أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولأنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه، كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه» قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيماء ليست لأحد من الأمم، تردون عليَّ غرًّا، محجلين من أثر الوضوء» (٣٧٤).

ويقول المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الأستاذ (بتنام) في كتابه أصول الشرائع: «إن كثرة الطهارة في دين الإسلام مما تدعو معتنقيه إلى رقي الأخلاق والفضيلة إذا قاموا باتباع أوامره خير قيام» (٣٧٥).

(٣٧٢) أخرجه البخاري، برقم ١٥٢، ومسلم، برقم ٢٧١.

(٣٧٣) أخرجه البخاري، برقم ٦٩٥٤، ومسلم ٢٢٥.

(٣٧٤) أخرجه مسلم، برقم ٢٤٧.

(٣٧٥) تفسير المراغي، أحمد المراغي، مكتبة مصطفى الباي الحلبي بمصر، ١٩٤٦: (٢٩ / ١٢٦).

إن الإسلام اعتبر الطهارة عبادة، لها شروطها، وأركانها، وآدابها، وليست مجرد عادة لتنظيف الجسم فقط؛ ولهذا ينبغي أن يؤديها المسلم كما أمر الله تعالى ورسوله؛ لينال الثواب والأجر.

شرع الإسلام للطهارة آدابًا كثيرة، منها: البدء باليمين في غسل اليدين والرجلين، واستعمال اليد اليسرى لإزالة النجاسة حتى تظل اليد اليمنى المخصصة للطعام طاهرة نظيفة.

ولهذا لما قيل للصحابي الجليل سلمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قد علمكم نبيكم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كل شيء حتى الخراءة، فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم» (٣٧٦).

ومن أوجه كمال الإسلام في تشريع الطهارة: تمييزه باليسر والتيسير في هذا الباب، فأتى بمنهج متكامل فيما يخص أحكام الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، وخص النساء بأحكام تناسب ما تمر به المرأة من أحوال، كالحيض، والاستحاضة، والنفاس، وخفف على المسافر، وراعى ظروفه في إطالة مدة المسح على الخفين؛ تيسيرًا عليه.

ومن كماله أيضًا: إيجاد البدائل في حالة عدم وجود مادة الطهارة الأصلية وهي الماء، فقد شرع الله تعالى التيمم لمن فقد الماء، أو لا يجد إلا ما يكفي شربه، ولو لسنوات طوال، قال الله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٤٣].

والطهارة هي من العبادات التي لا يجب فيها التشدد، وتكرار الغسل فوق المأمور به، وتكرار صب الماء، فهذا غلو، كما أنه أيضًا لا يجزئ فيها مسح الأعضاء مسحًا خفيفًا، أو غسلها غسلًا خفيفًا لا يبلغ أن تبتل البشرة، فهذا تقصير، بل الوسط بين ذلك، وقد جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: «هذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء، أو تعدى، أو ظلم» (٣٧٧).

ومن تمييز الإسلام ويسره في باب الطهارة: أنه لم يعتبر الوسوسة في الطهارة، وأكد على العمل باليقين، حتى لا يفتح على المسلم الشكوك والوسوسة، فقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَوَجَدَ حَرَكَةً فِي دَبْرِهِ، أَحَدَثَ أَوْ لَمْ يَحْدِثْ، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ فَلَا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا» (٣٧٨).

٧. ومن كمال الشريعة الإسلامية وعنايتها بالطهارة: أنها استوعبت جميع أنواع الطهارة، وما يكملها، كما جاء في قول النبي ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ، ثُمَّ لِيْشْرَ، وَمَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ، وَإِذَا اسْتَيْقِظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَ يَدُهُ؟» (٣٧٩)، ففي هذا الحديث يرشد النبي ﷺ - إلى ثلاثة أنواع في مكملات الطهارة، والاحتياط لها:

• الأول: في تكميل طهارة الوجه في الوضوء، بأن يستنشق الماء، أي: يجذبه

بنفسه إلى داخل

أنفه، ثم ينثره إلى خارجه؛ ليظهر بذلك داخل أنفه.

• الثاني: في الاستجمار، وهو التمسح في القبل والدبر لإزالة أثر الخارج،

فكماله أن يقطعه على وتر؛ فإذا أنقى بثلاث اقتصر عليها، وإن أنقى بأربع مسحات

(٣٧٧) أخرجه أبو داود، برقم ١٣٥، وابن ماجه، برقم ٤٢٢، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٣٧٨) أخرجه أبو داود، برقم ١٧٧، وصححه الألباني.

(٣٧٩) أخرجه البخاري، برقم ١٦٢، ومسلم، برقم ٢٧٨.

زاد خامسة وهكذا؛ ليكون منتهاه الوتر، كما هو الشأن في كثير من الأمور الشرعية أن تنتهي على وتر.

• الثالث: إذا استيقظ المسلم من النوم، فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوئه، فإنه لا يدري أين باتت يده؟

٨. ومن تميّز الإسلام في باب الطهارة: أنه أكد عليها إيمًا تأكيد، بحيث جعلها ثلاثًا ثلاثًا، وأمر بإسباغ الوضوء، وبالمبالغة في غسل الأنف، وتخليل الأصابع، كما في الحديث: «أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائمًا» (٣٨٠)، بل أمر بغسل الإناء سبعًا أحدهن بالتراب، كما قال ﷺ: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب: أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب» (٣٨١). وفي رواية: «وعفروه الثامنة بالتراب» (٣٨٢). وجاء الإسلام بما يُعرف بسنن الفطرة، وهي: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، وشفط الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء (الاستنجاء) والمضمضة.

٩. ولم يكتفِ الإسلامُ بالاهتمام بالطهارة للإنسان نفسه فقط، بل اهتم بطهارة المجتمع بشكل عام، وكمثال على هذا ما رواه مسلم أنّ النبي ﷺ قال: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، ثم يغتسل منه» (٣٨٣)، والماء الدائم هو الراكد الذي لا يجري، وقد تبين أن كثيرًا من الأوبئة مثل الكوليرا والتيفود، وشلل الأطفال، والتهاب الكبد المعدي، تنتقل عن طريق الماء، وتعيش فيه، فكان النهي هنا واجبًا لصحة الناس ومنع العدوى من تلك الأمراض (٣٨٤).

(٣٨٠) أخرجه أبو داود، برقم ١٤٢، والترمذي، برقم ٧٨٨، وابن ماجه، برقم ٤٠٧، وصححه الألباني.

(٣٨١) أخرجه مسلم، برقم ٢٧٩.

(٣٨٢) أخرجه أبو داود، برقم ٧٤، وابن ماجه، برقم ٣٦٥، وصححه الألباني.

(٣٨٣) أخرجه مسلم، برقم ٢٨٢.

(٣٨٤) أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء، أبو اسحق العراقي، ص ٣٣-٣٤.

خاتمة الفصل الأول

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. تعددت أحكام الطهارة في النصوص المقدسة الهندوسية نظرًا لاحتواء الكتب المقدسة على تعاليم متطرفة وصل بها الأمر إلى اعتبار أن أقارب الموتى نجسين ويحتاجون للتطهر. أما أحكام النظافة في الكتب المقدسة فقد تطرفت إلى تطهير الأجساد والأواني وجدران المنازل بخشي أو ببول البقر، وبالطبع هذه التعاليم لم تعد مطبقة نظرًا لتطرفها وعدم ملاءمتها للمجتمعات الحديثة.
٢. بلغت النصوص المقدسة الزرادشتية في أحكام النجاسة والطهارة، فاعتبرت المرأة نجسة في حيضها ونفاسها، والجثث نجسة، ويتطلب التطهير من بعض النجاسات الاغتسال ببول الثور أو بول الإنسان وهذه تعاليم غير مقبولة ولم تعد قابلة للتطبيق، لذلك فإن الاهتمام بالنظافة ضعيف جدًا في النصوص الزرادشتية المقدسة ويزداد ضعفًا نتيجة لتقديسهم للماء واهتمامهم بنقاوته فيكتفون بغسل الوجه واليدين يوميًا ويعتبرون أن ذلك تطهير وتنظيف كامل للبدن.
٣. الجينية لا تعترف بالنجاسة، ولا يوجد مفهوم أو أي تعليمات خاصة بالطهارة في الكتب المقدسة الجينية، كذلك فإن الاهتمام بالنظافة الشخصية معدوم في النصوص المقدسة الجينية، نظرًا لحساسيتهم الشديدة ناحية قتل أي كائن حي، حتى لو كان حشرة أو بكتيريا، ولخوفهم الشديد على الموارد الطبيعية خاصة الماء، وهذه أمور متطرفة غير مقبولة وغير عملية.
٤. لا يوجد في النصوص المقدسة لكثير من الديانات الوضعية أي مفهوم يخص النجاسة والطهارة ويحض على النظافة، وتسلم هذه الأديان (البوذية والتاوية والشنتوية والكونفوشوسية).

٥. لا توجد نجاسة في السيخية بمفهومها في الإسلام واليهودية والنصرانية والهندوسية، بل إن النجاسة في السيخية هي النجاسة العقلية باتباع الأفكار السيئة والسلوك المشين مثل: الطمع، والجشع، والشهوة، والغضب، أما الطهارة في السيخية، فهي لا تتأتى بالغسل، بل بتطهير العقل من الرذائل، لذلك لا يوجد غسل واجب في السيخية. وقد أثنت النصوص المقدسة السيخية على كل من النظافة الجسدية والنظافة الروحية، حيث توجد نصوص سيخية تحض على الاستحمام يومياً في الصباح. يتضح تأثير التشريع السيخي بالفكر الغربي في وقت الاحتلال الإنجليزي للهند (وقت نشأة السيخية)، فاهتمت بالنظافة في الصباح وأهملتها بقية اليوم، ولم تبدي أي اهتمام بالحيض والنفاس ووجوب التطهر منهما.
٦. بالغت النصوص المقدسة اليهودية (العهد القديم) في مفهوم النجاسة ووجوب التطهر، حتى صار الأصل هو النجاسة، فجسد الميت نجس ومن يمسه نجس ومكان موته نجس، ومن يمسه نجس، ومن يمسه نجس، والحائض نجسة والنفساء نجسة، وكل نوع من النجاسات السابقة يلزمه تطهر خاص به. أما فيما يخص النظافة، فلم تأمر النصوص المقدسة اليهودية بالنظافة أو تحض عليها. المبالغة والتطرف الشديد اليهودي في أمر النجاسات أدى باليهود إلى مخالفة التشريع فلا يمكن أن يكون هذا المنهج رباني، فالمنهج الإلهي لا يمكن أن يكون مستحيلاً في تطبيقه.
٧. خالفت نصوص العهد الجديد عن النصارى النصوص اليهودية الخاصة بالنجاسة والطهارة، إلا في مواضع قليلة منها وجوب تطهير المرأة بعد الولادة على يد الكاهن باعتبارها نجسة حيث يكون التطهير بعد فترة النجاسة المقررة في العهد القديم وهي: ثمانين يوماً إن ولدت أنثى وأربعين

يومًا إن ولدت ذكرًا، فيما عدا ذلك فإن نصوص العهد الجديد اعتبرت أنه لا شيء نجس ويلزمه التطهير امتثالًا للأقوال المنسوبة لبولس أنه لا شيء نجس بالنسبة للمؤمنين. أما فيما يخص النظافة فلا توجد نصوص في العهد الجديد تتحدث عن النظافة الجسدية أو النظافة العامة، وقد تطرف النصارى في الأمر فاعتبروا أن الاهتمام بالجسد وتنظيفه هو نوع من الخطايا فافتخر كثير من الآباء بالقذارة وتباهوا بأنهم لم يمسوا الماء لسنوات.

٨. هذا الموضوع له أهمية كبرى في التشريع الإسلامي، فجاءت مؤلفات الفقه مثلاً مبتدئة بالطهارة وأحكامها، وهي قرابة ١٥ تقريبًا في أغلب المؤلفات الفقهية، فتحدث الفقهاء عن الطهارة بما يكفل بقاء الإنسان في وقاية دائمة من الأمراض المتعلقة بالنجاسات، ولا غرابة في ذلك فدين الإسلام هو دين الطهارة الجسدية والروحية، وقد اعتنت النصوص الإسلامية بالطهارة عنايةً كبيرة؛ وجعلتها مروءةً آدمية، ووظيفةً شرعية، وعبادة قربانية، وقد جعلت للطهارة مفهومًا واسعًا، لا يقتصر على الطهارة الحسية، وهي طهارة البدن، والثوب، والمكان، فحسب، وإنما يشمل الطهارة المعنوية، وهي طهارة القلب من الأمراض التي تعتربه، كالكفر، والنفاق، والحسد، والغل، والكبر، وغيرها، وطهارة العقيدة والأخلاق والأعمال.

وقد اعتبرت النصوص الإسلامية الماء أساسًا للطهارة، وأوجب الطهارة على الذكر والأنثى، سواء بلا تمييز، فكلُّ مُكَلَّفٍ مطالبٌ أن يتطهر من الحدث الأكبر والأصغر، كما أمره الله، فيدخل في الصلاة وهو متطهر نظيف الثياب. فارتبطت الطهارة في الإسلام ارتباطًا وثيقًا بالنظافة الشخصية والنظافة العامة. بل إن اليوم والليل لا يمكن أن تمرَّ على المسلم بلا طهارة جسدية، فالوضوء عند المسلمين كل صلاة، والصلوات خمس مرات في اليوم والليل في أوقات متفرقة.

تمهيد الفصل الثاني

سلامة المعاملات المادية والاجتماعية تعتمد في أساسها على الأمانة، وتؤثر فيها الخيانة تأثيراً سلبياً كبيراً، فالسؤال الملح هو: أي من الأديان اعتنت نصوصها المقدسة بالحض على الأمانة وبذم الخيانة وذلك لسلامة المجتمع من أي خلل يتعرض له؟ فيما يلي نستعرض موقف الأديان والشرائع من الأمانة والخيانة من مصادرها المقدسة.



الفصل الثاني: حفظ الأمانة ودم الخيانة في الأديان

يُفترض أن تحث الأديان والشرائع والتقاليد الاجتماعية الصافية على الأمانة وتدم خيانتها، إلا أن التشريعات التي تعرضت للتحريف وكذلك بعض التشريعات الوضعية خالفت تلك المسلمة، فأجازت الخيانة في بعض الحالات مثل خيانة اليهودي لغير اليهودي.

وفيما يلي نستعرض موقف الأديان والشرائع من الأمانة والخيانة.

١. حفظ الأمانة ودم الخيانة في الهندوسية

أوصت الهندوسية بالأمانة ونهت عن الخيانة في التعاملات سواء كانت الخيانة في التعاملات أو الخيانة الزوجية. فقد جاءت النصوص من كتاب «قوانين مانو» كما يلي:

قوانين مانو (٩: ٢٣٦): إن «الشودر»^(٣٨٥) الطاهر الذي يقوم بخدمته بكل أمانة وإخلاص ويتحلّى بعذوبة البيان ويتعد عن الغرور ويلتجئ باستمرار إلى «البرهمن» ينال في العالم التالي^(٣٨٦) فرقة أرفع من فرقته.

قوانين مانو (١١: ٨٩): كما يكفر بالكفارات ذاتها لارتكابه إثم شهادة الزور أو تحقير أستاذ أو غلّ أمانة أو قتل زوجته أو قتل صديقه.

أمام القاضي قبل الإدلاء بالشهادة يذكر القاضي «الشودر» بالإثم الذي يقع فيه إن شهد الزور فيقول له: **قوانين مانو (٨: ٨٩):** قائلًا: لئن تكلمت بالكذب فإنك تنزل ذاك المنزل الذي وصفه الأحبار لقاتل البرهمن وقاتل المرأة والطفل ولمن يخون صديقه...

(٣٨٥) كما تمت الإشارة من قبل حول الطبقات الاجتماعية في الهندوسية؛ يتكون المجتمع الهندوسي من أربع طبقات أعلاهن البرهمن وأدناهن الشودر، راجع الفصل الثاني من الباب الأول.

(٣٨٦) كما تمت الإشارة من قبل، يؤمن الهندوس بتناسخ الأرواح، راجع الفصل الثاني من الباب الأول.

قوانين مانو (٣١ : ٩): إن المرأة الخائنة تدم بين الناس في هذه الحياة وتولد في الحياة الثانية في رحم ثعلب وتقاسي آلام الأسقام عقاباً لها على إثمها.

قوانين مانو (٧٤ : ٩): إذا أعطى المرء ابنته المعيبة بخدعة لأحد من الناس دون أن يصرح بعيوبها ورضى هذا به ثم ظهرت له عيوبها فله أن يرفضها.

٢. حفظ الأمانة ودم الخيانة في الزرادشتية (المجوسية)

تركز التعاليم الدينية الزرادشتية على الثلاثية الأخلاقية، «الفكر الصائب، والقول الطيب والعمل الصالح»، ففي إحدى الصلوات الزرادشتية: «في مستقبل الأيام سأكون صارماً من أجل الأفكار الصائبة، والأقوال الطيبة، والأفعال الصالحة التي يجب أن أفكر فيها جيداً، وأن تقال بجودة، وأن تُفعل بإتقان».

وتُطلق كلمة «آشا» في «الأفستا» على القداسة أو الاستقامة، وهي كلمة شديدة الشمول في الأخلاق الزرادشتية؛ فهي تعني: النظام، والترتيب، والانسجام، والطهارة، والأمانة والصدق والصلاح^(٣٨٧).

ولكن لا يوجد في النصوص الزرادشتية المقدسة عندهم أي قول يتضمن النهي عن الخيانة ودمها.

٣. حفظ الأمانة ودم الخيانة في الجينية (اليانية)

لم تأت نصوص في الجينية أو تقاليد عن الأمانة وخيانتها بوجه خاص، ولكن الجينية حثت على الصدق والأمانة، بالإضافة لحثها على الزهد وعدم إيقاع الأذى بأي من الكائنات الحية، وذلك وفقاً للقسم الذي يؤديه عامة الناس في الجينية، فمن ضمن بنود القسم لعامة الناس ما يلي:

(٣٨٧) يُنظر: الزرادشتية، جمشيد يوسف، م سابق، ص ٩٤-٩٩.

(الامتناع عن الكذب). (الامتناع عن السرقة أو أخذ شيء لم يعط له).
(الإخلاص للزوجة والتطهر في الفكر والقول).

مع الأخذ في الاعتبار أن بنود القسم الذي يؤديه الرهبان أو عامة الناس في الجينية، لا يستند لنصوص من كتب مقدسة، ولكنه تطور مع الأعراف والتقاليد المجتمعية (٣٨٨).

٤. حفظ الأمانة ودم الخيانة في الكونفوشيوسية

مدح كونفوشيوس (مؤسس الكونفوشيوسية) الإخلاص والأمانة وأوصى بهما، كما جاء ذلك في النصوص التالية من كتاب الحوارات (إحدى الكتب المقدسة في الكونفوشيوسية):

(٩: ٢٥): قال كونفوشيوس: «على المرء أن يلزم جانب الولاء والإخلاص ولا يصادق من هم دونه،....».

(١٣: ٢٠): ذهب «تسيكون» (٣٨٩) إلى كونفوشيوس، وسأله: «كيف يكون الرجل المهذب الذي يستحق لقب «النابع الفاطن»، فأجابه: «هو الرجل الذي إذا صدرت منه زلة، أدمت قلبه خجلاً، وإذا أُوْتِمِنَ حفظ الأمانة....».

(١٤: ٢٢): جاء «زيلو» إلى كونفوشيوس وسأله: «كيف للمهذب أن يرضي قائده الأمير؟ فأجابه: «بأن يبذل له الإخلاص فلا يخدعه، ويبذل له النصيح الأمين، ولا يتملقه».

(٣٨٨) يُنظر: الديانة الجينية، عرض ونقد، سميرة بنت عائض، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود-الرياض، ٢٠١٥، ص ١١٢؛ وموسوعة تاريخ الأديان (الهندوسية والبوذية والتاوية والكونفوشية والشتو)، تحرير فراس السواح، دار علماء الدين، سوريا، ٢٠٠٦، ج ٤ ص ٥٦.
(٣٨٩) الاسماء الواردة في حوارات كونفوشيوس هي أسماء أعلام كانوا في الغالب من تلاميذ كونفوشيوس ولا توجد لهم ترجمات للتعريف بهم.

(١٥ : ١٨): قال كونفوشيوس: « الماجد المهذب من اتخذ الاستقامة سلوكاً أصيلاً، وسار على مبادئ الأخلاق الكريمة، فسلك بين الناس بالتواضع والإخلاص ».

٥. حفظ الأمانة ودم الخيانة في البوذية

دعت البوذية إلى الأخلاق الفاضلة، ومنها الصدق والوفاء والزهد، والابتعاد عن الشهوات والرغبات.

ولإبطال الألم الناتج من الحياة على البوذي أن يسلك الطريق الوحيد لذلك، وهو اتباع الشَّعب الثمان السابق ذكرهم في التعريف بالبوذية: (الآراء السليمة - الشعور الصائب - القول الحق - السلوك الحسن - الحياة الفضلى - السعي المشكور - الذكرى الصالحة - التأمل الصحيح) (٣٩٠).

ولكن لم تأت نصوص أو تعاليم عن الخيانة بوجه خاص.

٦. حفظ الأمانة ودم الخيانة في التاوية (الطاوية-الداوية)

لا يوجد أي ذكر في الكتاب المقدس عند التاوية للأمانة وخيانتها، ولكن عند التاويين ما يسمى بالفضائل الثلاث (الثلاث جواهر أو الياقوتات الثلاث)؛ وهي: (١) التعاطف والحب (٢) التحكم والبساطة (٣) التواضع والاحتياط.

يتم اعتبار الفضائل الثلاث مرجعاً رئيسياً عند التاويين لإظهار الفضائل التاوية في أي علاقات أسرية أو اجتماعية أو علاقات عامة داخل المجتمعات، وقد جاءت الفضائل الثلاث (الجواهر الثلاث، أو الياقوتات الثلاث) في كتاب لاوتزو (مؤسس التاوية)، كما يلي: «مرحى! أنا أملك كنوزاً ثلاثة، أحافظ عليها وأحميها. الكنز الأول اسمه الرحمة، الكنز الثاني اسمه الاعتدال، والكنز الثالث هو ألا تتقدم أو تتصدر المملكة» (تاو تي شينغ ٦٦)

كذلك عند التاويين ما يُسمى بـ «الفضائل الثمانية»، وهي ليس لها مرجع من كتاب لاوتزو (تاو تي شينغ)، ولكنها مذكورة في كتاب بعد لاوتزو بحوالي ثلاثمائة عامًا، وهو كتاب كتبه «الإمبراطور جوان»، في القرن الثاني قبل الميلاد يُسمى «الفضائل الثمانية»، وقد ذكرها الكاتب وذكر من الفضائل «التفاني والجدارة بالثقة»: «من خلال تقوى الوالدين، وانسجام الأخوة، والتفاني، والجدارة بالثقة، واللياقة، والتضحية، والشرف، والشعور بالعار، نصبح بشرًا كاملاً»^(٣٩١).

٧. حفظ الأمانة ودم الخيانة في الشتوية

لا توجد نصوص في الشتوية تخص الأمانة والخيانة، فقد خلت الشتوية من التعاليم والأحكام، وارتبط سلوك الحياة في الشتوية بالعبادات والتقاليد، التي تحض على الارتباط بالمجتمع والعيش في سلام ووثام وتعاون مع أفرادها.

«لا تستند أخلاقيات الشتو على وجه التحديد إلى مجموعة من الوصايا أو القوانين التي تخبر المؤمنين بكيفية التصرف، بل تبدأ أخلاقيات الشتو من الفكرة الأساسية القائلة بأن البشر صالحون، وأن العالم صالح. وأن الشر يدخل العالم من الخارج تجلبه الأرواح الشريرة. وهي تؤثر على الإنسان بشكل مشابه للمرض، وتقلل من قدرته على مقاومة الإغراء. فعندما يتصرف البشر بشكل خاطئ، فإنهم يجلبون التلوث والخطيئة على أنفسهم، مما يعيق تدفق الحياة والبركة من كامي»^(٣٩٢).

٨. حفظ الأمانة ودم الخيانة في السبخية

أوصت السبخية بالصدق والأمانة، فالهدف الرئيسي للحياة في السبخية، هو العمل الصالح في دورات الولادة المتكررة للوصول إلى النجاة من تكرار المولد.

(٣٩١) مترجم من: The Eight Virtues • Fung Loy Kok Institute of Taoism • www.taoist.org

(٣٩٢) تمت الإشارة إلى «الكامي» سابقاً، في الباب الأول-الفصل الثاني.

جاء في كتاب سري جورو جرانت صاحب (الكتاب المقدس في السيخية)، ما ترجمته:
(١٤٠: ١٨): «فلتكن رحمتك مسجداً، وإيمانك سجادة صلواتك، والأمانة قرآنك».

كما جاء (١٤١: ٣ - ٤): «هناك خمس صلوات وخمس أوقات للصلاة في اليوم؛ الخمسة لهم خمسة أسماء. فالأول صدق، والثاني صدق العيش، والثالث صدقة في سبيل الله. الرابعة حسن النية للجميع، والخامسة مدح الرب».

٩. حفظ الأمانة ودم الخيانة في اليهودية

أ. الحز على الأمانة في العهد القديم

حضت الكتب المقدسة عند اليهود على الأمانة، سواء كانت الأمانة في عبادة الله تعالى أو في التعامل بين اليهود، فجاءت بعض النصوص كما يلي:

١. سفر (صموئيل الأول ١٢: ٢٤): «إِنَّمَا اتَّقُوا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ بِالْأَمَانَةِ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، بَلِ انظُرُوا فِعْلَهُ الَّذِي عَظَّمَهُ مَعَكُمْ.» (١ صم ١٢: ٢٤)

٢. سفر (الملوك الثاني ٢٠: ٣): «أَه يَا رَبُّ، أَذْكَرُ كَيْفَ سِرْتُ أَمَامَكَ بِالْأَمَانَةِ وَبِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَفَعَلْتُ الْحَسْنَ فِي عَيْنَيْكَ.» وَبَكَى حَزَقِيَّا بُكَاءً عَظِيماً.» (٢ مل ٢٠: ٣)

٣. سفر (اللاويين ٢: ٦): «إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ، وَجَحَدَ صَاحِبَهُ وَدِيعةً أَوْ أَمَانَةً أَوْ مَسْلُوبًا، أَوْ اغْتَصَبَ مِنْ صَاحِبِهِ،»

٤. سفر (المزامير ٣٧: ٣): «اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ. اسْكُنِ الْأَرْضَ وَارِعِ الْأَمَانَةَ»

٥. سفر (يشوع بن سيراخ ٤٠: ١٢): «كُلُّ رُشُوءَةٍ وَمَظْلَمَةٍ تُمَحَى، وَالْأَمَانَةُ تَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ»

ب. شهادة العهد القديم على خيانة اليهود

الخيانة موجودة في كل الأمم، ولم يسلم منهم زمان دون زمان، ولا مكان دون مكان، إلا أنها في اليهود أكثر بروزًا وظهورًا، وقد شهدت على تميز اليهود في هذه الصفة التوراة نفسها؛ حيث جاءت نصوص توراتية كثيرة تدل على خيانة اليهود، وتغلغل الخيانة فيهم، ومن النصوص الدالة على ذلك:

١. سفر (حزقيال ١٥: ٨): «واجعل الأرض خرابًا؛ لأنهم خانوا خيانة يقول السيد الرب».

٢. سفر (إرميا ٣: ٢٠): «حقًا إنه كما تخون المرأة قرينها، هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل، يقول الرب».

٣. سفر (أخبار الأيام الثاني ٣٦: ١٤): «حتى إن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة، حسب كل رجاسات الأمم، ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم».

٤. سفر (أخبار الأيام الأول ٥: ٢٥): «وَحَانُوا إِلَهَ آبَائِهِمْ وَزَنَوْا وَرَاءَ إِلَهَةِ شُعُوبِ الْأَرْضِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَا مِهِمْ».

٥. وفي سفر (أخبار الأيام الثاني ٢٩: ٦): «لأن آباءنا خانوا، وعملوا الشر في عيني الرب إلها، وتركوه، وحولوا وجوههم عن مسكن الرب، واعطوا قفا».

٦. وفي سفر (التثنية ٣٢: ٢٠): «وَقَالَ: أَحْجَبُ وَجْهِي عَنْهُمْ، وَأَنْظُرُ مَاذَا تَكُونُ آخِرَتُهُمْ. إِنَّهُمْ جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ، أَوْلَادٌ لَا أَمَانَةَ فِيهِمْ».

فهذه النصوص التوراتية وغيرها صريحة وواضحة في أن صفة الخيانة ونقض العهود كانت بارزة في اليهود على مستوى الكهنة والشعب على حد سواء، فقد نقضوا

العهود مع ربهم، ومع أنبيائهم، فلم ينفذوا الأوامر التي أمروا بها، وأنهم عبدوا أوثان آلهة الأمم المجاورة لهم.

ج. الحالة الدينية لليهود

تلخّص لنا الأسفار حالتهم الدينية، فتقول في سفر (إرميا ١٠: ١١): «قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم».

وفي سفر (مicha ٣: ٩-١١): « ٩ اسْمَعُوا هَذَا يَا رُؤَسَاءَ بَيْتِ يَعْقُوبَ وَقُضَاةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الْحَقَّ وَيَعْوَجُونَ كُلَّ مُسْتَقِيمٍ. ١٠ الَّذِينَ يَبْنُونَ صِهْيُونَ بِالذَّمَاءِ، وَأُورُشَلِيمَ بِالظُّلْمِ. ١١ رُؤَسَاؤُهَا يَقْضُونَ بِالرَّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يَعْلَمُونَ بِالْأَجْرَةِ، وَأَنْبِيَائُهَا يَعْرِفُونَ بِالْفِضَّةِ، وَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ قَائِلِينَ: «أَلَيْسَ الرَّبُّ فِي وَسْطِنَا؟ لَا يَأْتِي عَلَيْنَا شَرٌّ!»

فهذه مجموعة من النصوص من الكتاب الذي يقده اليهود والنصارى، تكشف لنا عن جبلة اليهود، وسلوكهم المعوج مع إلههم، فقد نقضوا عهده، ولم يلتزموا موثيقه، فعبدوا من دونه عجلاً ذهبياً صنعوه بأيديهم، ومن ثم عبدوا آلهة الأرض الوثنية، وسرقوا ما حرمه الرب عليهم، ونحتوا الأصنام، وارتكبوا جميع المعاصي التي نهى الرب عنها، حتى أنهم نجسوا بيت الرب الذي قدسه (أورشليم).

ولذلك حقت عليهم كلمة العذاب كما جاء في سفر (التثنية ٣٢): « ١٩ فَرَأَى الرَّبُّ وَرَدَّكَ مِنَ الْغَيْظِ بِنَيْهِ وَبِنَاتِهِ. ٢٠ وَقَالَ: أَحْبَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ، وَأَنْظَرْتُ مَاذَا تَكُونُ آخِرَتُهُمْ. إِنَّهُمْ جِيلٌ مُتَقَلِّبٌ، أَوْلَادٌ لَا أَمَانَةَ فِيهِمْ.»، وفقدوا بهذا أحقيتهم في الاصطفاء والاختيار على العالمين؛ لأن هذا الاختيار كان مشروطاً بالطاعة، وحفظ العهد، فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم، وجعل قلوبهم قاسية لا يقبلون الحق، فنقضوا العهد فلعنهم الله

بكفرهم، كما قال: ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

د. عهود اليهود مع الأغيار

وإذا خان اليهود أمانتهم وعهودهم مع إلههم، فمن باب أولى نقض العهود التي تبرم مع غير اليهود، وهم الأغيار، وعقيدة اليهود في هذا مبنية بما جاء في سفر (الخروج ٢٣: ٣٢): «لا تقطع معهم - أي الأغيار - ولا مع آلهتهم عهداً».

ومن خلال هذا النص وغيره نرى أن إله اليهود قد حرّم عليهم ضرب الوعود، وقطع العهود مع الشعوب الأخرى، وحضهم على عدم الالتصاق بهم، والقيام بحروب دائمة؛ لكي يستولوا على الأرض التي وعدهم بها، كما يزعمون.

ف نجد أن صفة نقض العهود والمواثيق وعدم الالتزام بالمواثيق عقيدة يهودية متأصلة فيهم يتوارثونها جيلاً بعد جيل، تبرهن عليها أقوالهم وأفعالهم، وإذا كانت هذه الصفة في البشر - باستثناء اليهود - هي صفة مذمومة وانحطاط أخلاقي؛ فإنها بالنسبة لليهود تشكل فخراً واعتزازاً؛ إذ بقدر التزامهم بها يكون رضا إلههم، حيث ورد في سفر (التثنية ٧: ١-٤): «متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك أمامك، وضربتهم، فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم».

فإلههم يقطع لهم عهداً بأن يملكهم الأرض، ويطرد من أمامهم الأموريين والكنعانيين، ومن ذكرهم من الشعوب الأخرى؛ وذلك ليقموا دولتهم التوراتية المزعومة.

فمن هنا نجد صفة نقض العهد والخيانة تشكل عند اليهود قمة الطاعة لإلههم؛ لأنها القاعدة الأساسية التي تثبت وترسخ أقدامهم على الأرض التي سلبوها من أهلها.

هـ. وصايا التلمود

وأما في التلمود: فإنه أكد على تحريم العهود مع الأغيار، وأجازه على سبيل المخادعة والنفاق

والمصلحة، ويفسر التلموديون مسألة العهود مع الغرباء بقولهم: إن العهد إذا أبرم يجب أن يبرم بين طرفين متكافئين؛ ولما كان الأممي لا يساوي اليهودي، فإنه لا يحق لليهودي إبرام عهد مع الأممي، وحتى لو أبرم عهدًا بظرف ما، فهو في حل منه عندما يزول السبب، إذ من الممكن لليهودي أن يبرم معاهدة عندما يكون ضعيفًا، وأن يلغيها عندما يكون قويًا.

وكذلك يجوز لهم خداع الأميين؛ تحقيقًا لمصالحهم وطموحاتهم، ومن تعاليم التلمود التي تناول ذلك: «يجوز خداع «الجوي» (أي غير المؤمن - أو الوثني) إذا استطاع اليهودي خداعه بالادعاء أنه من عباد النجوم فمسموح له أن يفعل ذلك» (٣٩٣).

و. خيانة اليهود لجيرانهم المصريين

هكذا تربى اليهود على الخيانة، فنجدهم عندما خرجوا من مصر قابلوا الإحسان والمعروف بالسرقة والخيانة؛ وذلك تطبيقًا لوصية الرب لهم، حيث ورد في سفر (الخروج ٣: ٢١-٢٢): «وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابًا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين».

هكذا نجد إله اليهود يوصيهم بالخيانة على هذا الفعل القبيح الذي يُعد من وجهة نظرهم حسناً؛ لأنه تنفيذ لأوامر الرب. ومن خلال هذه الأمثلة وغيرها، نجد أنّ الطابع الأخلاقي في الفكر اليهودي فيه تناقض جذري، مع كل مفهوم ومبدأ تعارفت الشعوب عليه. فالتوراة التي يقدسونها ما زالت تحتوي على نماذج تدل على خيانة اليهود، وغدرهم، ونقضهم لكل العهود والمواثيق؛ لأنها تمثل السلوك الطبيعي بنظرهم.

ز. نماذج للخائنين في العهد القديم

كما احتوت التوراة على نماذج عدة من الخائنين، وذُكر عاقبتهم، ولعل ذلك من أجل أنّ اليهود يتعظون ويتركون الخيانة، ولكنهم ما تركوها، ومن نماذج الخائنين التي قصتها التوراة:

١. خيانة الأهل والعشيرة، وخيانة أمانة الأخوة، وهو ما تمثله قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مع إخوته الذين خانوه، متناسين رابطة الأخوة التي تجمعهم به، ضاربين بعرض الحائط ما أعطوه لوالدهم من المواثيق المغلظة على حفظ أحيهم، والمحافظة عليه، بل متناسين لكل القيم الأخلاقية والإنسانية في تلك الفعلة التي أقدموا عليها.

ونلاحظ من خلال عرض أحداث هذه القصة، مدى القسوة والغلظة، وانعدام القيم، واختلال الموازين، وفقدان الرحمة التي يتصف بها أهل الخيانة والغدر، وقد فصل سفر التكوين هذه القصة ومما جاء فيه في سفر (التكوين ٣٧: ١٨ - ٢٠): «فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه، فقال بعضهم لبعض: هو ذا هذا صاحب الأحلام قادم، فالآن هلم نقتله، ونظرحه في إحدى الآبار، ونقول: وحش رديء أكله، فنرى ماذا تكون أحلامه...».

٢. وذكرت التوراة نموذجاً آخر من نماذج الخيانة، إنها خيانة الدين؛ وذلك بمخالفة اليهود للأنبياء، وتعاليم السماء التي جاؤوا بها، وهذا ما كان من قوم لوط

-عليه السلام- وامرأته، وقد ذكر الكتاب المقدس قصة قومه وامرأته فقال عنها في سفر (التكوين ١٩ : ٢٦): «ونظرت امرأته من ورائه، فصارت عمود ملح». ويُفسّر الكتاب المقدس خيانة امرأة لوط هنا: بأنها مضت من وراء لوط، ونظرت متعمدة نحو (سدوم) نظرة تحسّر على ما فقدوه هناك من غنى ومتاع وماشية وممتلكات، غير حاسبة حُسن صنيع الرب بهم، وإنقاذه لهم من الهلاك، الذي يُعد أفضل من العالم كله؛ ولذلك كانت عقوبتها في الحال أنها تحوّلت وهي في مكانها إلى عمود من الملح، حسب ما جاء في سفر التكوين.

١٠. حفظ الأمانة وذم الخيانة في النصرانية

أ. الحث على الأمانة وذم الخيانة:

تُحرّم الديانة النصرانية الخيانة أيضًا، وقد سبق ذكر النصوص الكثيرة من العهد القديم التي تدل على تحريم الخيانة، فهم أيضًا يتدبّون بكتب العهد القديم، وأما نصوص العهد الجديد الدالة على ذلك فهي قليلة، ومنها:

١. في إنجيل (لوقا ١٦ : ١٠-١١): «الأمين في القليل أمين أيضًا في الكثير، والظالم في القليل، ظالم أيضًا في الكثير، فإن لم تكونوا أمناء في مال الظلم، فمن يأتئمنكم على الحق؟».

ب. صفة الخيانة عند النصارى:

وفي واقعنا المعاصر حوادث كثيرة من الغدر والخيانة بالمسلمين فعلها النصارى، وأطول قضية سياسية معاصرة هي قضية فلسطين التي نكت فيها اليهود والنصارى باليهود، وغدروا بمن وثقوا بهم من العرب كرات ومرات، ولا زالوا يغدرون ويخونون، ومع ذلك لا زال بعض العرب يثق في وعودهم، ويأمن غائلتهم^(٣٩٤).

(٣٩٤) بنظر: الغدر والخيانة خلق أعداء الأمة، د. إبراهيم الحقبيل، مجلة البيان <https://cutt.us/fljq4>

ولهذا فإنَّ جرائم الكذب والخيانة عند الشعوب الغربية شيء لا ينكره عاقل منهم، فضلاً عن غيرهم، فانظر في حياتهم الاجتماعية والأسرية، وفي معاملاتهم السوقية والتجارية؛ حيث تراهم لا يفتؤون يصبحون ويمسون على موبقات الغش والخيانة والربا والكذب والتزوير والرشوة والزنا والجشع والظلم والبهتان والنفاق، ما يعلمه الصغير قبل الكبير، كل ذلك تحت حماية النظام الذي يحفظ لهم هذه الموبقات تحت مسمى: الرأسمالية، أي: الحرية الاقتصادية!

بل إنَّ هذه الموبقات العظيمة والصفات الذميمة، هي من شأن العامة منهم، بل هي من صفات الخاصة من عِلْيَةِ القوم، ولا سيما الساسة منهم، والرؤساء والوزراء والسفراء، وليس عنا ببعيد ما نشر عن بعض رؤساء الغرب من العلاقات الجنسية المفضوحة، والاتهامات الأخلاقية، والسرقات المالية، ولا سيما ما ثبت عن كثير منهم من حالات لكذب صراح في غير لقاء ومكان؛ لذا فإنَّ حقيقة هؤلاء الغرب أنَّهم لا للصدق صدقوا، ولا للأمانة أمَّنوا (٣٩٥).

ج. خيانة يهوذا لعيسى - عليه السلام:-

يذكر العهد الجديد قصة مشهورة في الخيانة، وهي: أن يهوذا الإسخريوطي أحد تلاميذ المسيح، هو من خانته، وأسلمه لليهود ليصلبونه، بثلاثين من الفضة، وبذلك ارتكب يهوذا بتسليمه ليسوع أكبر عملية غدرٍ وخيانةٍ في التاريخ.

فجاء في إنجيل (متى ٢٦: ١٤ - ٢٤): «حينئذٍ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي إلى رؤساء الكهنة، وقال: ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم؟ فجمعوا له ثلاثين من الفضة، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه».

(٣٩٥) حقيقة أخلاق النصارى، ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، صيد الفوائد:

كما جاء في العهد الجديد أن تلاميذ المسيح عليه السلام عند واقعة الصلب المزعومة للمسيح عليه السلام؛ أنهم تخلوا عن المسيح وهربوا جميعهم فور القبض عليه حتى إن أحدهم جرى عارياً، فلم يكن الحواريون شهود عيان على أي أحداث ولم يكن كتبة الأناجيل معاصرين للمسيح عليه السلام!

أ. (متى ٢٦: ٥٦.... حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا).

ب. (مرقس ١٥: ٥٠ فتركه الجميع وهربوا. ٥١ وتبعه شاب لابساً إزارا على عريه فأمسكه الشبان. ٥٢ فترك الإزار وهرب منهم عريانا).

د. خيانة يعقوب يوحنا:

كان ليعقوب يوحنا دور كبير في تسهيل الاحتلال الفرنسي لمصر؛ وذلك عندما غزت الحملة الفرنسية مصرَ بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م، استعانت بالمعلم يعقوب يوحنا لإخضاع الصَّعيد، ومطاردة جيش مراد بك، وبالفعل أدَّى دورًا بارزًا في خدمة الحملة الفرنسيَّة على مصر؛ وذلك لخبرته بطبيعة المكان، وبطبيعة قادة المماليك في ذلك الوقت.

كتب الجنرال «جاك فرانسوا مينو» إلى «بونابرت» رسالة يقول فيها: «إنِّي وجدتُ رجلاً ذا دراية ومعرفة واسعة، اسمه (المعلم يعقوب)، وهو الذي يؤدي لنا خدمات باهرة؛ منها تعزيز قوة الجيش الفرنسي بجنود إضافية من القبط لمساعدتنا».

ويذكر أن الكنيسة قد تبرَّأت من تصرُّفاته، ومن خيانتته للوطن، جاء في كتاب (تاريخ الأمة القبطية) لمؤلفه المؤرخ (يعقوب نخلة): «وتسجَّل كتب التاريخ القبطي تبرُّو الكنيسة المصرية من الشخص الذي ينحرف عن هذا التقليد العريق؛ يعني: الولاء للوطن، ممثلاً بالجنرال يعقوب، الذي عاش أيام الحملة الفرنسية، وسار في خِطَّة تُخالف أبناء جنسه».

ومع نهاية الحملة الفرنسية على مصر، قرّر المعلم يعقوب أن يسافر إلى فرنسا، وفي عرض البحر أصيب يعقوب بعد يومين من ركوبه السفينة بالحمّى ومات، وتقول بعض الروايات: إنَّ الفرنسيين قد قاموا بإلقاء جثته في البحر (٣٩٦).

هل اتفقت كتب النصارى على تخوين المعلم يعقوب؟!!

الجواب: لا، بل تصفه بعض كتبهم بالبطولة، لخدمته أبناء دينه على أبناء وطنه!؛ حيث يقول القمص متياس نصر منقريوس: «كمن «عين القوصية» (٢٤) ديسمبر ١٧٩٨م): «وتجدر الإشارة إلى أن المعلم يعقوب كان من أبرز الشخصيات التي تعاونت مع الفرنسيين بإخلاص شديد ووفاء لا مثيل له، فلقد كان الساعد الأيمن للجنرال «ديزيه» في حملة الصعيد ضد «مراد بك» وعرب الحجاز وأبناء الصعيد ورفض أن تكون مهمته مقصورة على تدبير المال والإشراف على شئون تموين الجيش الفرنسي بل اشترك اشتراكاً فعلياً في الحرب جانب الفرنسيين. وتجلت بطولته في النزال يوم وقع بمفرده في كمين نصبه المماليك ناحية «عين القوصية» ولو تقهقر أمامهم لهلك، فقارعهم، وظل على فرسه يناوشهم بالكر والفر إلى حين وصول طليعة ديزيه في (٢٤ ديسمبر ١٧٩٨م)» (٣٩٧).

١١ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في الإسلام

أمر الله تعالى بأدائ الأمانة فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وأثنى الله تعالى على عباده المؤمنين برعاية العهود والعقود، وأداء الأمانات، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨] فدلَّ على

(٣٩٦) الخيانة في الإسلام، محمد عبد الرحمن صادق، موقع الألوكة:

<https://cutt.us/yVI5j>

(٣٩٧) صفحات من تاريخ القبط، الجيش القبطي الوطني ١٨٠٠-١٨١٤، القمص متياس منقريوس، ص ٤١.

أَنَّ الخيانة ليست من أخلاق المؤمنين، وهو ما أكده حديثُ النبي ﷺ وكان من دعائه ﷺ أن يستعِذ بالله تعالى من الخيانة (٣٩٨)، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بُسْتِ الْبِطَانَةِ» (٣٩٩).

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ ما يحث على الأمانة ويدل على أن عدم الأمانة ليس من صفات أهل الإيمان الكامل، يقول النبي ﷺ «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» (٤٠٠)، وليس المراد في الحديث نفي أصل الإيمان وحقيقته، إنما هو نفي كماله (٤٠١). وقد ينتفي أصل الإيمان إذا كانت الخيانة مكفّرة.

وقد عُرِفَت الخيانة بأنها: الاستبداد بما يُؤتمن الإنسان عليه من الأموال، والأعراض، والحرم (٤٠٢).

وقال المناوي: «الخيانة: هي التفريط في الأمانة» (٤٠٣).

والخيانة في الإسلام محرمة، ودل على تحريمها: الكتاب، والسنة.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وهو خطاب من الله تعالى للمؤمنين يحذّرهم فيه من العصيان الخفي، بعد أن أمرهم بالطاعة والاستجابة لله ولرسوله ﷺ، حذّرهم من أن يُظهروا الطاعة والاستجابة في ظاهر أمرهم، ويبطنوا المعصية والخلاف في باطنه (٤٠٤).

(٣٩٨) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٩٨٨: (٤٣١/١).

(٣٩٩) أخرجه أبو داود برقم: (١٥٤٧)؛ والنسائي برقم: (٥٤٦٨)؛ وابن ماجه برقم: (٣٣٥٤)، وحسنه الألباني.

(٤٠٠) أخرجه ابن حبان برقم: (١٩٤)؛ وأحمد برقم: (١٢٤٠٦)، وصححه الألباني.

(٤٠١) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ: (٣٨١/٦)؛ والتنوير

شرح الجامع الصغير، الصنعاني، دار السلام، الرياض، ١٤٣٢هـ: (٧٢/١١).

(٤٠٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ص ٣١.

(٤٠٣) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣٣٠.

(٤٠٤) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤: (٣٢١/٩).

وأما من السنة: فكقول النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» (٤٠٥). وقوله ﷺ: «لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له، ولا دينَ لِمَن لا عهدَ له» (٤٠٦).

ويتضح من الحديثين السابقين تجريم خيانة الأمانة، فهي من ضمن خصال المنافقين الذين توعدهم الله بالخزي في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة، ومن صفات ناقصي الإيمان.

فخيانة الأمانة محرم ومذموم، ومنهي عنه؛ لأنه يؤدي إلى انقطاع المنافع؛ نتيجة فقدان الثقة بين الناس، ونشر الفساد في المجتمع الإسلامي، وانتشار الأحقاد بينهم. وقد عدّ الذهبي الخيانة في الكبائر، وقال: «والخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شرٌّ من بعض، وليس من خانك في فلس، كمن خانك في أهلك ومالك، وارتكب العظائم» (٤٠٧).

وقد استعملت الخيانة في الشرع لعدة معانٍ، منها: الكفر أو النفاق، والمعصية، ونقض العهد، وسوء الأمانة، والزنا والكذب، ووضع الأمر في غير أهله، وترك النصح، وإفشاء السر.

وقد تكون الخيانة كفرًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١] قال ابن جريج: أراد بالخيانة الكفر، أي: إن كفروا بك، فقد كفروا بالله من قبل، فأمكن منهم المؤمنين ببدر، حتى قتلوهم، وأسروهم (٤٠٨).

(٤٠٥) أخرجه البخاري برقم: (٣٣)؛ ومسلم برقم: (٥٩).

(٤٠٦) أخرجه ابن حبان برقم: (١٩٤)؛ وأحمد برقم: (١٢٤٠٦)، وصححه الألباني.

(٤٠٧) الكبائر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت، ص ١٤٩.

(٤٠٨) معالم التنزيل، البغوي، دار طيبة، ط ٤، ١٩٩٧: (٣/٣٧٩).

وقال ابن العربي: ﴿إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ أي: إن كان هذا القول منهم خيانة ومكرًا ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ بكفرهم، ومكرهم بك، وقتالهم لك، وإن كان هذا القول منهم خيرًا، ويعلمه الله، فيقبل منهم ذلك، ويعوضهم خيرًا مما خرج عنهم، ويغفر لهم ما تقدم من كفرهم، وخيانتهم ومكرهم ﴿٤٠٩﴾.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠] وخيانتهم كانت في الكفر، وعدم الإيمان، فلم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يُجد ذلك كله شيئًا، ولا دفع عنهما محذورًا؛ وذلك لكفرهما، وليس المراد: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة؛ لحرمة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿٤١٠﴾.

وقيل: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: بالنفاق، وإفشاء سرهما ﴿٤١١﴾، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول في هذه الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدل قومها على أضيافه ﴿٤١٢﴾.

وذكر الله تعالى عدم حبه للخائنين فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] وخصَّ بعدم الرضا والمحبة أولئك الذين صارت خيانة العهود والعقود لهم خلقًا وطبعًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧] والخَوَّان: هو الذي تتكرر منه الخيانة، أمَّا الأثيم: فهو الذي يقصد الوقوع في الخيانة،

(٤٠٩) أحكام القرآن، أحمد الجصاص، الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩٤، ١: (٢/ ٨٧٤).

(٤١٠) تفسير ابن كثير، م سابق: (٨/ ١٧١).

(٤١١) أحكام القرآن للجصاص، م سابق: (٥/ ٣٦٥)؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، م سابق: (١٨/ ٢٠٢)؛ والبحر

المديد، أحمد بن محمد بن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٢، ٢: (٨/ ١٢٨).

(٤١٢) تفسير ابن كثير: (٨/ ١٧١).

وقد عبّر بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم؛ ليخرج منه من وقع منه المرة، ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة، وعدم القصد (٤١٣).

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨] أي: لا يحبُّ من عباده من اتَّصف بخيانة العهود والمواثيق، والكفر هنا: هو الجحود للنعم، وعدم الاعتراف بها (٤١٤).

وأوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بتأدية الأمانة حتى مع الخائنين؛ فقال ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَنَّاكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (٤١٥). أي: لا تعامل الخائن بمعاملته، ولا تقابل خيانتته بالخيانة، وإساءته بالإساءة، فتكون مثله. (٤١٦).

(٤١٣) ينظر: المحرر الوجيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ: (١٣٠/٢)؛ والبحر المحيط، محمد بن أبي حيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١: (٣٥٩/٣).

(٤١٤) ينظر: تفسير ابن كثير: (٤٣٣/٥).

(٤١٥) أخرجه أبو داود برقم: (٣٥٣٤)؛ والترمذي برقم: (١٢٦٤)، وصححه الألباني.

(٤١٦) ينظر: شرح المشكاة للطبي، مكتبة نزار مصطفى الباز، (مكة المكرمة || الرياض)، ١٩٩٧: (٧/٢١٨٥-٢١٨٦)؛ وفيض القدير للمناوي، م سابق: (٢٢٣/١).

خاتمة الفصل الثاني

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. أوصت النصوص المقدسة الهندوسية بالأمانة ونهت عن الخيانة في التعاملات سواء كانت الخيانة في التعاملات أو الخيانة الزوجية، ولكنها لم تقدم عقاباً دنيوياً على الخائن بل ألزمته بالكفارة عن الذنب.
٢. فقدت كثير من نصوص الكتاب المقدس للزرادشت، فأقدم مخطوطة تحتوي على ما تبقى منه تعود للقرن الرابع عشر الميلادي، أي بعد ٢٠٠٠ عام من نشأة الديانة، فلا يوجد فيما بقي نصوص تنهي عن الخيانة وتحض على الأمانة، وإن كانت التعاليم السائدة تحث على الثلاثية الأخلاقية (الفكر الصائب، والقول الطيب والعمل الصالح)، ولكنها لم تقدم رؤية تفصيلية لذلك، ولا ذكرت ثواباً أو عقاباً.
٣. مدح كونفوشيوس (مؤسس الكونفوشيوسية) الإخلاص والأمانة وأوصى بهما، كما جاء ذلك في نصوص كتاب الحوارات (إحدى الكتب المقدسة في الكونفوشيوسية)، ولكن الكونفوشيوسية لم تقدم رؤية تفصيلية لذلك، ولا ذكرت ثواباً أو عقاباً.
٤. دعت النصوص البوذية المقدسة، على اتباع الشعب الثمان: (الآراء السليمة - الشعور الصائب - القول الحق - السلوك الحسن - الحياة الفضلى - السعي المشكور - الذكرى الصالحة - التأمل الصحيح)، ولكن لم تذكر الأمانة والخيانة على وجه التحديد وبالتأكيد لم تقدم رؤية تفصيلية لهذا الموضوع أو تقرر ثواباً أو عقاباً خاصاً بهما.
٥. لا توجد أي نصوص في الكتب المقدسة عند التاوية أو عند الشتوية أو عند الجينية تحض على الأمانة وتنهي عن الخيانة.

٦. أوصت النصوص المقدسة السيخية بالصدق والأمانة، ولكنها لم تذكر الخيانة وتحذر منها وترتب لها عقابًا ملائمًا مما يردع أفراد المجتمع ويحافظ على سلامة التعاملات المادية والاجتماعية.
٧. حضت الكتب المقدسة عند اليهود على الأمانة، سواء كانت الأمانة في عبادة الله تعالى أو في التعامل بين اليهود، بينما أحلت نصوص التلمود خيانة غير اليهود وعدم الوفاء بالعهد معهم، وهذا من عنصرية اليهود واعتبارهم أنهم شعب الله المختار، فيحرمون الخيانة فيما بينهم ويأمرون بها في تعاملهم مع الأغيار (غير اليهود).
٨. نصوص العهد الجديد عند النصارى تعرضت للأمانة في نص وحيد، ولكنهم في المواعظ الكنسية أشاروا لاهتمامهم بالأمانة وذمهم للخيانة من خلال نصوص العهد القديم التي ورثوها عن اليهود وفسروها بأنها تخص الناس عامة، ولا تخص تعامل اليهود فيما بينهم، وتحض اليهود على الخيانة في تعاملهم مع الأغيار. وقد خالف النصارى الأمانة التي يدعونها في تعاملاتهم التاريخية وكانت الخيانة ملازمة لهم في كل حروبهم الصليبية سواء في آسيا وأفريقيا أو في استراليا والأمريكتين وذلك بسلب ثروات أهل البلاد الأصليين وتسخير أو استعباد أو قتل العديد منهم في مذابح مثل مذابح السكان الأصليين في الأمريكتين.
٩. النصوص الإسلامية تعاملت مع هذا الموضوع باعتباره موضوعًا مركزيًا في صلاح الفرد والمجتمع ونمو القيم والأخلاق، فجاءت النصوص في مصادر الإسلام تحض على الأمانة، وتنهى عن الخيانة، وبيان ثواب الأمين وعقاب الخائن عديدة ومتنوعة، وقد اشتملت النصوص الإسلامية التي تحض على الأمانة إلى الحض على الأمانة مع الله تعالى، ومع الأشخاص حتى أنها حضت على الأمانة مع الخائنين واعتبرت أن الأمانة من صفات المؤمنين، كما ذمت النصوص الإسلامية الخيانة ونهت عنها وصرحت بقول الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾**.

تمهيد الفصل الثالث

تعارفت البشرية على أن الصدق أمر محمود وقربت الصادق وأحبهت واعتبرت أن الشخص الصادق منزلة عالية لا يبلغها إلا من صدق قولاً وعملاً، والكذب عكس ذلك، وكان من المفترض أن تحث الأديان والشرائع والتقاليد الاجتماعية الصافية على الصدق وتنهي عن الكذب لم لذلك من أثر إيجابي في تعاملات البشرية أفراداً وجماعات، فأبي من الأديان جاء في مصادرنا حث على الصدق، ونهي عن الكذب بما يساعد في تنمية أخلاق المجتمع والحفاظ عليه؟ فيما يلي نستعرض موقف الأديان والشرائع من الصدق والكذب من مصادرنا المقدسة.



❖ الفصل الثالث: الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الأديان

يُفترض أن تحث الأديان والشرائع والتقاليد الاجتماعية الصافية على الصدق وتنهى عن الكذب، وفيما يلي نستعرض موقف الأديان والشرائع من الصدق والكذب.

١. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الهندوسية

أوصت الهندوسية بالصدق وجرمت الكذب، كما جرمت الهندوسية القسم الكاذب إلا في حالات معينة. فقد جاءت النصوص من كتاب «قوانين مانو» كما يلي:

١. فضيلة الصدق ودم الكذب

(٤: ١٣٨): إن القانون الأزلي ينص على وجوب قول الصدق وكل سار من

القول وكتم الصدق إن كان غير سار واجتناب الكذب ولو كان سارًا.

(٤: ١٧١) على المرء ألا يرغب عن الصدق والحق. ولو قاسى مهما قاسى في

سبيلهما. لأنه سوف يرى سرعة تلاشي واندثار من يتبع غير طريق الحياة.

٢. دم القسم الكاذب

(٨: ١١١): يجب على العاقل ألا يقسم كاذبًا ولا يقسم لشيء زهيد. لأن من

يقسم كاذبًا يخسر الدنيا والآخرة.

٣. السماح بالقسم الكاذب في حالات

(٨: ١١٢): لا حرج باليمين الكاذبة للزوجة وعند الزواج وفي سبيل البقرة والحطب وإرضاء البرهمن (٤١٧).

٢. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الزرادشتية (المجوسية)

التعاليم الزرادشتية القديمة لم تحتوِ على تفاصيل الأحكام أو فقدت تلك التعاليم، ولكن رجال الدين المتأخرين وضعوا بعض القواعد والأوامر والنواهي تأثرًا بالديانات التي نشأت بعدهم أو التي اختلطوا بها مثل الإسلام، والنصرانية واليهودية والهندوسية. وتركز التعاليم الدينية الزرادشتية على الثلاثية الأخلاقية، «الفكر الصائب، والقول الطيب والعمل الصالح» (٤١٨).

٣. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الجينية (اليانية)

لا توجد نصوص من كتب مقدسة عند الجينيين تخص الكذب وتحض على الصدق، ولكن حضت التقاليد الجينية على الصدق، وأوصت الرهبان والعامّة بالقسم على اتباع قواعد عامة، من ضمن هذه القواعد الالتزام بالصدق في القول وتجنب الكذب (٤١٩).

٤. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الكونفوشيوسية

حضت الكونفوشيوسية على الأخلاق وخاصة الصدق في القول، كما جاءت النصوص التالية من كتاب الحوارات:

(٤١٧) أي يسمح له بالكذب في حالات: يقسم لزوجته أنه يحبها، أو يقسم كذبًا لإحضار علفًا للبقرة أو حطبًا للتقدمات، أو يقسم كذبًا ليرضي البرهمن (الطبقة العليا من طبقات الهندوس).

(٤١٨) راجع: الزرادشتية في فصل: «حفظ الأمانة وذم الخيانة».

(٤١٩) راجع: الجينية في فصل: «حفظ الأمانة وذم الخيانة».

(٢٢: ٢): قال كونفوشيوس: «لا خير فيمن لا يصدق، ولا جدوى من كاذب

ضال....»

(١٢: ٣): جاء «سيمانيو» إلى كونفوشيوس وسأله عما يكون الإحسان؟

فقال: «أن تحذر في قولك، وتعصم لسانك من الزلل».

(١٣: ٢٠): ذهب «تسيكون» إلى كونفوشيوس، وسأله: «كيف يكون الرجل

المهذب الذي يستحق لقب «النابع الفاطن»، فأجابه: «هو الرجل الذي إذا صدرت

منه زلة، أدمت قلبه خجلاً، وإذا أُوْتِمِن حفظ الأمانة. وعاد «تسيكون» وسأله: «فمن

يليه في المرتبة الثانية؟». فأجابه: «هو الرجل الذي يشهد له أهله والجميع بيره ووفاءه

لإخوانه». ثم سأله السائل: «فمن الأدنى مرتبة من ذلك؟» فأجابه: «هو الذي لا يكذب

في حديثه ولا يتردد في أمره» (٤٢٠).

٥. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في البوذية

دعت البوذية إلى الأخلاق الفاضلة، ومنها الصدق والوفاء والزهد، والابتعاد

عن الشهوات والرغبات. فقد أوصى بوذا أتباعه أن يسلكوا الطريق الوحيد للتخلص

من آلام الحياة، وهو ما أطلق عليه: اتباع الشعب الثمان: (الآراء السليمة - الشعور

الصائب - القول الحق - السلوك الحسن - الحياة الفضلى - السعي المشكور -

الذكرى الصالحة - التأمل الصحيح) (٤٢١).

(٤٢٠) جاء الصدق في المرتبة الثالثة في أقوال كونفوشيوس، بينما في الإسلام: فإن الصدق هو أصل كل خير، كما قال

صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ

حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ

وَيَتَحَرَّى الْكُذْبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذْبًا». أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٤٢١) راجع: البوذية في فصل: «حفظ الأمانة وذم الخيانة».

٦. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في التاوية (الطاوية-الداوية)

لا يوجد في التعاليم التاوية حث مباشر على الصدق وعدم الكذب، ولكن في الكتاب المقدس للتاوية مدحٌ للصدق، فقد جاء في كتاب تاو تي شينغ: «خير ما في العطاء هو الإنسانية، خير ما في الكلام هو الصدق» (تاو تي تشنغ ٨)

كذلك يقول التاويون أن ديانتهم وسلوكهم عامة في الحياة يعتمد على الفضائل الثلاث للطاوية، الملقبة بالثلاث جواهر (الياقوتات الثلاث)؛ أي (١) التعاطف والحب (٢) التحكم والبساطة (٣) التواضع والاحتياط (٤٢٢).

٧. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الشنتوية

لا يوجد في الشنتوية مؤسس وتعاليم وأحكام وتشريعات، لذلك لا يوجد أمر بالصدق ونهي عن الكذب بل ترك الأمر للعادات الاجتماعية التي تحض على النقاء وحسن التعامل في المجتمع (٤٢٣).

٨. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في السيخية

أوصت السيخية بالصدق ونهت عن الكذب، فقد جاء في كتاب سري جورو جرانث صاحب (الكتاب المقدس في السيخية)، ما ترجمته: (١٤١ : ٣ - ٤): «هناك خمس صلوات وخمس أوقات للصلاة في اليوم؛ الخمسة لهم خمسة أسماء. فالأول صدق، والثاني صدق العيش، والثالث صدقة في سبيل الله. الرابعة حسن النية للجميع، والخامسة مدح الرب».

(٤٢٢) راجع: التاوية في فصل: «حفظ الأمانة وذم الخيانة».

(٤٢٣) راجع: الشنتوية في فصل: «حفظ الأمانة وذم الخيانة».

كما جاء، ما ترجمته (٤٦٦: ٢ - ٣): «إنهم يعطون ويعطون، لكنهم يطلبون أكثر من ألف مرة، ويأملون أن يكرمهم العالم، للصوص، والزناة، والكاذبون باليمين، والأشرار، والمخطئين - بعد استخدام ما لديهم من كارما جيدة، يغادرون؛ هل فعلوا أي أعمال صالحة هنا على الإطلاق؟...».

٩. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في اليهودية

أ. الحث على الأمانة في العهد القديم

جاءت نصوص قليلة في العهد القديم تحض على الصدق وتنهي عن الكذب منها:

١. سفر (الأمثال ١٢: ٢٢): «كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتًا كَذِبًا، أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاءٌ»

٢. سفر (الخروج ٢٣: ٧): «ابتعد عن كلام الكذب».

٣. وفي سفر (اللاويين ١٩: ١١ - ١٢): «لا تسرقوا، ولا تكذبوا، ولا تغدروا أحدكم بصاحبه، ولا تحلفوا باسمي للكذب، فتدنس اسم إلهك، أنا الرب».

٤. وفي سفر (يشوع بن سيراخ ٧: ١٣): «لا تفتتر الكذب على أخيك، ولا تختلقه على صديقك».

٥. وفي سفر (التثنية ٥: ٢٠): «ولا تشهد على قريبك شهادة زور».

ونلاحظ هنا في هذا النص الأخير: أن شهادة الزور محصورة فقط بالقرب، وكأن بقية الشعوب بإمكانهم أن يشهدوا زورًا ضدهم، وهذا يدل على أن اليهود بارعون في لي النصوص وتحريفها؛ لتكون نصوصًا عنصرية خاصة بهم فقط.

ب. ما قاله العهد القديم والجديد عن صفة الكذب عند اليهود:

١. العهد القديم:

وردت نصوص في العهد القديم - مع ما وقع فيها من تحريف - تصف اليهود بالكذب، وأنهم جيلٌ كذابٌ ومخادعٌ، ومن تلك النصوص:

أ. ما جاء في سفر (إشعيا ٣٠: ٨ - ٩): «تعال الآن اكتب هذا عندهم على لوح، وارسمه في سفر؛ ليكون لزمان آتٍ للأبد إلى الدهور؛ لأنه شعب متمرّد، أولاد كذبة، أولاد لم يشاؤوا أن يسمعوا شريعة الرب».

هكذا يقول كتابهم عنهم: «إنه شعبٌ متمرّدٌ، أولاد كذبة» فهم يكذبون على الله، فقد كتبوا الكتاب بأيديهم، ونسبوه إلى الله تعالى، ويكذبون على الأنبياء، فينسبون إليهم أشنع الجرائم، مثلما فعلوا بموسى وهارون... (٤٢٤).

٢. العهد الجديد:

وفي الأناجيل أيضًا نصوص تُبين كذب اليهود، فقد خبرهم المسيح - عليه السلام - ووبّخهم، وقرّعهم بسبب كذبهم وخداعهم، وقلب الحق إلى الباطل، فيقول:

١. إنجيل (متى ١٧: ١٧): «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ (الكافر) (٤٢٥)، الملتوي، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى احتملكم؟».

٢. كما جاء في إنجيل (يُوحنا ٨: ٤٤): «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك، كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق؛ لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب، فإنما يتكلم مما له؛ لأنه كذاب وأبو الكذاب».

(٤٢٤) اليهود من كتابهم، د. محمد علي الخولي، دار الفلاح، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤٢٥) لفظ «الكافر» في الترجمة اليسوعية.

٣. إنجيل متى: (٢٣: ١٣): «لَكِنَّ وَيْلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لِأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ فَلَا تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلَا تَدْعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ».

ج. الكذب عند اليهود في واقعهم المعاصر

اليهود أمة بهت وكذب، وقد شهد على ذلك: كتابهم التوراة، والأنجيل، وواقعهم القديم، والمعاصر، فواقع اليهود اليوم يشهد بكذبهم، ونقضهم للعهد والمواثيق، ومراوغتهم، وبثّ الإشاعات والأكاذيب؛ لخلق وزرع بذور الفتنة، وشق صف المسلمين، ومحاولة حدوث خرق وقلب المعادلات، فيسعون إلى تغير الذوق العام للناس، وتشكيل العقول والأفكار، وما تهويد فلسطين إلا جزءاً من هذه الدعاية الصهيونية في الغرب والشرق، ولقد استطاعوا بدعايتهم الكاذبة تحويل أنظار الحكومات التي تعلم كذبهم وافترائهم إلى النظر اليهم على أنهم أمة مسالمة مظلومة عانت من النازية، وذهبت أرواحهم في سبيل قوميتهم المزعومة، وهذه الدعاية لم تتوقف إلى اليوم، بل زادت، وزاد تفاعل الموقف الرسمي الغربي معها بشدة عن السابق، ولا زالت تهمة معاداة السامية تلاحق كل من يُشير إليهم.

وقد وصف «أرتور شوبنهاور» (فيلسوف ألماني) اليهود مرةً، بأنهم أساتذة فطاحل في الكذب (٤٢٦).

د. التلمود وتشريع الكذب لليهود:

كذب اليهود نبعٌ لا يجفُّ، ومَعِين لا ينضب، وكيف ينضب وهو الذي تُغذِّيه النُّصوص المقدَّسة عندهم خاصَّة في التلمود، وتُفصِّله وتوضِّحه البروتوكولات.

فنصوص التلمود المقدّسة عندهم تقول: إنّ الأصل في التعامل مع الأمم الأخرى هو القتل، وإن اضطّر اليهودي لإبقائهم على قيد الحياة، فلا يخلص لهم الودّ، ثم إنّ عليه أيّ التزام أخلاقي من جهتهم، فيباح له الكذب أو الغش أو النفاق، مع التأكيد عليه بالأيسر ولو عن طريق غير مباشر في خدمة الأغيار، وإيصال النفع إليهم. فالتلمود جعل اليهود على تلك الخصال من النفاق والكذب، يقول الرابي إسماعيل طبقاً لتعاليم الحاخام (اكيبا): «يلزم اليهودي ألا يجاهر بقصده الحقيقي، حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم».

وقال الحاخام (رشي): «مصرح لك أن تغش مفتش الجمرك الخارج عن الديانة اليهودية، وتحلف له يميناً كاذبة على شرط أن تنجح فيما لفقته من الأكاذيب» (٤٢٧).
والخلاصة: إنّ الكذب من الصفات التي تعمّقت في اليهود، وباؤوا بأبعدها فساداً، وهو الكذب على الله تعالى، بأنه حلّل لهم، أو فضلهم بأمر كذباً وزوراً.

١٠. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في النصرانية

أ. نصوص الحث على الصدق والنهي عن الكذب

حضت النصرانية على الصدق وحرّمت الكذب، وقد جاءت النصوص العديدة في العهد الجديد تدل على ذلك، ومنها:

أ. ما جاء في إنجيل (متى ١٩: ١٨): «قال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور».

ب. وما جاء في سفر (رؤيا يوحنا ٢١: ٨): «وأما الخائفون وغير المؤمنين، والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان، وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدمة بنار، وكبريت الذي هو الموت الثاني».

ج. وفي (رسالة بولس إلى أفسس ٤: ٢٥): «لذلك اطرخوا عنكم الكذب، وتكلموا بالصدق، كل واحد مع قريبه؛ لأننا بعضنا أعضاء البعض».

ب. تبرير (بولس) للكذب:

يقول بولس في (الرسالة إلى رومية ٣: ٧): «فإنه أن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أدان أنا بعد كخاطيء».

وهذا النص يدل على جواز الكذب من أجل نشر الدين النصراني، ومن أجل مجد الرب، كما يزعم بولس (شاول الطرسوسي). فالنص يُعتبر من النصوص المشكّلة التي وضعت نصوص العهد الجديد أمام ورطة أخلاقية كبيرة، حيث يتضمن تبرير وشرعنة واضحة (للكذب) من أجل مجد الرب.

والبعض يتفنن في التعليل والتبرير لبولس، فيقول: إن مقولته هذه إنما هي عبارة عن سؤال استنكاري، أو هي تُعتبر من أقوال معترض افتراضي، يتكلم معه بولس في هذه الفقرة، رغم أن سياق كلامه سابقاً ولاحقاً يظهر هذا المعنى، وهو تجويزه للكذب من أجل مجد الرب. وقد ورد أن (بولس) كان متقلّباً متلوناً، حيث نجده يقول في (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٩: ٢٠ - ٢٢): «فصرت لليهود كيهودي؛ لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس؛ لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس، كأني بلا ناموس، مع أي لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح، لأربح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت لكل كل شيء؛ لأخلص على كل حال قوماً».

ويقصد تلونه وكذبه ونفاقه بإقراره أنه صار يونانياً أمام اليوناني، ويهودياً أمام اليهودي، وأمام الذي بلا ناموس بلا ناموس، وهكذا.

ومن الأمثلة الشهيرة على أكاذيب شاول (بولس) هو ادعاؤه العجيب: أن الرب يسوع ظهر له في الطريق إلى دمشق، وكلمه وكلفه بالرسالة، وبذلك ابتداءً بولس أو «شاول» بتلبس رداء القداسة والتبجيل لشخصه ليضمن المكانة المرموقة له في الإيمان الجديد، وطمعاً في الزعامة المستقبلية.

والأمر الملفت للنظر هنا: أنه ادعى أن هذا الحدث حصل له حين كان برفقة قافلة متجهة إلى دمشق، وأن الناس الذين في القافلة قد سمعوا الأصوات، وربما شاهدوا النور وارتعبوا، ومع هذا لم نجد شخصاً واحداً من هؤلاء يشهد على ما حصل في هذا المشهد غير الطبيعي، والذي صاحبه نور وبرق من السماء، سوى شاول نفسه فقط.

وقصة ظهور المسيح له جاءت في روايتين متناقضتين:

(أعمال ٢٦: ١٤): «فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية: شاول شاول لماذا تضطهذي؟ صعب عليك أن ترفس مناخس».

(أعمال ٩: ٧): «وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً»

(أعمال ٢٢: ٩): «والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني».

ومن الأكاذيب الأخرى الشهيرة والتي تفرد بها «بولس» هي تلك الكذبة الكبيرة التي ادعى فيها أن يسوع قد ظهر بعد موته لأكثر من خمسمائة إنسان، إذ يقول في (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٥: ٦ - ٩): «وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ، أكثرهم باقٍ إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا، وبعد ذلك ظهر ليعقوب،

ثم للرسل أجمعين، وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا؛ لأني أصغر الرسل أنا، الذي لستُ أهلاً؛ لأن ادعى رسولاً؛ لأني اضطهدت كنيسة الله».

وهذه الكذبة تفرد بها «بولس» ولم يتحدث عنها أي شخص آخر من المعاصرين له، ولا أي شخص من هؤلاء الخمسمائة (المجهولين) الذين من المفترض أنهم شهدوا حدثاً غير عادي، لا يتكرر أبداً، لكنهم جميعاً صمتوا، ولم يتكلموا بهذا. والأمر الأعجب: أن الذين كتبوا الأناجيل لاحقاً لم يتطرقوا أيضاً إلى هذه الحادثة العجيبة، ولم يذكروها أصلاً، رغم أن حدثاً هكذا، لو حصل بالفعل لذكره غير واحد!

ج. كذب بطرس:

ليس بولس وحده هو الذي اشتهر بالكذب، بل غيره من الرسل (رسل المسيح) كذبوا أيضاً، فقد جاء في إنجيل (متى) أن بطرس -أحد رسل المسيح الاثني عشر وأعظهم في المسيحية- كذب على اليهود حينما أرادوا أخذه لمصاحبته للمسيح، والنص في إنجيل (متى) ٢٦: ٦٩ - ٧٥): «أما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار، فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي؟ فأنكر قدام الجميع، قائلاً: لست أدري ما تقولين، ثم إذ خرج إلى الدهليز رآته أخرى، فقالت للذين هناك: وهذا كان مع يسوع الناصري، فأنكر أيضاً بقسم: إني لست أعرف الرجل، وبعد قليل جاء القيام، وقالوا لبطرس: حقاً أنت أيضاً منهم، فإن لغتك تظهرك، فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف: إني لا أعرف الرجل، وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له: إنك قبل أن يصيح الديك، تنكرني ثلاث مرات، فخرج إلى خارج، وبكى بكاء مرّاً».

وهذا النص -إن سَلِمَ من التحريف، وثبت فعلاً أن بطرس من تلاميذ المسيح- فإنه يدل على أنه يجوز في النصرانية الكذب عند الخوف من عدو، أو في الحرب. ولكن المفترض من (بطرس) كأحد تلامذة المسيح، أو رسله، أن يكون ثابتاً

قويًا، وغير ضعيف، في مثل هذه المواقف، وبخاصة وقد سمع المسيح يقول في إنجيل (يوحنا ١٤: ١): «لا تضطرب قلوبكم»، وفي إنجيل (متى ١٠: ٢٨): «ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد».

فكيف يكذب حينما شعر بأن الخطر محقق به، وقريب منه؛ لينجو بنفسه، ويترك المسيح وحده؟!!

١١. الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الإسلام

أ. نصوص الحث على الصدق والنهي عن الكذب

حث الإسلام على الصدق واعتبره من أجل الأخلاق وأعظمها، واعتبره منبعًا كبيرًا من الفضائل الخلقية؛ وقد أمر الله المؤمنين بالصدق في جميع أحوالهم، فقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ووعدهم بأجزل المثوبة عليه فقال سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]، ويبين لهم أن عاقبته في الدنيا خير، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد: ٢١)، وتوّه بأثره في الآخرة فقال: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١٩٩]، والصدق هو الخلق البارز الذي اتصف به الرسول ﷺ قبل بعثته حتى لقب بالصادق الأمين.

وقد حرّم الإسلام الكذب تحريمًا قطعياً، وجعله من كبائر الذنوب، ومن الأخلاق التي تنافي الإيمان، والأدلة على تحريمه متواترة، وتحريمه معلوم من دين الإسلام بالضرورة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى

الصِّدْقِ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ،
وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ
اللَّهِ كَذَابًا» (٤٢٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث
كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمِنَ خان» (٤٢٩).

ب. أنواع الكذب:

ينقسم الكذب إلى أنواع:

❖ النوع الأول: الكذب على الله:

وهو أفحش الكذب وأقبحه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وقال: ﴿وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]،
وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

والآيات الثلاث السابقة جاءت بهذا التعبير: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يعني: لا أظلم ممن
يكذب على الله تعالى، وفيه إشارة إلى عِظَمِ هذا الجرم عند الله سبحانه.

والكذب على الله يكون بالتقول عليه ما لم يقل، أو القول عليه بغير علم،
كوصفه بأوصاف لم يصف الله بها نفسه، ولم يصفها بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النوع الثاني: الكذب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وهو يلي النوع الأول في قبحه وجُرمه، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن كذبًا عليّ ليس ككذب
عليّ أحدكم، من كذب عليّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار» (٤٣٠).

(٤٢٨) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٤)؛ ومسلم برقم: (٢٦٠٧).

(٤٢٩) أخرجه البخاري برقم: (٣٣)؛ ومسلم برقم: (٥٩).

(٤٣٠) أخرجه البخاري برقم: (١٢٩١)؛ ومسلم برقم: (٩٣٣).

وقوله: «ليس ككذب علي أحدكم» لأنه كذبٌ في التشريع، وأثره عام على الأمة، فإثمه أكبر، وعقابه أشد؛ لأنه يؤدي إلى هدم قواعد الدين، وإفساد الشريعة. وقد صرح العلماء بعدّ هذين النوعين (الكذب على الله، والكذب على رسوله) من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أن الكذب على النبي ﷺ كفرٌ. ويلى ذلك: الكذب على علماء الشريعة، فمن كذب عليهم بأنهم أفتوا بكذا مثلاً، فقد كذب على الشرع؛ إذ إنّ علماء الشريعة هم الذي يبلغون الشريعة، فإذا كُذِّبَ عليهم فقد كذب على الشرع.

النوع الثالث: الكذب على عامة الناس:

ومن أنواع الكذب: الكذب على عامة الناس، وهذا محرم أيضاً، وأقبحه الكذب عليهم بادّعاء الإيمان، فيُظهِر الإنسان أنه من أهل الخير والصلاح، والتقى والإيمان، وهو ليس كذلك، بل هو من أهل الكفر والطغيان - والعياذ بالله -، فهذا هو النفاق الأكبر، الذين قال الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

ومن الكذب على عامة الناس: الكذب في الحديث الجاري بين الناس، يقول: قلت لفلان كذا، وهو لم يقله، قال فلان كذا، وهو لم يقله، جاء فلان، وهو لم يأت، وهكذا، هذا أيضاً محرم، ومن علامات النفاق؛ لقوله ﷺ: «إذا حدّث كذب» (٤٣١). ومنه: الكذب لإضحاك الناس؛ لقول النبي ﷺ: «ويلٌ للذي يُحدّث، فيكذب؛ ليضحك به القوم، ويلٌ له، ثم ويلٌ له» (٤٣٢).

(٤٣١) أخرجه البخاري برقم: (٣٣)؛ ومسلم برقم: (٥٩).

(٤٣٢) أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٩٠)؛ والترمذي برقم: (٢٣١٥)، وحسنه الألباني.

ومن الكذب على الناس: كذب التاجر في بيان سلعته: فعن عبد الله بن أبي أوفى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: أن رجلاً أقام سلعة في السوق، فحلف فيها، لقد أعطى بها ما لم يعطه؛ ليوثق فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾** [آل عمران: ٧٧] (٤٣٣).

وقال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر؛ ليقطع بها مال رجل مسلم» (٤٣٤).

ومن أنواع الكذب شهادة الزور، وقد نهى عنها الله تعالى ورسوله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فعن أبي بكرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ» (٤٣٥).

ج. الكذب للمصلحة في الإسلام:

يبح الإسلام الكذب في حالات؛ وذلك عند تحقق المصلحة الشرعية، ولا يُعتبر كذبًا، وهي:

١. الكذب للإصلاح بين المتخاصمين، والذي ليس فيه مضرّة لأحد من الناس، ولكنه ينفع هؤلاء، ويؤدي إلى زوال الشحنةاء. ويراد به التعريض أو

(٤٣٣) أخرجه البخاري برقم: (٤٥٥١).

(٤٣٤) أخرجه البخاري برقم: (٢٣٦٩).

(٤٣٥) أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٦)؛ ومسلم برقم: (٨٧).

التورية^(٤٣٦) ونحوه.

٢. الكذب على الأعداء في المعركة، والمقصود به: الكذب الذي ليس فيه غدر ولا خداع، ولكن فيه مصلحة للمسلمين.

٣. الكذب لإرضاء الزوجة: كأن يوعدها بأشياء ترضيها وتنفعها وتجمع بينهما، والدليل على ذلك: قول النبي ﷺ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبِ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا^(٤٣٧).

(٤٣٦) قال الإمام النووي في كتاب الأذكار: «واعلم أن التورية والتعريض معناهما: أن تطلق لفظا هو ظاهر في معنى، وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ، لكنه خلاف ظاهره، وهذا ضرب من التفرير والخداع. قال العلماء رحمهم الله: فإن دعت إلى ذلك مصلحة شرعية راجحة على خداع المخاطب، أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب، فلا بأس بالتعريض. وإن لم يكن شيء من ذلك، فهو مكروه، وليس بحرام، إلا أن يتوصل به إلى أخذ باطل، أو دفع حق، فيصير حينئذ حراما، هذا ضابط الباب». «الأذكار»، النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣٨٠.

(٤٣٧) أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٢)؛ ومسلم برقم: (٢٦٠٥).

خاتمة الفصل الثالث

نلخص هنا للقارئ الكريم أهم نتائج العرض السابق:

١. نهت النصوص المقدسة الهندوسية عن الكذب إلا إذا جاء الكذب في مصلحة الطبقة العليا من الطبقات الاجتماعية (طبقة البرهمن)، وكذلك سمحت بالكذب من أجل جلب الطعام للبقرة أو على الزوجة لترضيها أو لإرضاء البرهمن.
٢. فقدت كثير من نصوص الكتاب المقدس للزرادشت، فأقدم مخطوطة تحتوي على ما تبقى منه تعود للقرن الرابع عشر الميلادي، أي بعد ٢٠٠٠ عام من نشأة الديانة، فلا يوجد فيما بقي نصوص تنهي عن الكذب وتأمّر بالصدق، وإن كانت التعاليم السائدة تحث على الثلاثية الأخلاقية (الفكر الصائب، والقول الطيب والعمل الصالح)، وبالتالي بالرغم من هذه القضية المؤثرة في حياة البشر خيراً وشرّاً وما تجلبه من متاعب أو فضائل إلا أنها لم تقدم رؤية كاملة لهذا الموضوع رغماً من حساسيته.
٣. حضت تعاليم كونفوشيوس في كتاب الحوارات على الصدق، ونهت عن الكذب، ولكنها لم ترتب عقاباً أو ثواباً يخص الكذب والحنث بالقسم.
٤. دعت النصوص البوذية المقدسة، على اتباع الشعب الثمان: (الآراء السليمة - الشعور الصائب - القول الحق - السلوك الحسن - الحياة الفضلى - السعي المشكور - الذكرى الصالحة - التأمل الصحيح)، بالرغم من طيب هذه الدعوة، فإنها لم ترتبط بثواب أو عقاب سواء دنيوي أو آخروي.

٥. لا توجد في النصوص المقدسة للديانات الوضعية الثلاثة (التاوية - الشنتوية - الجينية) حث مباشر على الصدق ونهي عن الكذب، وهذا حال الأديان الوضعية، التي إن جاءت تحث على بعض الأخلاق كمنهج اجتماعي وتربوي، إلا أنها غالبًا ما تغفل عن أخلاق أخرى، أو لا تضع ثوابًا لما مدحته أو أمرت به، ولا تضع عقابًا لما نهت عنه.
٦. أوصت السيخية بالصدق ونهت عن الكذب في كتابها المقدس، وذلك بدون إيضاح ثواب أو عقاب سواء دنيوي أو آخروي.
٧. جاءت نصوص قليلة في الكتاب المقدس اليهودي (العهد القديم) تحض على الصدق وتنهى عن الكذب. ولكن جاءت تعاليم التلمود^١ تحض على الكذب على الأغيار (غير اليهود) وخيانتهم وعدم الوفاء بالوعد معهم.
٨. حض الكتاب المقدس للنصارى (العهد الجديد) على الصدق وحرّم الكذب في العديد من النصوص، ولكن استخدم «بولس» مؤسس النصرانية الكذب لكي يدعوا إلى النصرانية في كثير من المواقف منها قوله في (الرسالة إلى رومية ٣: ٧): «فإنه أن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أَدانُ أنا بعدُ كخاطيء».
٩. أولت النصوص الإسلامية عناية كبيرة بموضوع الحث على الصدق والنهي عن الكذب، فقد تكرر النهي عن الكذب مرات عديدة بصور مختلفة مع بيان أن الكذب هو أصل كل الشرور، وأنه لا يكون المؤمن كاذبًا، كذلك فقد تكرر الأمر بالصدق مرات عديدة مع بيان أن الصدق من صفات المؤمنين وأنه منجاة للعباد. كذلك شدد الإسلام على منزلة الصادقين في الآخرة.

الْخَامِسَةُ

بعد هذه الجولة لعرض موقف الأديان من متطلبات واحتياجات البشرية وما تقدمه لهم من توجيهات وإرشادات وحلول لتقودهم لحياة سعيدة، وبالمقارنة بينها يتضح للقارئ نتائج عدة من أهمها:

١. الحق يظهر ويعلو ولا يعلى عليه.. فالحق يتميز عند مقارنته بالباطل، وسبب ذلك ما يتمتع به من إقناع عقلي وميل فطري إضافةً إلى كونه وَصَلَ للبشرية من مصادر سليمة من التحريف والتبديل ومتصفة بكونها يقينية وعلى أعلى مراتب المصدقية وتستطيع العقول اختبار ذلك والتأكد منه نقلاً وعقلاً وفطرةً.

٢. التعريف المعقد وغير المفهوم لكثير من الديانات هو دليل على بشريتها، أو تدخل البشر في منهجها بالتعديل إن كان أصلها سماوياً، يأتي هذا خلافاً للتعريف بالإسلام حيث نجده بسيطاً موكباً للفطرة السليمة والعقول السويّة.

٣. المصادر والكتب المقدسة عند الديانات عجزت جميعها عدا الإسلام، عن إثبات مصدرها الإلهي، بل حتى الأديان الإلحادية عجزت عن إثبات صحة كتبها ومصادرهما وحفظها رغم أنها مصادر بشرية فمنها ما فقد ومنها ما حرف ومنها ما بقي منه شيءٌ لكنه بقى ناقصاً ومحرّفاً.

٤. العقيدة الإسلامية بما فيها من غيبات جاءت من نصوص محكمة بعيدة عن الظن البشري، خلافاً لباقي الأديان، بل إن ما جاء في الإسلام من غيبات هو

الوحيد الذي يعتبر من الغيب الذي يهذب النفوس ويطوعها ويصلح سلوك الفرد والمجتمع بينما ما جاء في باب الغيبات في الديانات الأخرى يكاد لا يوصف إلا بكونه أساطير تخالف العقول وما توصلت إليه العلوم النظرية والتطبيقية، بل إن أتباعها ينظرون إليها كأساطير غير مقبولة.

٥. بينما افتقرت بعض الأديان للتشريعات والأحكام والطقوس التعبدية، فإن الإسلام هو الدين الوحيد الذي جاءت تشريعاته وأحكامه مكتملة حيث شملت الفرد والمجتمع والغيبات كل ذلك من مصادر يقينية ثابتة وصادقة.
٦. القضايا الاجتماعية، مثل قضية المرأة، والزواج، والميراث، انفرد التشريع الإسلامي وحده بالكمال والتميز العادل فلم يظلم ولم يأمر بالمساواة، بل أمر بالعدل وهو أكمل لما يراعيه من خصوصيات الخلق والأجناس البشرية.
٧. في العلاقات الاجتماعية والأخلاق، تميز الإسلام بالمنهج المتكامل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرعى الأيتام، ويأمر ببر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان للجار حتى سابع جار، ويملك القواعد العامة لتحسين الحياة بما يغذيه في نفوس وعقول البشرية من توجيهات تترقي بهم، وما تمتع به هذه التغذية من محفزات دنيوية وأخروية.

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

المراجع

أ. مراجع إسلامية.

١. القرآن الكريم.
٢. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، المحقق: سامي سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٩٩٩.
٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣.
٤. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.
٥. الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، بدون تاريخ.
٧. تفسير المراغي، أحمد المراغي، مكتبة مصطفى الباي الحلبي بمصر، ١٩٤٦.
٨. معالم التنزيل، البغوي، دار طيبة، ط ٤، ١٩٩٧.
٩. أحكام القرآن، أحمد الجصاص، الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٩٤.
١٠. البحر المديد، أحمد بن محمد بن عجيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢.
١١. المحرر الوجيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ.
١٢. البحر المحيط، محمد بن أبي حيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١.
١٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.
١٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
١٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٦. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل الحلبي.
١٧. سنن أبي داود، الأشعث بن إسحاق السُّجِسْتَانِي، المحقق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
١٨. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، مكتبة مصطفى الباي، مصر، ط ٢، ١٩٧٥.
١٩. سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١.
٢٠. السلسلة الصحيحة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف الرياض.
٢١. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، المحقق: محمد عطا، الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٣.
٢٢. المسند، أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، الرسالة، ط ١، ٢٠٠١.

٢٣. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٠.
٢٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩.
٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
٢٦. المنهاج شرح صحيح مسلم، محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢ هـ.
٢٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦ هـ.
٢٨. التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، دار السلام، الرياض، ١٤٣٢ هـ.
٢٩. التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٩٨٨.
٣٠. عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، أحمد السنّي، رقم ٣٨٨، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت.
٣١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد الحسيني الزبيدي، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٣٨٥-١٤٢٢ هـ.
٣٢. مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٤.
٣٣. التدمرية، ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ١٩٧٧.
٣٤. شرح ثلاثة الأصول، ابن عثيمين، دار الثريا، السعودية، ٢٠٠٣.
٣٥. متن العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٣٦. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن عفان، ١٩٩٧.
٣٧. المستصفى، أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.
٣٨. الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء ابن عقيل، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩.
٣٩. علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة، دار القلم.
٤٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤١. شرح تحفة المرید علی جوهره التوحید، للإمام إبراهيم الباجوري.
٤٢. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم، الرياض، ٢٠١٩.
٤٣. مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن جميل زينو، دار الصمعي، الرياض، ١٩٩٧.

٤٤. المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية، محمد إسماعيل المقدم، دار ابن الجوزي، القاهرة.
٤٥. المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، دار الوراق، بيروت، ١٩٩٩.
٤٦. المرأة في القرآن الكريم، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠٥.
٤٧. العدة في الإسلام وأثرها في المجتمع، د. سامية محمود حنظلة، دار الصميعة، الرياض، السعودية، ٢٠٢٠.
٤٨. دائرة معارف الأسرة المسلمة، على الشحود، المكتبة الشاملة.
٤٩. الولاية في النكاح، عوض بن رجاء بن فريخ العوفي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية ١٤٠٣ هـ.
٥٠. رسائل في الزواج والحياة الزوجية، محمد الحمد، دار ابن خزيمة بالرياض، السعودية، ٢٠٠٢.
٥١. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.
٥٢. البيان في مذهب الإمام الشافعي، العمراني اليمني، دار المنهاج، جدة، السعودية، ٢٠٠٠.
٥٣. الوسيط في المذهب، أبو حامد الغزالي، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤١٧ هـ.
٥٤. نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك الجويني، دار المنهاج، ٢٠٠٧.
٥٥. الاختيار لتعليل المختار، ابن مودود الموصللي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧.
٥٦. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤.
٥٧. المغني، ابن قدامة المقدسي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ٣، ١٩٩٧.
٥٨. موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التوينجري، بيت الأفكار الدولية، ط ١، ٢٠٠٩.
٥٩. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ٤.
٦٠. الموسوعة الفقهية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت.
٦١. نظام الطلاق في الإسلام، أحمد شاكر، مكتبة السنة، مصر، ١٩٩٨.
٦٢. المرأة في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ط ٢، دار نهضة مصر.
٦٣. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
٦٤. الفقه المنهجي، علي مذهب الإمام الشافعي، مجموعة علماء، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢.
٦٥. أسباب الشفاء من الأسقام والأهواء، أبو اسحق العراقي.
٦٦. الخيانة في الإسلام، محمد عبد الرحمن صادق، موقع الألوكة: <https://cutt.us/yVl5j>
٦٧. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١.
٦٨. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠.
٦٩. الكبائر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت.

٧٠. شرح المشكاة للطبي، مكتبة نزار مصطفى الباز، (مكة المكرمة - الرياض)، ١٩٩٧.
٧١. أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة، مصر، ط. ١١، ٢٠٠٠.
٧٢. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣.
٧٣. مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة-عمان، ٢٠٠٨.
٧٤. فصول في أديان الهند، د. محمد ضياء الأعظمي، دار البخاري، المدينة المنورة، ١٩٩٧.
٧٥. هل العهد القديم كلمة الله؟ د. منقذ السقار، دار الإسلام، ٢٠٠٧.
٧٦. البيان الصحيح لدين المسيح، ياسر جبر، دار الخلفاء، مصر، ٢٠٠٧.
٧٧. من كتب التوراة، معاذ عليان، دار التقوى، ٢٠١٤، القاهرة.
٧٨. مدخل لدراسة الأديان المسيحية واليهودية، د. سعود الخلف، أضواء السلف، السعودية، ١٩٩٧.
٧٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة، ١٤٢٠ هـ.
٨٠. موسوعة عالم الأديان، مجموعة من المحررين، جزء ٤، بيروت، NOBILIS، ط ٢، ٢٠٠٥.
٨١. مفصل العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، د. أحمد سوسة، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٨١.
٨٢. حرب داود، أحمد كمال الصليبي، دار الشروق، الأردن، ط ٢، ١٩٩١.
٨٣. جهود الإمامين ابن تيمية وابن القيم الجوزية، أ. سميرة عبد الله بناني، ط معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ١٩٩٧.
٨٤. في الدين المقارن، د. محمد كمال جعفر، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠.
٨٥. الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها، أبو بكر محمد زكريا، دار الأوراق الثقافية، جدة، ١٤٣٠ هـ.
٨٦. الإسلام والأديان دراسة مقارنة، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، مصر، ١٩٩٠.
٨٧. اليهودية د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، مصر، بدون تاريخ.
٨٨. عقيدة الآخرة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دراسة مقارنة، د. حاتم جاسم محمد: مجلة جامعة تكريت، كلية التربية، قسم علوم القرآن، المجلد ٥، العدد ١٦، السنة الخامسة أب، ٢٠٠٩.
٨٩. الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، دار القلم دمشق، ١٩٩٩.
٩٠. موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، مصر ١٩٩٩.
٩١. محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، ١٩٨٩.
٩٢. الكنز المرصود في فضائح التلمود، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١.
٩٣. الغدر والخيانة خلق أعداء الأمة، د. إبراهيم الحقييل، مجلة البيان <https://cutt.us/fljq4>

٩٤. حقيقة أخلاق النصارى، ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، صيد الفوائد: <https://cutt.us/0PrSh>
٩٤. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: لأبي الحسن الندوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.
٩٥. اليهود من كتابهم، د. محمد علي الخولي، دار الفلاح.
٩٦. تكوين الصهيونية، خالد القشطيني، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٦.
٩٧. النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، مكتبة النور، مصر، ١٩٧٧.
٩٨. الزواج في الشرائع السماوية والوضعية، هند المعدللي، دار قتيبة، دمشق، لبنان، ٢٠٠٢.
٩٩. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، دار النهضة، مصر.
١٠٠. تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة في المرأة من وجهة نظر إسلامية، محمد أبو ملح، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦.
١٠١. النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢.
١٠٢. المرأة في جميع الأديان والعصور، محمد عبد المقصود، ط ١، دار القلم، بيروت، ١٩٩٦.
١٠٣. المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، زكي علي السيد أبو غضة، دار الوفاء، ٢٠٠٣.
١٠٤. الزواج والطلاق في جميع الأديان، عبد الله المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٩٦٦.
١٠٥. المقارنات والمقابلات بين أحكام المرافعات والمعاملات والحدود في شرع اليهود، محمد حافظ صبري، مطبعة هندية، مصر، ط ١، ١٩٠٢.
١٠٦. الطلاق في الديانات الثلاث، د. صالح الكيلاني، د. أنس الخلايلة، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد العشرين، جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ.
١٠٧. كتاب الأحوال الشخصية لغير المسلمين، محمد أحمد عابدين، المطبوعات الجامعية، مصر، ١٩٨٤.
١٠٨. تاريخ الأديان - دراسة وصفية مقارنة، د. محمد خليفة حسن، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢.
١٠٩. الشرق الأدنى القديم، د. عبد العزيز صالح، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٢.
١١٠. زرادشت الحكيم، حامد عبد القادر، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ٢٠٠٥.
١١١. الديانتان الزرادشتية والبوذية ودورهما في النظام السياسي للشرق القديم، بلقاسم مرزوقي، أطروحة دكتوراة، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٨.
١١٢. دراسات في الأديان الوثنية القديمة، د. أحمد علي عجيبية، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٤.
١١٣. الزرادشت تأريخاً وعقيدة وشرعية، خالد السيد محمد غانم، خطوات للنشر، الأردن، ٢٠٠٦.
١١٤. الديانة الزرادشتية «مزديستا»، نوري إسماعيل، دار علاء الدين، سوريا، ١٩٩٩.
١١٥. الفكر الديني القديم، د. هنية مفتاح القماطي، جامعة قار يونس، ليبيا، ٢٠٠٣.

١١٦. موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، د. سعدون محمود الساموك، دار المناهج، الأردن، ٢٠٠٢.
١١٧. الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، د. ابراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، القاهرة، مصر، ١٩٨٥.
١١٨. زاردشت والزرادشتية، د. الشفيح الماحي أحمد، جامعة الملك سعود، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية: ٢٠٠١.
١١٩. معتقدات آسيوية، د. كامل سعفان، دار الندى، مصر، ١٩٩٩.
١٢٠. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، مصر، ١٩٦٤.
١٢١. زرادشت والديانة الزرادشتية، فارس عثمان، مكتبة المحبة، سوريا، ٢٠١٢.
١٢٢. اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، يُسر محمد سعيد مبيض، دار الثقافة، قطر، ط ١، ١٩٩٢.
١٢٣. مفهوم الموت في العقائد الوثنية، أنوار حسن عودة العكيلي، بحث تكميلي قدم إلى كلية العلوم الإسلامية لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.
١٢٤. الزرادشتية والكونفوشيوسية وعقيدة النبوة عند كلاهما، طارق مريقي، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد ٢٠، السنة: ٢٠١٣م.
١٢٥. مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتية والهندوسية والبوذية، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، ريبوار كريم يوسف، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية-بغداد.
١٢٦. مفهوم الألوهية عند الجينية عرض ونقد، د. صلاح بن صالح السميح، أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد في قسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب - جامعة الملك فيصل، المجلد الرابع من العدد الخامس والثلاثين لجمعية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.
١٢٧. الديانة الجينية، عرض ونقد، سميرة بنت عائض، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود-الرياض: ٢٠١٥
- <http://search.mandumah.com/Record/679428>
١٢٨. الكونفوشيوسية، د. ناصر بن فلاح الشهري، مركز الملك فيصل للبحوث-الرياض، ط ١: ٢٠١١م.
١٢٩. الأصولية الكونفوشيوسية «الفلسفة والديانة»، رسالة دكتوراه، د. مرفت عبد الجبار سعد. جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
١٣٠. الكونفوشيوسية، موقفها من الإسلام وموقف الإسلام منها، عبد العزيز بن عمر بن عبد الله القنصل، مجلة الأصول والنوازل: ٢٠١٢م، ص ٥، ع ٩.
١٣١. الكونفوشيوسية في الصين، دراسة تحليلية نقدية، عالية بنت صالح سعد القرني، مجلة كلية دار العلوم: ٢٠١١م، ع ٦٠. <http://search.mandumah.com/Record/148086>
١٣٢. الأخلاق عند كونفوشيوس، خوضر رياض، جامعة محمد بوضياف المسيلة، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٦.

١٣٣. الأصولية الكونفوشيوسية، الفلسفة والديانة، د. مرفت عبد الجبار سعد، رسالة دكتوراه من قسم العقيدة كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.
١٣٤. الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية، ترجمة وشرحا، مريم سليمان ما يو شيانغ، رسالة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ أحمد جان الأزهرى رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد-باكستان: ٢٠١٦م.
١٣٥. الطاوية، عرض ونقد، عبد العزيز البداح، كلية التربية جامعة تبوك: يوليو ٢٠٢١م.
١٣٦. الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٣٨٥هـ.
١٣٧. الهند القديمة، حضارتها وديانتها، د. محمد إسماعيل الندوي، دار الشعب: ١٩٧٠م.
١٣٨. الديانة السيخية، نشأتها وعقيدتها، د. سامية بنت جمال بن محمد علي، مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، ٢٠١١.
١٣٩. المعتقدات السيخية، النشأة والمعتقد والنظم الدينية: محمود عبد الرحمن دادو، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع ٦٠، ٢٠٢٢.
١٤٠. معطيات الإسلام في السيخية، أحمد القاضي، مجلة دراسات يابانية وشرقية، جامعة القاهرة، ع ٥، ٢٠١١.
١٤١. السيخ «تاريخهم وعقائدهم»، محمد سعيد الطريحي، دار نينوي، سوريا، ٢٠٠٩.

ب. مراجع غير إسلامية

١. حضارات الهند، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعير، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٤.
٢. موسوعة قصة الحضارة، ول ديورانت، مجموعة مترجمين، دار الجيل، لبنان، ط ١، ١٩٩٢.
٣. موسوعة قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمه محمد بدران، مطبعة اللجنة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٥.
٤. الموسوعة البريطانية، الإصدار ١٥. نسخة إلكترونية.
٥. الهندوسية مقدمة قصيرة جداً، كيم نوت، ترجمة أميرة علي، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٦.
٦. البوذية، مقدمة قصيرة جداً، داميان كيون، ترجمة: صفية مختار، مؤسسة هنداوي، ط ١، ٢٠١٦.
٧. الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، جمعيات الكتاب المقدس في المشرق، دار المشرق، بيروت، ط ٣، ١٩٩٤.
٨. الكتاب المقدس، فان دايك، دار الكتاب المقدس، ٢٠١٩.
٩. معجم الإيمان المسيحي، الأب صبحي حموي اليسوعي، مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤.
١٠. مدخل إلى الكتاب المقدس"، عدة مؤلفين، ترجمة نجيب إلياس، دار الثقافة، مصر، ١٩٩٣.

١١. المدخل إلى الكتاب المقدس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، بالاشتراك مع مجمع كنائس الشرق الأدنى. حبيب سعيد.
١٢. الخلفية الحضارية للعهد القديم، جون هـ والتون وفينكتور ماثيوز، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠١٢.
١٣. من كتب التوراة؟، ريتشارد إليوت، ترجمة عمرو زكريا، دار البيان، ٢٠٠٣.
١٤. تاريخ الكتاب المقدس، ستيفن م. ميلر وروبرت ف. هوبر، ترجمة وليم وهبة، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨.
١٥. الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج، شارل لوران، ترجمة يوسف نصر الله، العالمية للنشر.
١٦. كنوز التلمود، ليثي، س. ترجمة: محمد خليفة التونسي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٩١.
١٧. تاريخ الكنيسة، يوسايبوس القيصري، تعريب القس مرقس داود، مكتبة المحبة، ١٩٧٩.
١٨. المدخل إلى العهد الجديد، القس فهم عزيز، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٠.
١٩. الخلفية الحضارية للعهد الجديد، كريج س كتر، دار الثقافة، ٢٠٠٣.
٢٠. مفتاح العهد الجديد، البابا تواضروس الثاني، بطريكية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة، ٢٠١٣. ج ١.
٢١. الأناجيل الازائية (متى، مرقس، لوقا)، نسقها وقدم لها بولس الفغالي، جمعيات الكتاب المقدس، لبنان، ١٩٩٣.
٢٢. الإنجيل بحسب مرقس، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مار جرجس بسبورتنج، ١٩٨٤.
٢٣. التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، دار الثقافة، ١٩٩٠، مصر.
٢٤. تفسير الدكتور وليم باركلي، أستاذ العهد الجديد، دار الثقافة، ١٩٩٠، مصر، المجلد الأول.
٢٥. تفسير الدكتور وليم باركلي، دار الثقافة، ١٩٨٧، مصر، الرسالة إلى العبرانيين.
٢٦. دراسة في الرسالة إلى العبرانيين، الأب ألبير فانوا اليسوعي، دار المشرق، لبنان، ٢٠٠٦.
٢٧. الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، وليم إدي، مركز الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٧٣، الجزء ٨، شرح العبرانيين إلى الرؤيا.
٢٨. قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مجموعة من اللاهوتيين، مكتبة المشغل، بيروت، ط ٦، ١٩٨١.
٢٩. دائرة المعارف الكتابية، ٨ أجزاء، مجموعة محررين، دار الثقافة، مصر، ٢٠٠١.
٣٠. إنجيل بوذا، ترجمة عيسى سابا، مكتبة صابر، بيروت، ١٩٥٣.
٣١. تفسير كلمات الكتاب المقدس، سعيد مرقص إبراهيم، المركز المصري للطباعة، مصر، ١٩٩٩.
٣٢. الخلاصة اللاهوتية، توما الاكويني، ترجمة الخوري بولس عواد، المجلد ٢، ١٨١٩، بيروت.
٣٣. الآباء والمرأة، اليزابيث أ. كلارك، سلسلة رسائل اباء الكنيسة، ١٩٩٨، دار الثقافة.

٣٤. موسوعة الأنبا غريغوريوس، الناشر جمعية الأنبا غريغوريوس، القاهرة، ٢٠٠٦، جزء ٢٨.
٣٥. قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مجموعة من اللاهوتيين، مكتبة المشغل، بيروت، ط٦، ١٩٨١.
٣٦. الأحوال الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، مسعود بن شمعون، مطبعة كوهين روزنتال، مصر، ١٩١٢.
٣٧. شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، البابا شنودة الثالث، ط ١٣.
٣٨. عصر المجامع، كيرلس الأنطوني، مكتبة المحبة، مصر، ٢٠٠٢.
٣٩. مرشد الوعاظ والكتاب إلى كنوز آيات الكتاب، الاشمندريت بطرس، مطبعة القديس بولس.
٤٠. الطلاق في المسيحية، د. القس إكرام لمعي، مركز قضايا المرأة، القاهرة، ٢٠٠٦.
٤١. ١٢٠ سؤالاً وجواباً عن أسرار الكنيسة السبعة، ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، مصر، ١٩٩٨.
٤٢. صفحات من تاريخ القبط، الجيش القبطي الوطني ١٨٠٠-١٨١٤، القمص متياس منقريوس.
٤٣. اللاهوت المقارن «الجزء الأول»، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، ١٩٩٢.
٤٤. التوحيد والتثليث، القس بيشوي حلمي، مراجعة وتقديم الأنبا بيشوي والأنبا موسى، مكتبة ديزاين أرت، مصر، ٢٠١٣.
٤٥. معجم المصطلحات الكنسية، الراهب القس أثناسيوس المقاري، الكنيسة القبطية، مطبعة دار نوبار، شبرا، القاهرة، ط٣، ج١، ٢٠١١.
٤٦. وحدانية الثالوث، اسكندر جديد، الهداية، سويسرا.
٤٧. هارفي بيتر، البوذية والتوحيد،
- Harvey, Peter (2019). "Buddhism and Monotheism", p. 1. Cambridge University Press.
٤٨. هل يمكن أن نثق بالعهد الجديد من خلال الشهادات المسيحية المبكرة؟ ج. أ. ويلز.
Can we trust the NT through the reliability of early Christian testimony? G.A. Wells. 2004.
٤٩. معجم مفسري الكتاب المقدس، ج ٢، مطابع أبينغدون.
New Interpreter's Dictionary of the Bible, Publisher: Abingdon Press (August 2009 ,1).
٥٠. بوذا وتعاليمه:
The Buddha and His Teachings, The Corporate Body of the Buddha Educational Foundation
Taipei, Taiwan, 1998.

٥١. اضطهاد المرأة في البوذية،

The Discrimination of Women in Buddhism: An Ethical Analysis Archana Paudel, Qun Dong, School of Humanities, Southeast University, Nanjing, China. Open Access Library Journal 2017, Volume 4, e3578.

٥٢. إجابات عن الديانات:

The Handy Religion Answer Book, JOHN RENARD, VISIBLE INK PRESS, 2002.

٥٣. «منو سمريتي» (كتاب الهندوس المقدس)، ترجمة إحسان حقي، دار اليقظة العربية، لبنان، ١٩٨٨.

45. Manusmriti: The Laws of Manu - translated by G. Buhler - Oxford: Clarendon Press, 1886.

٥٤. ريج فيدا، النسخة الإنجليزية، ترجمها إلى الإنجليزية:

Dr. Tulsi Ram M.A., Ph.D. (London, U.K.), Publisher: Vijaykumar Govindram Hasanand - Delhi. Edition: First, 2013.

٥٥. مهاجفات جيتا، تعريب د. سليم حداد.

<http://alishraq.net/gita/index1.htm>

٥٦. الزرادشتية-الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة، د. جمشيد يوسف، مكتبة زين، بيروت، لبنان، ٢٠١٢.

٥٧. حكمة الأديان الحية، تأليف جوزيف كاير، ترجمة: حسين الكيلاني، مكتبة الحياة، بيروت.

٥٨. الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، أربيل، العراق، ٢٠٠٧، ج ١.

٥٩. «أفستا» الكتاب المقدس للزرادشت، ترجمة د. خليل عبد الرحمن، روافد للثقافة، سوريا-دمشق، ط ٢: ٢٠٠٨ م.

٦٠. المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارندر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح

إمام. عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٣.

٦١. محاورات كونفوشيوس، ترجمة محسن سيد فرجاني، المجلس الأعلى للثقافة-مصر: ٢٠٠٠ م.

٦٢. التاوتي تشينغ، إنجيل الحكمة التاوية في الصين، صياغة عربية للنص، تقديم وشرح وتعليق:

فراس السَّواح، دار علاء الدين - دمشق: ١٩٩٨ م.

٦٣. تاوتي كينغ، لاو تسو، تقديم و ترجمة: عبد الغفار مكاوي، مؤسسة هنداوي: ٢٠٢٢ م.

٦٤. كتاب التاوت، ترجمة ودراسة: هادي العلوي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٦٥. الطريق إلى الفضيلة أنص صيني مقدس، ترجمة: علاء الديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

٦٦. ترجمان الأديان، د. أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩.

٦٧. كوجيكي، كتاب اليابان المقدس، ترجمة: د. محمد عزيمة، التلوين للنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥.

٦٨. موقع الموسوعة الإيرانية، تاريخ ٧/ ٢٠٢٣. [/https://iranicaonline.org](https://iranicaonline.org)

ج. مراجع أجنبية

1. SACRED TEXTS OF THE WORLD - A UNIVERSAL ANTHOLOGY EDITED BY NINIAN SMART & RICHARD D. HECHT. First published 1982 by Macmillan Reference Books.
2. Jainism An Introduction. Jeffery D Long. Published in 2009 by I.B.Tauris & Co Ltd.
3. Jainism In 13 chapters. DR. M.R. GELRA. Published by CreateSpace. First print. 2017.
4. Jainism I - Basics of Jainism (JES 102) - Jaina Education Series 102 - First Edition: November 2007.
5. Jain Agam Literature - Pravin K. Shah - Jain Study Center of North Carolina (Raleigh) -2018- Website: www.jaina.org.
6. AGMA an Introduction – Inspired by: Yug Diwakar Pujya. English Edition 2012. Published by Global Jain Agam Mission.
7. Prācyā 2020, Vol. 12, Issue 1 - Female body, nudity and shame in Jainism: A feminist viewpoint - Author(s): Dr. Rizia Begum Laskar.
8. The Analects of Confucius / translated by Burton Watson. p. cm. isbn 2-14164-231-0-978. Copyright © 2007 Columbia University Press.
9. MENCIUS (Translated by Irene Bloom) - Columbia University Press - New York 2011-.
10. Materialism, Confucianism and Confucian Values - Prof. Dr. K. C. Patrick Low - Educational Research (ISSN: 5161-2141) Vol. 5)4) pp. 412-403, May 2013 - Available online@ <http://www.interestjournals.org/ER> - Copyright © 2013 International Research Journals
11. Journal of Criminal Law and Criminology -Volume 39 | Issue 4 Article 1949 – 5 - The Chinese Theory of Criminal Law - Chi-Yu Cheng.
12. Confucianism, women, and social contexts- XINYAN JIANG, Associate Professor, Department of Philosophy; Director of Asian Studies, University of Redlands. Specialties: Chinese philosophy, comparative philosophy, ethics. 2009Journal of Chinese Philosophy.
13. The Eight Virtues • Fung Loy Kok Institute of Taoism • www.taoist.org
14. Welch Holmes, Taoism, Boston, Beacon Press, 1966.
15. Shinto - THE KAMI WAY- by DR. SOKYO ONO - Professor, Kokugakuin University - TUTTLE Publishing - Tokyo - First edition, 1962.
16. The Kojiki – Translation by Basil Hall Chamberlain. Created and published by Global Grey - 2019.
18. English Translation & Transliteration of Siri Guru Granth Sahib, Translation by: Singh Sahib Sant Singh Khalsa, MD Hand Made Books 899 N. Wilmot, Suite C2- Tucson, Arizona 85711, USA.
18. GURU GRANTH SAHIB, An Introductory Study, Dr. Sukhbir Singh Kapoor, Vice Chancellor, World Sikh University, London, Hemkunt Publishers (P) Ltd. Third Revised Edition, India, 2004.
19. Sikh Religion and Islam, A Comparative Study, G. S. Sidhu M.A. & Gurmukh Singh, Published by Amazon Kindle, 2011.

فهرس

الصفحة	الموضوع
4	المقدمة
الباب الأول : التعريف العام بالأديان	
الفصل الأول: خريطة وتوزيع الأديان	
11	١ . نسبة المعتنقين لكل ديانة
12	٢ . نمو نسبة المسلمين في العالم
13	٣ . توقعات خريطة الأديان في ٢٠٥٠
15	٤ . توزيع وانتشار الأديان في العالم
15	٥ . تاريخ نشأة الديانات
الفصل الثاني: التعريف بالديانات ومصادرها	
39	١ . التعريف بالهندوسية
49	مصادر الهندوسية
57	٢ . التعريف بالزرادشتية (المجوسية)
58	مصادر الزرادشتية
59	٣ . التعريف بالجينية (اليانية)
62	مصادر الجينية
64	٤ . التعريف بالكونفوشيوسية
65	مصادر الكونفوشيوسية
68	٥ . التعريف بالبودية
72	مصادر البودية
74	٦ . التعريف بالتاوية (الطاوية-الداوية)
75	مصادر التاوية
77	٧ . التعريف بالشتوية
80	مصادر الشتوية

الصفحة	الموضوع
82	٨. التعريف بالسيخية
83	مصادر السيخية
85	٩. التعريف باليهودية
88	مصادر اليهودية
99	١٠. التعريف بالنصرانية
104	مصادر النصرانية
123	١١. التعريف بالإسلام
126	مصادر الإسلام

الباب الثاني: (العقيدة) الغيبات في الأديان

الفصل الأول: مفهوم الإله وصفاته في الأديان

138	١. مفهوم الإله وصفاته في الهندوسية:
141	٢. مفهوم الإله وصفاته في الزرادشتية:
144	٣. مفهوم الإله وصفاته في الجينية:
145	٤. مفهوم الإله وصفاته في الكونفوشيوسية:
148	٥. مفهوم الإله وصفاته في البوذية:
149	٦. مفهوم الإله وصفاته في التاوية:
151	٧. مفهوم الإله وصفاته في الشنتوية:
152	٨. مفهوم الإله وصفاته في السيخية:
153	٩. مفهوم الإله وصفاته في اليهودية:
158	١٠. مفهوم الإله في النصرانية
163	١١. مفهوم الإله في الإسلام:

الفصل الثاني: الاعتقاد في الشيطان في الأديان

170	١. الاعتقاد في الشيطان في الهندوسية:
171	٢. الاعتقاد في الشيطان في الزرادشتية:

الصفحة	الموضوع
172	٣. الاعتقاد في الشيطان في الجينية:
172	٤. الاعتقاد في الشيطان في الكونفوشيوسية:
172	٥. الاعتقاد في الشيطان في البوذية:
173	٦. الاعتقاد في الشيطان في التاوية:
173	٧. الاعتقاد في الشيطان في الشنتوية:
173	٨. الاعتقاد في الشيطان في المسيحية:
174	٩. الاعتقاد في الشيطان في اليهودية:
177	١٠. الاعتقاد في الشيطان في النصرانية:
180	١١. الاعتقاد في الشيطان في الإسلام:
الفصل الثالث: اليوم الآخر والثواب والعقاب في الأديان	
185	١. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الهندوسية:
188	٢. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الزرادشتية:
189	٣. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الجينية:
189	٤. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الكونفوشيوسية:
190	٥. اليوم الآخر والثواب والعقاب في البوذية:
190	٦. اليوم الآخر والثواب والعقاب في التاوية:
191	٧. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الشنتوية:
192	٨. اليوم الآخر والثواب والعقاب في المسيحية:
192	٩. اليوم الآخر والثواب والعقاب في اليهودية:
194	١٠. اليوم الآخر والثواب والعقاب في النصرانية:
196	١١. اليوم الآخر والثواب والعقاب في الإسلام:
الفصل الرابع: الغرض من الخلق في الأديان	
203	١. الغرض من الخلق في الهندوسية:
204	٢. الغرض من الخلق في الزرادشتية:
204	٣. الغرض من الخلق في الجينية:
205	٤. الغرض من الخلق في الكونفوشيوسية:
206	٥. الغرض من الخلق في البوذية:
206	٦. الغرض من الخلق في التاوية:

الصفحة	الموضوع
206	٧. الغرض من الخلق في الشنتوية:
206	٨. الغرض من الخلق في السيخية:
206	٩. الغرض من الخلق في اليهودية:
207	١٠. الغرض من الخلق في النصرانية:
207	١١. الغرض من الخلق في الإسلام:

الباب الثالث: العلاقات الاجتماعية في الأديان

الفصل الأول: العلاقات الإنسانية في الأديان

214	١. العلاقات الإنسانية في الهندوسية
216	٢. العلاقات الإنسانية في الزرادشتية (المجوسية)
216	٣. العلاقات الإنسانية في الجينية (اليانية)
216	٤. العلاقات الإنسانية في الكونفوشيوسية
217	٥. العلاقات الإنسانية في البوذية
218	٦. العلاقات الإنسانية في التاوية (الطاوية-الداوية)
218	٧. العلاقات الإنسانية في الشنتوية
218	٨. العلاقات الإنسانية في السيخية
220	٩. العلاقات الإنسانية في اليهودية
223	١٠. العلاقات الإنسانية في النصرانية
224	١١. العلاقات الإنسانية في الإسلام

الفصل الثاني: مكانة المرأة في الأديان

237	١. مكانة المرأة في الهندوسية
240	٢. مكانة المرأة في الزرادشتية (المجوسية)
243	٣. مكانة المرأة في الجينية (اليانية)
244	٤. مكانة المرأة في الكونفوشيوسية
247	٥. مكانة المرأة في البوذية
249	٦. مكانة المرأة في التاوية (الطاوية-الداوية)
249	٧. مكانة المرأة في الشنتوية
250	٨. مكانة المرأة في السيخية
251	٩. مكانة المرأة في اليهودية

الصفحة	الموضوع
256	١٠. مكانة المرأة في النصرانية
263	١١. مكانة المرأة في الإسلام
الفصل الثالث: الزواج والطلاق في الأديان	
273	١. الزواج والطلاق في الهندوسية
282	٢. الزواج والطلاق في الزرادشتية
283	٣. الزواج والطلاق في الجينية
285	٤. الزواج والطلاق في الكونفوشيوسية
285	٥. الزواج والطلاق في البوذية
286	٦. الزواج والطلاق في التاوية
286	٧. الزواج والطلاق في الشتوية
287	٨. الزواج والطلاق في المسيحية
288	٩. الزواج والطلاق في اليهودية
297	١٠. الزواج والطلاق في النصرانية
309	١١. الزواج والطلاق في الإسلام:
الباب الرابع: السلوك والأخلاق في الأديان	
الفصل الأول: الطهارة والنظافة في الأديان	
332	١. الطهارة والنظافة في الهندوسية:
336	٢. الطهارة والنظافة في الزرادشتية:
339	٣. الطهارة والنظافة في الجينية:
341	٤. الطهارة والنظافة في الكونفوشيوسية:
341	٥. الطهارة والنظافة في البوذية:
342	٦. الطهارة والنظافة في التاوية:
342	٧. الطهارة والنظافة في الشتوية:
343	٨. الطهارة والنظافة في المسيحية:
344	٩. الطهارة والنظافة في اليهودية:
349	١٠. الطهارة والنظافة في النصرانية:
352	١١. الطهارة والنظافة في الإسلام:

الصفحة	الموضوع
الفصل الثاني: حفظ الأمانة ودم الخيانة في الأديان	
363	١ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في الهندوسية
364	٢ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في الزرادشتية (المجوسية)
364	٣ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في الجينية (اليانية)
365	٤ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في الكونفوشيوسية
366	٥ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في البوذية
366	٦ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في التاوية (الطاوية-الداوية)
367	٧ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في الشنتوية
367	٨ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في المسيحية
368	٩ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في اليهودية
374	١٠ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في النصرانية
377	١١ . حفظ الأمانة ودم الخيانة في الإسلام
الفصل الثالث: الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الأديان	
385	١ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الهندوسية
386	٢ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الزرادشتية (المجوسية)
386	٣ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الجينية (اليانية)
386	٤ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الكونفوشيوسية
387	٥ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في البوذية
388	٦ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في التاوية (الطاوية-الداوية)
388	٧ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الشنتوية
388	٨ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في المسيحية
389	٩ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في اليهودية
392	١٠ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في النصرانية
396	١١ . الحث على الصدق والنهي عن الكذب في الإسلام
403	خاتمة الكتاب
405	المراجع

أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا
عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ
أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

سورة الملك